





أساطير إسكندنافية

ترجمة: محمد أ. جمال

منشورات تكوين | تساؤلات
TAKWEEN PUBLISHING

كلمه مهمة:

هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما امكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج اكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.
وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين ايديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات:

فريق (متميزون)

انضم الى الجروب

انضم الى القناة

أساطير اسكندنافية

نيل غايمان

ترجمة: محمد أ. جمال

نبذة عن الكتاب

"قبل البداية لم يكن ثمة شيء، لا أرض ولا جنة ولا نجوم ولا سماء. فقط عالم الضباب، بلا شكل ولا هيئة، وعالم النار المضطرم على الدوام."

للميثولوجيا الإسكندنافية (النوردية) على الثقافة الغربية المعاصرة تأثير بالغ العمق. نيل جايمان، الكاتب البريطاني الأشهر، متعدد المواهب، يعيد هنا حكي وتقديم أهم وأشهر وأمتع أساطير شعوب الشمال، بأسلوبه الذي يجمع بين الخفة والعمق والذكاء والمرح في مزيج فريد. اِنسَ ثور ولوكي وأودِن الذين تعرفهم من أفلام الأبطال الخارقين الهوليودية، واستعد للتعرف على آلهة أسجارد الأصليين كما حكت عنهم الأساطير، منذ فجر الكون وحتى نهايتهم الحتمية، عندما تحين راجناروك.

مقدمة

أن تكون لك مجموعة أساطير مفضلة هو أمر بصعوبة أن يكون لك مزاج مفضل في الطعام (في بعض الليالي قد ترغب في الطعام التايلاندي، وبعضها في السوشي، وفي أخرى تتوق إلى طعام البيت العادي الذي تربيت عليه). لكن لو كان عليَّ أن أختار أساطيري المفضلة، فستكون على الأرجح الأساطير الإسكندنافية.

لقائي الأول بأسجارد Asgard وسكانها، كان وأنا ولد صغير، لست أكبر من سبع سنوات، أقرأ مغامرات ثور Thor الجبار كما صوره فنان الكوميكس الأمريكي جاك كيربي Jack Kirby، في حكايات وضع حبكتها كيربي وستان لي Stan Lee، وكتب حوارها أخو ستان لي لاري ليبر Larry Lieber. ثور كيربي كان قويًّا جميلًا، وأسجارد كيربي كانت مدينة خيال علمي ذات ناطحات سحاب ومبانٍ مهيبة وصروح خطيرة، وأودِن Odin كيربي كان حكيمًا نبيلًا، ولوكي Loki كيربي كان الشر الخالص وقد تجسد على هيئة متهكمة ترتدي خوذة بقرون. أحببت ثور كيربي الأشقر حامل المطرقة، وأردت معرفة المزيد عنه.

استعرت نسخة من أساطير النورديين Myths of the Norsemen لروجر لانسيلن جرين Roger Lancelyn Green، وقرأتها وأعدت قراءتها بمتعة وحيرة: أسجارد في هذه السردية لم تعد مدينة كيربي المستقبلية، بل قصر فايكينج ومجموعة من المباني المتناثرة في الصحاري المتجمدة. أودِن أبو الجميع لم يعد رقيقًا حكيمًا غضوبًا، بل كان بدلًا من ذلك كان حاذقًا مبهمًا خطيرًا. ثور كان بنفس قوة ثور الجبار في الكوميكس، ومطرقته بنفس القوة، لكنه كان... بصراحة، لم يكن أذكى الآلهة. ولوكي ليس بذلك الشر، وإن كان بلا شك لا يحمل لواء الخير. لوكي كان... يصعب تفسيره.

وعرفت بالإضافة إلى ذلك، أن الآلهة النوردية قد جاءوا بيوم قيامتهم الخاص: راجناروك Ragnarok، درك الآلهة، نهاية كل شيء. ستخرج الآلهة لقتال عمالقة الصقيع، وستموت جميعًا.

هل حدثت راجناروك بالفعل؟ هل لم تحدث بعد؟ لم أعرف الإجابة وقتها، ولست متأكدًا منها الآن.

كانت حقيقة أن العالم والحكاية قد اِنتهيَا، والطريقة التي انتهيا بها وولدا بعدها من جديد، هما ما جعلا من الآلهة وعمالقة الصقيع وبقية الأشخاص أبطالًا وأشرارًا تراجيديين. راجناروك جعلت العالم الإسكندنافي يتلكأ في داخلي، يبدو لي حاضرًا حيًّا بشكل غريب، بينما غيره من الأنظمة الإيمانية الموثقة بشكل أفضل، تبدو لي أجزاء من الماضي، أشياء عتيقة.

الأساطير الإسكندنافية هي أساطير مكان بارد، ليالي شتائه فيه أطول ما يمكن، وأيام صيفه لا تكاد تنتهي، أساطير قوم لم يثقوا بآلهتهم بالكامل أو حتى أحبوهم، برغم أنهم احترموهم وخافوهم. أقصى ما نستطيع تخمينه هو أن آلهة أسجارد جاءت من ألمانيا، وانتشروا في شبه الجزيرة الإسكندنافية، ثم في الأصقاع التي غزاها الفايكينج -جزر أوركني وإسكتلندا وأيرلندا وشمال إنجلترا- حيث ترك الغزاة أماكن مسماة على شرف ثور أو أودِن. في الإنجليزية، تركت الآلهة أسماءها في أسماء أيام أسبوعنا. يمكنك أن تجد تير Tyr ذا اليد الواحدة (ابن أودِن)

وأودِن وثور، وفريج Frigg ملكة الآلهة، بالترتيب في الثلاثاء Tuesday والأربعاء Wednesday والخميس Thursday والجمعة Friday.

يمكننا أن نجد آثارًا لأساطير وأديان أقدم في الحرب بين آلهة الفانير Vanir والإيسر Aesir وحكايات الهدنة بينهم. يبدو أن الفانير كانت آلهة طبيعة، إخوة وأخوات، وأقل نزوعًا إلى الحرب، لكن ربما ليست أقل خطورة من الإيسر.

من المرجح جدًّا أن، أو على الأقل يقول النموذج التفسيري القابل للبدء منه أن، كانت هناك قبائل تعبد الفانير وقبائل أخرى تعبد الإيسر. وغزا عابدو الإيسر أراضي عابدي الفانير، وساوموا وتكيفوا. صارت من آلهة الفانير، مثل الأخت والأخ فريا Freya وفري Frey، من تعيش في أسجارد مع الإيسر. اندمج التاريخ والدين والأسطورة معًا، ونحن نتساءل ونتخيل ونخمن، مثل محقق يبني من جديد تفاصيل جريمة نُسيت من زمان.

ثمة العديد من القصص الإسكندنافية التي لم تصل إلينا، الكثير مما لا نعرفه. كل ما لدينا هو بعض الأساطير التي وصلت إلينا على شاكلة حكايات شعبية أو مرويات أو قصائد أو سرديات. لم تُكتب إلا بعدما حلت المسيحية محل عبادة آلهة الشمال، وبعض تلك القصص وصلتنا لأن الناس كانوا قلقين من أن ضياعها سيعني أن بعض الكننجات kennings -وهي استخدامات شعرية تشير إلى أحداث في أساطير معينة- ستصبح بلا معنى، دموع فريا مثلًا كانت طريقة شعرية للحديث عن الذهب. بعض الحكايات تصف الآلهة الإسكندنافية كبشر أو ملوك أو أبطال زمن ماضٍ، حتى تصبح قابلة للتداول في عالم مسيحي. بعض الحكايات والقصائد تذكر قصصًا أخرى، أو تلمح إلى قصص أخرى، لا نعرف عنها شيئًا. ربما الحال وكأن لم ينجُ من قصص آلهة وأنصاف آلهة اليونان وروما إلا مغامرات ثيسيوس وهركليز.

خسرنا الكثير.

هناك الكثير من الربَّات النورديات. نعرف أسماءهن وبعض صفاتهن وقدراتهن، لكن قصصهن وشعائرهن وأساطيرهن لم تبلغنا. أود أن أعيد حكي قصص إيير Eir، التي كانت طبيبة الآلهة، ولوفن Lofn، المواسية، التي كانت ربة الإسكندنافيين للزواج، وسيوفن Sjofn، ربة الحب. ناهيك عن فور Vor ربة الحكمة. أستطيع تخيل قصصهن لكني لست قادرًا على حكي حكاياتهن. فقد ضاعت، أو دُفنت، أو نُسيت.

حاولت بأقصى ما عندي أن أعيد حكي هذه الأساطير والحكايات بأدق ما في الإمكان، وألطف ما في الإمكان.

أحيانًا ما تناقض بعض تفاصيل تلك القصص بعضها. لكني أتمنى أن تنجح في رسم صورة لزمان ومكان. بينما كنت أحكي هذه الأساطير، حاولت تخيل نفسي في زمن بعيد، في الأراضي حيث حُكيت تلك الحكايات لأول مرة، خلال ليالي الشتاء الطويلة ربما، تحت وهج أضواء الشمال، أو جالسًا بالخارج في ساعات الفجر الأولى، مستيقظًا، تحت ضوء النهار الذي لا ينتهي في منتصف الصيف، بين قوم يرغبون في معرفة ماذا فعل ثور بعد ذلك؟ وما هو قوس القزح؟ وكيف يعيشون حياتهم؟ ومن أين يأتي الشعر الرديء؟

تفاجأت، بعدما انتهيت من الحكي وقرأت القصص بالتتابع، بإحساس أنها رحلة، من الثلج والنار اللذين بدأ بهما الكون، إلى النار والثلج اللذين أنهيا العالم. على مر الطريق سنقابل أناسًا قد نعرفهم إن التقيناهم، أمثال لوكي وثور وأودِن، وأناسًا نود معرفة المزيد عنهم (شخصيتي

المفضلة منهم هي أنجربودا Angrboda، العملاقة زوجة لوكي، التي أنجبت له أبناءه الوحوش، والحاضرة بهيئة شبحية بعد مقتل بالدر Balder).

لم أجرؤ على الرجوع إلى حكائي الأساطير الإسكندنافية الذين أحببت أعمالهم، أناس مثل روجر لانسيلن جرين وكيفن كروسلي هولاند Kevin Crossley-Holland، وإعادة قراءة أعمالهم. بدلًا من ذلك قضيت وقتي في قراءة ترجمات مختلفة متعددة للإيدا النثرية Prose Edda لسنوري سترلسون Snorri Sturluson، وأبيات من الإيدا الشعرية Poetic Edda، كلمات كُتبت قبل تسع مئة سنة، أنتقي وأختار منها أي الحكايات أحب أن أحكي من جديد وكيف أود أن أفعل، مازجًا بين نُسخ الأساطير في النثر وأخرى من الأشعار. (مثلًا زيارة ثور لهايمير Hymir، أحكيها هنا بطريقة هجينة: تبدأ من الإيدا الشعرية، ثم نضيف تفاصيل من مغامرة صيد ثور في نسخة سنوري).

نسختي المهترئة من قاموس الميثولوجيا الشمالية A Dictionary of Northern Mythology لرودلف سميك Rudolf Simek، بترجمة أنجيلا هال Angela Hall، كانت على الدوام مصدرًا للمشورة والمعلومة ومفسِّرة لكل مبهم، وذات قيمة لا تقدر بثمن.

شكرًا هائلًا لصديقتي القديمة أليسا كويتني Alisa Kwitney على مساعدتها التحريرية. كانت عاكس صدًى مذهل للأفكار، ذات رأي حاد حاسم على الدوام، ومتعاونة ومنطقية وذكية. تكاد تكون تسببت في كتابة هذا الكتاب فقط برغبتها في قراءة القصة التالية، وساعدتني في توفير الوقت لكتابته. ممتن لها إلى أقصى درجة. شكرًا لستيفاني مونتيث Stephanie Monteith، التي التقط بصرها الحاد وعلمها بالأساطير النوردية عدة أشياء ربما فاتت مني. شكرًا لإيمي تشيري Amy Cherry من نورتن Norton، التي اقترحت أني قد أود إعادة حكي بعض الأساطير في عيد ميلادي قبل ثمانية أعوام، والتي كانت أيضًا، بأخذ كل شيء في الاعتبار، أكثر المحررين صبرًا في العالم.

كل الأخطاء، والقفز إلى الاستنتاجات بلا مبرر، والآراء الغريبة الواردة في هذا الكتاب، هي أخطائي وحدي، ولا أود أن ألوم أي شخص آخر عليها. لقد أعدت حكي كل الحكايات بصدق، لكن يظل في هذا كثير من المتعة والإبداع.

هذه هي متعة الأساطير، تأتي من حكيها بنفسك. وهو شيء أشجعك عليه جدًّا يا من تقرأ هذه السطور. اِقرأ القصص في ذلك الكتاب، وامتلكها. ثم في ليلة شتوية حالكة باردة، أو في يوم صيفي تأبى شمسه الغروب، اِحكِ لأصدقائك عمَّا حدث عندما سُرقت مطرقة ثور، أو كيف جلب أودِن ميد الشعر للآلهة...

نيل جايمان،

ليسون جروف، لندن،

مايو ٢٠١٦

أساطير إسكندنافية

اللاعبون

ذُكر العديد من الأرباب والربات بأسمائهم في الأساطير الإسكندنافية. ستقابل عددًا منهم بين هذه الصفحات. لكن أغلب هذه الحكايات مهتمة بإلهين، أودِن وابنه ثور، وأخو أودِن بالدم، ابن عملاقة يُدعى لوكي، يعيش مع الإيسر في أسجارد.

أودِن

أودِن هو أعلى الآلهة جميعًا وأقدمها.

يعلم أودِن الكثير من الأسرار. مقابل الحكمة ضحّى بعين. وأكثر من ذلك، مقابل العلم بالرونية، ومقابل القوة، ضحى بنفسه لنفسه.

من شجرة العالم، يغدراسيل Yggdrasil، شنق نفسه لتسع ليالٍ، من جانبه تدلّى رمح اخترقه بسنه، وجرحه جرحًا مميتًا. عبثت الريح بجسده المتدلي، طوحته هنا وهناك. لم يأكل شيئًا لتسعة أيام وتسع ليالٍ، ولم يشرب شيئًا. ظل هناك وحيدًا، متألمًا، سنا حياته يبهت شيئًا فشيئًا.

كان باردًا متألمًا على حافة الموت عندما أثمرت تضحيته ثمرتها المظلمة: في حضيض عذابه، نظر إلى الأسفل، ورأى الرونية وقد تجلت له. تعلمها، وفهمها، وفهم قوتها. لحظتها انقطع الحبل، ووقع صارخًا من الشجرة.

بات الآن يفهم السحر، بات العالم طوع يديه.

لأودِن أسماء عدة، فهو أبو الجميع، سيد المذبوحين، إله المشانق. إنه رب المثقلين ورب المساجين. يُسمى جريمنير Grimnir ويسمى الثالث. في كل بلد له اسم مختلف (فهو يُعبد بأشكال عديدة على ألسنة مختلفة، لكن أودِن هو دومًا من تتوجه إليه العبادة).

يسافر متخفيًا من مكان إلى مكان، ليرى العالم كما يراه الناس. عندما يمشي بيننا، يمشي في هيئة رجل طويل، يرتدي عباءة وقبعة.

لديه غرابان، يسميهما هوجِن Huginn ومونِن Muninn، أي «الفكر» و«الذاكرة». يطيران ذهابًا وإيابًا عبر العالم، يحصدان الأخبار ويعودان إلى أودِن بعلم كل الأشياء. يحطان على كتفيه، ويهمسان في أذنيه.

عندما يجلس على عرشه العالي، هليدسكالف Hlidskjalf، يراقب كل الأشياء أينما تكون. عنه لا يمكن أن يختفي شيء.

هو من جلب الحرب إلى العالم: تبدأ المعارك بإلقاء رمح على جيش العدو، لتكريس المعركة وموتاها إلى أودِن. إن نجوت من المعركة، فهذا بفضل رحمة أودِن، وإن وقعت ضحيتها، فذلك لأنه خانك.

إن متَّ بشجاعة في الحرب، ستأخذك الفالكيريات Valkyries، فتيات المعركة اللواتي يجمعن أرواح النبلاء من القتلى، إلى قاعة تُعرف بفالهالا Valhalla. سيكون أودِن في انتظارك في فالهالا، وهناك ستشرب وتحارب وتأكل وتقاتل، تحت قيادة أودِن.

ثور

ثور، ابن أودِن، الراعد. المباشر حيثما أودِن مراوغ، طيب الطبيعة حيثما أبوه خبيثها.

ضخم هو، أحمر اللحية، وقوي. أقوى الآلهة بلا منافس. قوته يزيدها حزام القوة ميينجورد Megingjord، عندما يرتديه قوته تتضاعف.

سلاح ثور هو ميولنير Mjollnir، مطرقة مذهلة، صنعها الأقزام في قصة ستعرفها. عمالقة الصقيع وعمالقة الجبال والترولات trolls، يرتجفون جميعًا عندما يرون ميولنير، فقد قتلت العديد والعديد من أصدقائهم وأشقائهم. يرتدي ثور قفازات معدنية، تساعده على الإمساك بذراع المطرقة.

أم ثور هي جورد Jord، ربة الأرض. أبناؤه هم مودي Modi، الغاضب، وماجني Magni، القوي. ابنته هي ثرود Thrud، الجبارة.

زوجته هي سيف Sif ذات الشعر الذهبي. قبل أن تتزوج بثور أنجبت ابنًا، أولر Ullr، وصار ثور زوج أمه. أولر إله يصطاد بالقوس والسهم، وهو الرب ذو الزلاجات.

ثور هو حامي حمى أسجارد وميدجارد Midgard.

توجد قصص عديدة عن ثور ومغامراته، ستقابل بعضها هنا.

لوكي

لوكي شديد الوسامة. مهضوم، مقنع، يسهل الوقوع في حبه، والأكثر مكرًا وحذاقة وتبصرًا من كل سكان أسجارد بفرق شاسع. لذا فمن المؤسف أن ما في داخله ظلام حالك: كثير من الغضب، كثير من الحسد، كثير من الشهوة.

لوكي هو ابن لويفي Laufey، التي تُدعى أيضًا نال Nal، أو الإبرة، لأنها ممشوقة وجميلة وحادة. قيل إن أباه هو فارباوتي Farbauti، وهو عملاق يعني اسمه «هو الذي يضرب ضربات خطرة»، وفارباوتي خطر مثل اسمه تمامًا.

لوكي يمشي في السماء بحذاء يطير، وبوسعه تبديل شكله ليشبه أي شخص يريد، أو إلى أي هيئة حيوانية، لكن سلاحه الحقيقي هو عقله. إنه أكثر خداعًا ومراوغة وحذاقة من أي إله أو عملاق. حتى أودِن ليس داهية كلوكي.

لوكي هو أخو أودِن بالدم. بقية الآلهة لا تعرف متى جاء لوكي إلى أسجارد أو كيف. إنه صديق ثور وخائنه. ربما تتسامح معه الآلهة لأن حيله وخططه كثيرًا ما أنقذتها، بقدر ما أوقعتها في المشاكل.

لوكي يجعل العالم مكانًا مشوقًا أكثر لكن أقل أمانًا. إنه أبو الوحوش، مسبب المصائب، الإله النصاب.

يشرب لوكي كثيرًا، ولا يستطيع السيطرة على كلماته أو أفكاره أو أفعاله عندما يشرب. سيكون لوكي وأبناؤه موجودين في راجناروك، ولن يكون قتالهم في جانب آلهة أسجارد.

قبل البداية، وبعدها

I

قبل البداية لم يكن ثمة شيء، لا أرض ولا جنة ولا نجوم ولا سماء. فقط عالم الضباب، بلا شكل ولا هيئة، وعالم النار المضطرم على الدوام.

في الشمال كان نيفلهايم Niflheim، عالم الظلام. يقطع الضباب هنا أحد عشر نهرًا سامًّا، ينبعون جميعًا من البئر نفسها في مركز كل شيء، الدوامة الهادرة التي تُدعى هفِرجلمر Hvergelmir. نيفلهايم كان أبرد من البرد، غلف فيه الضباب القاتم كل شيء، وجثم ثقيلًا. احتجبت السماء خلف الغيوم والأرض أخفاها الضباب القارس.

الجنوب كان موسبيل Muspell. موسبيل كان النار. كل ما فيه يتوهج ويحترق. موسبيل كان النور بينما كان نيفلهايم عتمة رمادية، لاقْا ذائبة بينما عالم الضباب جليد. أرضه تحترق بحرارة فرن الحداد الصاخب. لم تكن هناك أرض صلبة، ولا سماء. لا شيء عدا الشرر المتناثر والحرارة المتدفقة والصخور المنصهرة والجمرات الملتهبة.

في موسبيل، عند حافة اللهب، حيث يحترق الضباب فيصير نارًا، حيث تنتهي الأرض، يقف سورتر Surtr، الذي كان موجودًا من قبل الآلهة. يقف هناك الآن، يحمل سيفًا من اللهب. بالنسبة إليه، لا فرق بين اللاڤا والضباب القارس.

عندما تحين راجناروك، التي هي نهاية العالم، وفقط وقتها، سيترك سورتر مكانه. سيغادر موسبيل بسيفه الملتهب وسيحرق العالم بالنار، وواحدًا تلو الآخر، ستقع الآلهة أمامه.

II

بين موسبيل ونيفلهايم كان خواء، مكان فارغ مترع باللاشيء، باللاشكل. صبت أنهار الضباب في الخواء، الذي كان يُدعى جينونجاباب Ginnungagap، «الهوة المتثائبة». على مدى وقت لا يمكن قياسه، هذه الأنهار السامة، في النطاق بين الضباب والنار، تجمدت ببطء إلى مثالج ([1]) هائلة. الثلج شمال الخواء كان يغطيه الضباب المتجمد وكريات البَرَد، لكن في الجنوب، حيث بلغت المثالج أرض النيران، شرر موسبيل وجمراته قابلا الثلج، والريح الدافئة من أرض اللهيب جعلت الهواء فوق الثلج برقة وراحة يومًا ربيعيًّا.

حيثما التقى الثلج بالنار، انصهر الثلج، وفي المياه الذائبة انبثقت حياة: ظهر ما يشبه الشخص، أكبر من العالمين، أضخم من أي عملاق كان أو سيكون. لم يكن ذكرًا، لم يكن أنثى، كان كليهما في الوقت نفسه.

هذا الكائن كان السلف الأول لكل العمالقة، سمى نفسه يمير Ymir.

يمير لم يكن الشيء الحي الوحيد الذي تشكَّل من الثلج المنصهر: كانت هناك أيضًا بقرة بلا قرون، أضخم مما يستطيع العقل التصور. تغذت على لعق مكعبات الثلج المالحة، كان ذلك طعامها وشرابها، وانسال اللبن من ضروعها أنهارًا. وكان ذلك اللبن غذاء يمير.

شرب العملاق اللبن، وكبر.

أطلق يمير على البقرة اسم أودهملا Audhumla.

لعق لسان البقرة الوردي شخص من مكعبات الثلج: في اليوم الأول ظهر شعر رجل، وفي اليوم الثاني ظهرت رأسه، في الثالث كشفت هيئة رجل كامل عن نفسها.

ذلك كان بوري Buri، سلف الآلهة كلها.

نام يمير، وفيما هو نائم أنجب: من تحت ذراعه الأيسر أنجب عملاقين، ذكرًا وأنثى، وعملاقًا ذا ستة رؤوس من رجليه. من أبناء يمير، ينحدر كل العمالقة.

اتخذ بوري زوجة من هؤلاء العمالقة، وأنجبا ابنًا، أطلقوا عليه بور Bor. تزوج بور بستلا Bestla، ابنة عملاق، ومعًا أنجبا ثلاثة أبناء: أودِن، وفيلي Vili، وفي Ve.

كبر أبناء بور الثلاثة، أودِن وفيلي وفي، وصاروا رجالًا. بينما هم يكبرون رأوا من بعيد لهب موسبيل وظلمة نيفلهايم، لكنهم علموا أن كلا المكانين سيعني بالنسبة إليهم الموت. كان الأشقاء محاصرين إلى الأبد في جينونجاباب، الهوة الشاسعة بين النار والضباب. بل بوسعهم على الأرجح أن يعدوا أنفسهم في اللامكان.

في ذلك الوقت، لم يكن ثمة بحر ولا رمل، لا زرع ولا صخر، لا تربة ولا شجر، لا سماء ولا نجوم. لم يكن هناك عالم، لا جنة ولا أرض. كانت الفجوة لا مكان: فراغ خاوٍ ينتظر أن تملأه الحياة والوجود.

كان ذلك وقت خلق كل شيء. هناك، في خواء جينونجاباب، نظر في وفيلي وأودِن بعضهم إلى بعض وتحدثوا بما يجب أن يصير. تحدثوا عن الكون، عن الحياة، وعن المستقبل.

قتل أودِن وفيلي وفي العملاق يمير. لم يكن ثمة مناص، لم تكن هناك طريقة أخرى لصنع العوالم. تلك كانت بداية كل الأشياء، الموت الذي جعل الحياة كلها ممكنة.

طعنوا العملاق الجبار. انفجر الدم من جثة يمير بكميات لا يمكن تخيلها، نوافير من الدماء مالحة كالبحر ورمادية كالمحيطات تدفقت في فيضان مباغت، هائل القوة سحيق العمق، حتى أنه اجتاح وأغرق كل العمالقة. (لم ينجُ إلا عملاق واحد، برجلمير Bergelmir، وزوجته، عبر التشبث بصندوق خشبي حملهم وكأنه قارب. كل العمالقة الذين نراهم ونخافهم اليوم من سلالتهم).

من لحم يمير صنع أودِن وأشقاؤه التربة. من عظام يمير راكموا الجبال والتلال. الحصى والصخور، والرمل والطوب الذين تراهم، كانوا أسنان يمير وشظايا عظامه التي كسرها وهشمها أودِن وفيلي وفي خلال معركتهم معه.

البحر الذي يطوق العوالم، كان دم يمير وعرقه.

انظر إلى السماء، ما تراه ليس إلا الجزء الداخلي من جمجمة يمير. النجوم التي تراها في الليل، والكواكب والشهب والمذنبات، كلها شرر متطاير من نيران موسبيل. والسحاب الذي تراه نهارًا؟ إنه كتل مخ يمير، من ذا الذي يعلم ما الذي يفكر فيه الآن...

III

العالم قرص مسطح، والبحر يطوق محيطه. يعيش العمالقة على حواف العالم، حذاء أعمق البحار.

لاتقاء شر العمالقة، صنع أودِن وفيلي وفي جدارًا من رموش يمير ونصبوه حول منتصف العالم. أطلقوا على المكان داخل نطاق الجدار ميدجارد Midgard.

ميدجارد كان خاليًا. أراضيه كانت جميلة، لكن أحدًا لم يمشِ في مروجه أو يصطاد في مياهه الرائقة، أحدًا لم يستكشف جباله الصخرية أو يحدق إلى غيومه.

أودِن وفيلي وفي أدركوا أن العالم ليس عالمًا حتى يُسكن. جالوا في كل مكان بحثًا عن أناس، لكنهم لم يجدوا أحدًا. في النهاية، على شاطئ صخري على حافة البحر، وجدوا جذعين طرحهما البحر، حملهما المد وألقاهما على الشاطئ.

الجذع الأول كان من خشب الدردار. شجر الدردار مرن وجميل، عميق الجذور. يمكن نحت خشبه جيدًا دون أن ينكسر أو يتشقق. من خشب الدردار يمكن صنع مقبض جيد للأدوات، أو عِصيٍّ للرماح.

الجذع الثاني الذي وجدوه بجوار الأول على الشاطئ، قريب جدًّا من الجذع الأول إلى درجة أنه يكاد يلمسه، كان من خشب المران. شجر المران رشيق، لكنه خشب قوي كفاية لتُصنع منه أقوى الألواح والعوارض، يمكنك بناء منزل أو قصر ممتاز من خشب المران.

أخذت الآلهة الجذعين. أوقفوهما منتصبين على الرمل، بطول البشر. حملهم أودِن، وتتابع ثلاثتهم على التنفس فيهما. لم يعودا لوحين ميتين على شاطئ، بل صارا أحياءً.

أعطاهم فيلي الإرادة، أعطاهم الذكاء والدافع. صار بوسعهما الحركة، صار بإمكانهما الإرادة.

في نحت الجذعين. أعطاهما هيئة البشر. ونحت فيهما الآذان ليسمعوا، والأعين ليروا، والشفاه ليتحدثوا.

وقف الجذعان على الشاطئ، شخصان عاريان. نحت في أحدهما عضو الذكورة، وفي الآخر عضو الأنوثة.

صنع الأشقاء الثلاثة الملابس للمرأة والرجل، لتغطية وتدفئة نفسيهما من رذاذ البحر على حافة العالم.

في النهاية أعطوا الإنسانين اللذين خلقا الأسماء: أطلقوا على الرجل أسك Ask، أي شجرة الدردار Ash Tree، وأطلقوا على المرأة إمبلا Embla، أي شجرة المران Elm tree.

أسك وإمبلا هما أبونا وأمنا، كلنا. يدين كل إنسان بحياته لأبويه، وآبائهم، وآباء آبائهم قبلهم. عد إلى الخلف بما يكفي وستجد أن سلفينا جميعًا في النهاية هم أسك وإمبلا.

ظل أسك وإمبلا في ميدجارد، آمنين وراء الجدار الذي بنته الآلهة من رموش يمير. في ميدجارد سيبنون بيوتهم، محميين من العمالقة والوحوش وكل المخاطر التي تقبع لهم في الخلاء. في ميدجارد بوسعهم تربية أبنائهم بسلام.

لهذا يُدعى أودِن بأبي الجميع. لأنه كان أبا الآلهة، ولأنه نفخ نفسًا لحياةٍ في جدنا وجدتنا. سواء كنا أربابًا أو فانين، فأودِن أبونا كلنا.

يغدراسيل والعوالم التسعة

يغدراسيل هي شجرة دردار هائلة، أكثر الشجر كمالًا وجمالًا، والأضخم أيضًا. تنمو بين العوالم التسعة وتصلهم بعض ببعض، كلٍّ بالآخر. إنها أكبر الأشجار على الإطلاق وأفضلها. قمم فروعها تتجاوز السماء.

هي من الضخامة إلى حد أن جذورها تمتد إلى ثلاثة عوالم، وتتغذى من ثلاث آبار.

الجذر الأول والأعمق يذهب إلى العالم السفلي، إلى نيفلهايم، المكان الموجود من قبل باقي الأمكنة. في قلب العالم المظلم يوجد النبع دائم الفوران، هفِرجلمر، الصاخب جدًّا وكأنه غلاية هادرة. في مياهه يعيش التنين نيدهوج Nidhogg، ولا ينفك ينهش في الجذر من الأسفل.

الجذر الثاني يذهب إلى أرض عمالقة الصقيع، إلى البئر التي يمتلكها ميمير Mimir.

ثمة عُقَاب ينتظر على أعلى فروع شجرة العالم ويعلم العديد من الأشياء، وبازٌ، يجثم بين عيني العقاب.

ويعيش السنجاب راتاتوسك Ratatosk بين فروع شجرة العالم. ينقل الرسائل والنميمة بين نيدهوغ، آكل الجيفة المخيف، والعقاب. يخبر السنجاب كليهما بالأكاذيب، ويستمتع بإثارة غضبهما.

ثمة أربعة أيائل ترعى على الفروع الهائلة لشجرة العالم، تلتهم الأوراق واللحاء. ثمة عدد لا يُحصى من الثعابين عند قاعدة الشجرة، تقضم الجذور.

يمكن تسلق شجرة العالم. من هذه الشجرة شنق أودِن نفسه مضحيًا بها، جاعلًا شجرة العالم مشنقة، ومن نفسه رب المشانق.

لا تتسلق الآلهة شجرة العالم. بل تسافر بين العوالم عبر بيفروست Bifrost، جسر قوس القزح. لا تستطيع سوى الآلهة السفر على قوس القزح، فهو سيحرق أقدام أي عملاقِ صقيعٍ أو ترول يحاول تسلقه إلى أسجارد.

هناك تسعة عوالم:

أسجارد، وطن الإيسر. حيث اصطنع أودِن لنفسه وطنًا.

ألفهايم Alfheim، حيث يعيش إلفات elves النور. لا يقل جمال إلفات النور عن جمال الشمس أو النجوم.

نيدافِلير Nidavellir، الذي يطلق عليه أحيانًا سفارتالفهايم Sva-rtalfheim، حيث يعيش الأقزام (الذين يُطلق عليهم أيضًا إلفات الظلام) تحت الجبال، ويصنعون إبداعاتهم المذهلة.

ميدجارد، وهو عالم النساء والرجال، العالم الذي هو وطننا.

يوتونهايم Jotunheim، حيث يجول ويعيش عمالقة الصقيع وعمالقة الجبال ويبنون قصورهم.

فاناهايم Vanaheim، حيث يعيش الفانير. الإيسر والفانير كلهم آلهة، توحدهم معاهدات سلام، وتعيش كثير من آلهة الفانير في أسجارد مع الإيسر.

نيفلهايم، عالم الظلام والضباب.

موسبيل، عالم النار حيث ينتظر سورتر.

وهناك مكان سُمِّي باسم حاكمته: هيل Hel، حيث يذهب الموتى الذين لم يموتوا بشجاعة في معركة.

الجذر الأخير لشجرة العالم يذهب إلى نبعٍ في وطن الآلهة، إلى أسجارد، حيث اتخذ الإيسر لنفسهم بيوتًا. كل يوم يقيم الأرباب مجلسهم هنا، وهنا سيجتمعون في آخر أيام العالم، قبل أن يتوجهوا إلى آخر معركة في راجناروك. اسم البئر أورد Urd.

هناك ثلاث شقيقات، النورنات The Norns. وهن يعملن على رعاية البئر والتأكد من أن جذور يغدراسيل مغطاة بالطين وبخير حال. يعود البئر إلى أورد، وهي القضاء والقدر. إنها ماضيك. معها توجد فِرداندي Verdandi -ويعني اسمها «أن تصير» - والحاضر لها، وسكولد Skuld، يعني اسمها «ما عُقدت عليه النية»، ومجالها هو المستقبل.

تقرر النورنات ما الذي سيحدث في حياتك. هناك نورنات أخرى، نورنات عملاقة ونورنات إلفات ونورنات فانير، نورنات طيبات وأخرى سيئات، ومصيرك تُحدده أياديهن. بعض النورنات تمنح الناس عيشة طيبة، وأخرى تمنح حياة عسيرة، أو قصيرة، أو معقدة.

سيشكلن مصيرك، عند بئر الأورد.

رأس ميمير وعين أودِن

يقع بئر ميمير في يوتونهايم، وطن العمالقة. ينبع من أعماق الأرض، ويغذي يغدراسيل، شجرة العالم. ميمير، الحكيم، حارس الذاكرة، يعلم العديد من الأشياء. بئره هي الحكمة، وعندما كان العالم يافعًا كان يشرب كل صباح من البئر، يغمر بوق اسمه غالارهورن Gjallerhorn في الماء ثم يستنزفه.

قبل زمن بعيد جدًّا، عندما كانت العوالم لا تزال نضرة، وضع أودِن عباءته وقبعته، وجاس في أرض العمالقة متنكرًا، مخاطرًا بحياته كي يصل إلى ميمير، ساعيًا إلى الحكمة.

قال أودِن: «شربة واحدة من بئرك يا خال ميمير، هذا كل ما أطلب».

هز ميمير رأسه. لا أحد يشرب من البئر سوى ميمير نفسه. لم يقل شيئًا، فالصامتون نادرًا ما يخطئون.

قال أودِن: «أنا ابن أختك. أمي بستلا كانت شقيقتك».

قال ميمير: «هذا ليس كافيًا».

«شربة واحدة من بئرك يا ميمير وسأصبح حكيمًا. قل لي ما ثمنها».

قال ميمير: «ثمنها عينك، ضع عينك في الحوض».

لم يسأله أودِن إن كان يمزح. الرحلة عبر وطن العمالقة للوصول إلى بئر ميمير كانت طويلة وخطرة. كان أودِن مستعدًّا للمخاطرة بحياته ليصل إليه. كان مستعدًّا لفعل ما هو أكثر ليحصل على الحكمة المبتغاة.

عقد أودِن العزم.

كل ما قاله كان: «أعطني سكينًا».

بعدما فعل ما كان بحاجة إلى فعله، وضع عينه بحذر في الحوض. حدقت إليه من تحت المياه. ملأ أودِن غالارهورن بالمياه من حوض ميمير، ورفعه إلى شفتيه. كانت المياه باردة. شربها حتى آخر قطرة. غمرته الحكمة. صار يرى بعينه الوحيدة أبعد وأنقى مما كان يرى من قبل بعينين.

من بعدها صاروا يطلقون عليه أسماء أخرى: سموه بلايندر Blindr، الرب الأعمى، وهوَر Hoarr ذا العين الواحدة، وبَليج Baleyg، ذا العين المشتعلة.

ظلت عين أودِن في بئر ميمير، تحفظها المياه التي تغذي دردارة العالم، لا ترى شيئًا، وترى كل شيء.

مضى زمن. وعندما صارت الحرب بين الإيسر والفانير إلى نهايتها، أخذوا يتبادلون القادة والمحاربين. أرسل أودِن ميمير إلى الفانير مستشارًا للإله الإيسري هونيير Hoenir، الذي سيصبح القائد الجديد للفانير.

هونيير كان طويلًا وجميلًا، بدا كملكٍ. وعندما كان ميمير بجواره لينصحه، تحدث هونيير أيضًا كملكٍ وأخذ قرارات حكيمة. لكن عندما لم يكن ميمير معه، بدا هونيير غير قادر على أخذ

القرارات، وسرعان ما تعب الفانير من ذلك. فانتقموا، ليس من هونيير، لكن من ميمير، قطعوا رأس ميمير وأرسلوها إلى أودِن.

لم يغضب أودِن. بل دلك رأس ميمير بأعشاب معينة ليحفظها من التعفن، وقرأ عليها التعاويذ. فهو لم يود أن تضيع المعرفة التي عند ميمير. ولم يمر وقت طويل قبل أن يفتح ميمير عينيه ويتحدث إليه. نصيحة ميمير كانت جيدة، مثلما كانت دومًا.

أخذ أودِن رأس ميمير إلى بئره تحت شجرة العالم، ووضعها هناك، حذاء العين، في مياه المعرفة بما كان وبما سيكون.

أعطى أودِن غالارهورن إلى هايمدال، حارس الآلهة. عندما يُنفخ في غالارهورن، ستستيقظ كل الآلهة، أينما كانوا، ومهما كان عمق نومهم.

سينفخ هايمدال غالارهورن مرة واحدة، عند نهاية كل شيء، عند راجناروك.

كنوز الآلهة

ا

زوجة ثور كانت الجميلة سيف. كانت من الإيسر. أحبها ثور لذاتها، ولعيونها الزرقاء وبشرتها الشاحبة، وشفتيها الحمراوين وابتسامتها، وأحب جدًّا جدًّا شعرها الطويل، ذا لون حقول الشعير في نهاية الصيف.

استيقظ ثور، وحدق إلى سيف النائمة. هرش في لحيته، ثم ربت على زوجته بيده الهائلة. سألها: «ما الذي حدث لك؟».

فتحت عينيها اللتين بلون سماء الصيف. سألت: «ما الذي تتحدث عنه؟»، ثم حركت رأسها، بدت حائرة. امتدت أصابعها إلى فروة رأسها العارية الوردية ولمستها، استكشفتها بحذر. نظرت إلى ثور مذعورة.

كل ما قالته كان: «شَعري!».

أومأ. قال: «ذهب، ترككِ صلعاء».

سألت: «من الذي فعل؟».

لم يقل ثور شيئًا. ارتدى حزام قوته، ميينجورد، الذي ضاعف قوته الهائلة. قال: «لوكي، لوكي فعل هذا».

قالت سيف: «لماذا تقول ذلك؟»، وهي تلمس صلعتها بهوس، وكأن لمسات أصابعها المهتاجة ستعيد شعرها.

قال ثور: «لأن عندما تسوء الأمور، أول ما أفكر فيه أنه خطأ لوكي. يوفر هذا الكثير من الوقت».

وجد ثور باب لوكي مغلقًا، فاندفع عبره، تاركًا إياه شظايا. حمل لوكي واكتفى بقول: «لماذا؟».

«لماذا ماذا؟»، وجه لوكي كان صورة تعبر عن البراءة الكاملة.

«شعر سيف. شعر زوجتي الذهبي. كان في غاية الجمال. لماذا قطعته منها؟».

طارد مئة تعبير بعضهم بعضًا على محيا لوكي: المكر والمراوغة، العدوانية والارتباك. هز ثور لوكي بقوة. نظر لوكي إلى أسفل وحاول أن يبدو حزينًا. «كان ذلك مضحكًا، وكنت ثملًا».

تجعد جبين ثور. «شعر سيف كان مجدها. سيظن الناس أن شعرها حُلق كعقاب. أنها فعلت شيئًا لم يكن عليها فعله، مع شخص لم يكن عليها أن..»..

قال لوكي: «آه، نعم، سيظنون ذلك على الأرجح. ولسوء الحظ، بما أني اقتلعت شعرها من الجذور، ستعيش بقية حياتها صلعاء تمامًا..»..

«لا، لن تفعل». نظر ثور إلى فوق إلى لوكي، الذي كان يحمله فوق رأسه بكثير، بوجه كالرعد.

«يؤسفني أنها ستفعل. لكن هناك دومًا قبعات وأوشحة..»..

قال ثور: «لن تعيش حياتها صلعاء، لأنك يا لوكي ابن لويفي إن لم تضع شعرها على رأسها مرة أخرى، الآن، سأكسر كل عظمة في جسدك. كل عظمة على حدة. ولو لم ينمُ شعرها بشكل

ملائم، فسأعود وأكسر كل عظمة في جسدك مرة أخرى، وأخرى، سأفعلها كل يوم، وعمّا قريب سأجيد فعل ذلك جدًّا»، وتابع، وبدا صوته أكثر بهجة.

قال لوكي: «لا، لا أستطيع وضع الشعر مكانه، ليست هكذا تصير الأمور».

قال ثور مستمتعًا: «اليوم، سيستغرق مني كسر كل عظمة في جسدك ساعة. لكني أراهن أني بالتدريب سأستطيع فعلها في خمس عشرة دقيقة. سأستمتع باكتشاف هذا». وبدأ في كسر العظمة الأولى.

صرخ لوكي: «الأقزام!».

«ماذا؟».

«الأقزام، بوسعهم عمل أي شيء. بوسعهم صنع شعر ذهبي لسيف، شعر يرتبط بفروة رأسها وينمو بشكل طبيعي، شعر ذهبي ممتاز. بوسعهم عملها، أقسم أنهم قادرون».

قال ثور: «إذن، عليك أن تبدأ في الحديث معهم»، وترك لوكي يقع من فوق رأسه إلى الأرض.

قفز لوكي على قدميه، وهرع مبتعدًا قبل أن يتمكن ثور من كسر مزيد من العظام.

وضع حذاءه الذي يمكنه من السفر عبر السماء، وذهب إلى سفارتالفهايم، حيث يوجد الأقزام وورشهم. قرر أن أكثر الحرفيين مهارة هم الأقزام الثلاثة المعروفين بأبناء إيفالدي sons of Ivaldi.

ذهب لوكي إلى ورشتهم للحدادة تحت الأرض، قال: «مرحبًا يا أبناء إيفالدي. لقد سألت الناس وأخبروني أن بروك Brokk وشقيقه إيتري Eitri هم أفضل الحرفيين الأقزام على الإطلاق».

قال أحد أبناء إيفالدي: «لا، بل نحن أفضل الحرفيين على الإطلاق».

«لقد أكدوا لي أن بروك وإيتري قادرين على صنع كنوز بنفس جودة كنوزكم».

قال أطول أبناء إيفالدي: «كذب! لن أثق بأولئك الفاشلين ذوي الأصابع المرتجفة لصنع حدوة حصان».

أصغر أبناء إيفالدي حجمًا وأكثرهم حكمة هز كتفيه ببساطة وقال: «أيًّا كان ما يصنعون، نستطيع عمل ما هو أفضل».

قال لوكي: «سمعت أنهم يتحدونكم. ثلاثة كنوز، وآلهة الإيسر ستحكم من الذين صنعوا الكنوز الأفضل. وبالمناسبة، أحد الكنوز الذي عليكم صنعها يجب أن يكون شعرًا ذهبيًّا، شعرًا ذهبيًّا ممتازًا دائم النمو».

قال أحد أبناء إيفالدي: «نستطيع فعل ذلك». حتى لوكي كان لا يكاد يقدر على تمييزهم بعضهم من بعض.

عَبَر لوكي الجبل ليرى القزم الذي يدعى بروك، في الورشة التي يتشاركها مع أخيه إيتري. قال: «أبناء إيفالدي يصنعون ثلاثة كنوز على سبيل الهدية لآلهة أسجارد. ستحكم الآلهة على تلك الكنوز. أبناء إيفالدي أرادوا مني إخبارك أنك وشقيقك إيتري غير قادرين على صنع شيء جيدًا مثلهم. قالوا عنكم إنكم «فاشلون ذوي أصابع مرتجفة»».

لم يكن بروك أبلهًا، قال: «يبدو لي الأمر برمته مريبًا يا لوكي. هل أنت متأكد أنه ليس من

تخطيطك؟ إثارة المشاكل بيني وبين إيتري وبين فتيان إيفالدي، لهو من قبيل ما تفعله أنت من أشياء».

بدا لوكي ساذجًا بقدر ما يستطيع، أي بدا في غاية السذاجة. قال ببراءة: «لا علاقة لي بالأمر، أنا فقط حسبت أن عليكم أن تعرفوا بذلك».

سأل بروك: «وليس لديك مصلحة شخصية في هذا؟».

«ولا أي مصلحة».

أومأ بروك ونظر إلى لوكي. إيتري شقيقه كان الحرفي الأفضل، لكن بروك كان أذكى الاثنين، والأكثر تصميمًا. «حسنًا، سنكون سعداء بهزيمة أبناء إيفالدي في اختبار مهارة تحكم فيه الآلهة. لأني لا أشك أن إيتري قادر على صياغة أشياء أمهر وأفضل من عيال إيفالدي. لكن لنجعل الأمور شخصية يا لوكي».

سأل لوكي: «في ماذا تفكر؟».

قال بروك: «رأسك. إن فزنا بهذه المسابقة، نحصل على رأسك يا لوكي. هناك الكثير مما يدور في ذلك الرأس. وليس لدي شك في أن إيتري قادر على صنع أشياء مذهلة به. ربما آلة تفكير أو محبرة».

حافظ لوكي على ابتسامته، لكنه تجهم من الداخل. كان اليوم قد بدأ على ما يرام! لكن يظل كل ما عليه فعله هو التأكد من خسارة إيتري وبروك المسابقة، وستحصل الآلهة على ستة أشياء رائعة من الأقزام، وسيف ستنال شعرها الذهبي. إنه قادر على تحقيق ذلك، فهو لوكي.

قال: «بالطبع، رأسي، لا مشكلة».

عبر الجبل، كان أبناء إيفالدي يصنعون كنوزهم. لم يقلق لوكي بشأنهم، غير أنه أراد التأكد من أن بروك وإيتري لن يقتربوا حتى من الفوز.

دخل بروك وإيتري ورشتهم المظلمة، لا يضيئها إلا الوهج البرتقالي للفحم المحترق. أخذ إيتري جلد خنزير من فوق رف ووضعه في الفرن. قال: «كنت أحتفظ بجلد الخنزير ذلك لشيء مثل هذا».

أومأ بروك.

قال إيتري: «حسنًا. عليك أنت بالكير، استمر في النفخ، أحتاجه ساخنًا، أحتاجه ساخنًا على الدوام، وإلا لن يعمل... أُنفخ، أُنفخ».

بدأ بروك في نفخ الكير، مرسلًا تيارًا من الهواء المشبع بالأكسجين إلى قلب الفرن، مسخنًا كل شيء. فعل ذلك مرات عديدة من قبل. راقب إيتري حتى اطمأن أن كل شيء سيمضي بحسب ما يريد.

غادر إيتري ليعمل على اختراعه خارج الورشة. وفيما هو يفتح الباب ليخرج، طارت حشرة كبيرة سوداء إلى الداخل. لم تكن ذبابة خيل، ولم تكن ذبابة أيل، كانت أكبر من كليهما. دارت في سماء الغرفة بطريقة مريبة.

كان بوسع بروك سماع مطارق إيتري خارج الورشة، أصوات البَرد والثني والطرق والتشكيل.

الذبابة السوداء الضخمة -كانت أضخم وأسود من أي ذبابة رأيتها في حياتك- حطت على ظهر يد بروك.

كلتا يدي بروك كانتا على الكير، لم يتوقف عن النفخ ليهش الذبابة. عضت الذبابة بقوة في ظهر يد بروك.

تابع بروك النفخ.

انفتح الباب ودخل إيتري، وبحذر سحب ما في النار. ليتضح أنه خنزير بري ضخم، شعره من الذهب اللامع.

قال إيتري: «عمل رائع، لو كان أبرد أو أسخن بربع ربع درجة، لفسد الشيء كله وبات مضيعة لوقتنا».

قال بروك: «عملك رائع أنت أيضًا».

الذبابة السوداء، على ركن السقف بالأعلى، احتدمت غضبًا وقنوطًا.

أخذ إيتري كتلة ذهب ووضعها في الفرن. قال: «حسنًا، الشيء التالي سيبهرهم، عندما أقول لك، ابدأ في نفخ الكير، وأيًّا كان ما يحدث لا تبطئ ولا تسرع ولا تتوقف. ثمة عمل دقيق على المحك».

قال بروك: «فهمت».

غادر إيتري وبدأ في العمل. انتظر بروك حتى سمع نداء إيتري، وبدأ في نفخ الكير.

حامت الذبابة السوداء حول الغرفة بتمهل، ثم حطت على رقبة بروك. تَنَحَّت الحشرة جانبًا برشاقة لتتفادى سيلًا من العرق، فالهواء كان حارًا عند الفرن. ثم عضت بروك في رقبته بأقوى ما استطاعت، واختلط الدم بالعرق على رقبة بروك، لكن القزم لم يتوقف عن الضخ.

عاد إيتري، واستخرج من الفرن إسورة ذراع بيضاء ساخنة. أسقطها في حوض تبريد صخري في الورشة لإطفائها. بينما تسقط في الماء خرجت منها سحابة من البخار. بردت الإسورة، وتحول لونها بسرعة إلى البرتقالي، ثم إلى الأحمر الساخن، ثم بينما صارت تبرد، إلى الذهبي.

قال إيتري: «اسمها دروبنير Draupnir».

قال بروك: «المُقطر؟ ألا ترى أن ذلك اسم مضحك لإسورة ذراع؟».

قال إيتري: «ليس لهذه الإسورة»، ثم شرح لبروك ما المميز في إسورة الذراع تلك.

قال إيتري: «والآن، ثمة شيء كنت أفكر في صنعه منذ وقت طويل، درة أعمالي، لكنه أصعب حتى من الآخرين. ما عليك فعله هو..»..

قال بروك: «النفخ، وعدم التوقف عن النفخ».

قال إيتري: «بالضبط. بل وأهم من المرات السابقة، لا تبدل إيقاعك بأدنى قدر وإلا سيفشل الأمر برمته». حمل إيتري قالب حديد، أكبر من أي قالب رأته الذبابة السوداء (التي كانت لوكي) من قبل، ووضعه بصعوبة في الفرن.

خرج من الغرفة، ونادى على بروك ليبدأ النفخ.

بدأ بروك في الضخ، وجاء صوت مطارق إيتري من الخارج، أصوات الشد والتشكيل واللحام والتركيب.

لوكي، في شكل الذبابة، قرر أنه لم يعد هناك وقت للحذاقة. درة أعمال إيتري سيكون شيئًا مبهرًا للآلهة، وإن انبهرت الآلهة بما يكفي، سيخسر رأسه. حط لوكي على أعين بروك، وبدأ في عض جفني القزم. تابع القزم النفخ وعيناه تحرقانه. عض لوكي أعمق وأقوى، وعض بيأس. وصارت الدماء الآن تنزل من جفني القزم على عينيه وعلى وجهه، ولم يعد يرى.

ضيق بروك عينيه وهز رأسه محاولًا طرد الذبابة. قذف رأسه من جهة إلى أخرى. لوى فمه وحاول نفخ الهواء إلى أعلى على الذبابة. دون نتيجة تُذكر. استمرت الذبابة في العض، ولم يستطع القزم رؤية أي شيء عدا الدم. وفي رأسه شعر بألم حاد.

عدَّ بروك، وعند العدة المناسبة ترك الكير بيد واحدة وطوحها ناحية الذبابة، بسرعة وقوة سمحت للوكي بالكاد أن يفلت بحياته. التقط بروك الكير مجددًا وتابع النفخ.

نادى إيتري: «يكفي!».

طارت الذبابة بغير توازن حول الغرفة. فتح إيتري الباب سامحًا للذبابة بالهروب.

نظر إيتري إلى أخيه بخيبة أمل. وجه بروك كان فوضى من العرق والدماء. قال إيتري: «لا أعلم في ماذا كنت تلعب هذه المرة، لكنك كدت أن تخرب كل شيء. درجة الحرارة تباينت تمامًا في النهاية. والنتيجة لا تقترب حتى من تلك التي تمنيتها. سنرى».

بتمهل دخل لوكي في هيئته العادية من الباب المفتوح، سأل: «هل أنتم جاهزون للمنافسة؟».

قال إيتري: «بوسع بروك الذهاب إلى أسجارد وتقديم هدايانا إلى الآلهة، وقطع رأسك. أحب أن أظل في ورشتي، أصنع أشياء».

حدق بروك إلى لوكي عبر جفونه المتورمة، قال: «أتطلع قدمًا إلى قطع رأسك، صار الأمر شخصيًّا».

II

في أسجارد، جلست الآلهة على عروشها: أودِن أبو الجميع ذو العين الواحدة، وثور الراعد أصهب اللحية، وفري الوسيم حصاد الصيف. اليوم هم القضاة.

وقف لوكي أمامهم، بجوار أبناء إيفالدي الثلاثة شبه المتطابقين.

بروك، أسود اللحية شارد الذهن، كان هناك وحيدًا، يقف في الناحية الأخرى، الأشياء التي جلبها تختبئ تحت ملاءات.

قال أودِن: «إذن، ما الذي سنحكم فيه؟».

قال لوكي: «كنوز. صنع أبناء إيفالدي الهدايا لك يا أودِن العظيم، ولثور ولفري، وكذلك فعل إيتري وبروك. ولكم أن تقرروا أيًّا من الأشياء الستة هو الكنز الأفضل. أنا بنفسي سأعرض عليكم الهدايا التي صنعها أبناء إيفالدي».

أهدى لأودِن رمح يُدعى جونِّير Gungnir. كان رمحًا جميلًا، مزينًا بنقوش رونية متداخلة.

قال لوكي: «سيخترق أي شيء، وعندما تلقيه سيجد هدفه دومًا». برغم كل شيء كان لأودِن عين واحدة، وأحيانًا ما يكون تصويبه أقل من الممتاز. «والشيء الذي لا يقل أهمية: القَسَم المأخوذ على ذلك الرمح لا يمكن حنثه».

حمل أودِن الرمح. «جيد جدًّا». وذلك كل ما قاله.

قال لوكي بفخر: «وهنا، شعر رأس ذهبي متدفق. صُنع من ذهب حقيقي. سيعلق برأس أي شخص يحتاجه، سينمو ويتصرف كما لو أنه شعر حقيقي. مئة ألف خيط من الذهب».

قال ثور: «سأختبره. سيف، تعالي هنا».

نهضت سيف وجاءت إلى المقدمة، رأسها مُغطى. نزعت وشاح رأسها. شهق الآلهة عندما رأوا رأس سيف العارية، صلعاء وردية، ثم بحذر وضعت باروكة الأقزام الذهبية على رأسها، وهزت شعرها. راقبوها بينما ربطت قاعدة الباروكة نفسها بفروة رأسها. ثم وقفت سيف في المقدمة، أكثر جمالًا وإبهارًا من أي وقت مضى.

قال ثور: «مذهل، عمل ممتاز».

طوحت سيف شعرها الذهبي وخرجت من القاعة إلى ضوء الشمس، لتعرض شعرها الجديد على أصدقائها.

آخر هدايا أبناء إيفالدي المميزة كانت شيئًا أقرب إلى قماشة صغيرة مطوية، وضعها لوكي أمام فري.

قال فري بلا انبهار: «ما هذا؟ يبدو كوشاح حريري».

قال لوكي: «يبدو كذلك فعلًا، لكن إن فتحته ستكتشف أنه سفينة، اسمها سكيدبلادنير Skidbladnir. الريح دومًا معها أينما ذهبت. وبرغم ضخامتها، أضخم سفينة بوسعك تخيلها، فيمكنك دومًا طيها مثل قماشة كما ترى، حتى تكون قادرًا على وضعها في جرابك».

كان فري منبهرًا، ولوكي مرتاحًا. تلك كانت هدايا مذهلة.

والآن حان دور بروك. جفناه كانا لا يزالان أحمرين متورمين، وعلى رقبته أثر عضة حشرة ضخمة. فكر لوكي أن بروك بدا شديد الغرور، خاصة مع الهدايا الرائعة التي صنعها أبناء إيفالدي.

أخذ بروك إسورة الذراع الذهبية ووضعها أمام أودِن على عرشه العالي. قال: «إسورة الذراع تلك اسمها دروبنير، لأنها في كل ليلة تتقطر منها ثمانية أساور ذراع بنفس الجمال. بوسعك توزيعها كهدايا، أو تخزينها فتزداد ثراءً».

فحص أودِن إسورة الذراع، ثم دفعها في ذراعه عاليًا، على عضلاته. والتمعت الإسورة هناك. قال: «جيدة جدًّا».

تذكر لوكي أن أودِن قال الشيء نفسه عن الرمح.

ذهب بروك إلى فري، ورفع الملاءة عن خنزير بري ضخم شعره من الذهب.

قال بروك: «صنع لك أخي هذا الخنزير ليجر عربتك. سيجري بك عبر السماء وفوق البحر، أسرع من أسرع حصان. لن تكون هناك ليلة ظلامها أثقل من أن يضيئه الشعر الذهبي لك فترى طريقك. لن يتعب أبدًا، ولن يخذلك. اسمه جولينبورستي Gullenbursti، ذو الشعر الذهبي».

بدا فري منبهرًا. لكن، فكر لوكي، أن السفينة السحرية القابلة للطي مثل قماشة كانت لا تقل إبهارًا عن خنزير بري لا يمكن إيقافه يلمع في الظلام. رأس لوكي آمنة حتى الآن. وهدية بروك المتبقية كانت تلك التي يعرف أنه تمكن من تخريبها.

من تحت الملاءة، أخرج بروك مطرقة، ووضعها أمام ثور.

نظر إليها ثور مزدريًا، «ذراعها صغيرة جدًّا».

أومأ بروك: «نعم، ذلك خطئي، كنت المسؤول عن النفخ. لكن قبل أن ترفضها، دعني أخبرك بما يجعل هذه المطرقة فريدة. اسمها ميولنير، صانعة الرعد. أولًا هي غير قابلة للكسر، مهما ضربت بها الأشياء بقوة، تظل المطرقة دومًا بلا خدش».

بدا ثور مهتمًّا. لقد كسر بالفعل أسلحة كثيرة عظيمة على مر السنين، عادة بضرب الأشياء بها.

«لو ألقيت المطرقة، فلن تخطئ أبدًا الهدف الذي نويته بها».

أبدى ثور مزيدًا من الاهتمام. لقد أضاع الكثير من الأسلحة الممتازة بإلقائها على أشياء أغضبته وأساء التصويب، وشاهد أسلحة كثيرة جدًّا تختفي بعيدًا دون أن يراها مجددًا.

«ومهما رميتها بعيدًا، ستعود دومًا إلى يدك».

صار الآن ثور مبتسمًا. وإله الرعد لا يبتسم في الغالب.

«بوسعك تغيير حجم المطرقة، ستكبر، وستنكمش إلى أصغر حد تريده، حتى يكون بوسعك إخفاؤها في قميصك».

صفق ثور بيديه فرحًا، ودوى الرعد في جميع أرجاء أسجارد.

وختم بروك بحزن: «لكن برغم كل ذلك، مثلما لاحظت، ذراعها قصيرة جدًّا بالفعل. ذلك خطئي. فشلت في الحفاظ على إيقاع النفخ بينما كان أخي إيتري يصيغها».

قال ثور: «الذراع الصغيرة هي مشكلة شكلية ثانوية. هذه المطرقة ستحمينا من عمالقة الصقيع. إنها لأفضل هدية رأيتها في حياتي».

قال أودِن موافقًا: «ستحمي أسجارد، ستحمينا جميعًا».

قال فري: «إن كنت عملاقًا، كنت لأرتجف خوفًا من امتلاك ثور هذه المطرقة».

سأل لوكي بيأس يكاد يبين: «نعم، إنها مطرقة رائعة. لكن يا ثور، ماذا عن الشعر؟ شعر سيف الذهبي الجديد!».

قال ثور: «ماذا؟ أوه، نعم، لزوجتي شعر جميل جدًّا. والآن، أرني كيف أجعل المطرقة تكبر وتصغر يا بروك».

قال أودِن بإيماءة: «مطرقة ثور أحسن حتى من رمحي الرائع وإسورة ذراعي الممتازة».

اعترف فري: «مطرقة ثور أكثر إبهارًا وعظمة من سفينتي وخنزيري البري، ستحافظ على أسجارد في أمان».

ربتت الآلهة على ظهر بروك وأخبرته أنه وإيتري قد صنعا أفضل هدية تلقياها على الإطلاق.

قال بروك: «جميل»، ثم استدار إلى لوكي: «والآن يمكنني قطع رأسك يا ابن لويفي، وأخذها معي. كم سيسعد إيتري، سيكون بوسعنا تحويلها إلى شيء مفيد».

قال لوكي: «أنا… سأفتدي رأسي، لدي كنوز سأمنحك إياها».

قال بروك: «لدينا كل الكنوز التي نحتاجها، نحن من يصنع الكنوز. لا يا لوكي، أريد رأسك».

فكر لوكي لوهلة، ثم قال: «إذن بوسعك أخذها. إن استطعت إمساكي». وقفز لوكي عاليًا في الهواء وجرى مبتعدًا، أعلى من رؤوسهم بكثير، وفي ثوانٍ كان قد اختفى.

نظر بروك إلى ثور. «أتستطيع إمساكه؟».

هز ثور كتفيه، قال: «لا يجدر بي أن أفعل، غير أني أود فعلًا أن أجرب المطرقة».

وبعد ثوانٍ عاد ثور، قابضًا على لوكي بشدة. لوكي كان ملتهبًا بالغضب العاجز.

أخرج بروك القزم سكينه. قال: «تعال هنا يا لوكي، سأقطع رأسك».

قال لوكي: «بالطبع. يمكنك بالطبع قطع رأسي. لكن، وأنا أناشد أودِن العظيم هنا أن يسمعني، إن قطعت رقبتي، فأنت تخالف شروط اتفاقنا، والتي وعدتك برأسي ورأسي فقط».

مال أودِن برأسه، وقال: «لوكي محق، لا يحق لك قطع رقبته».

هاج بروك، قال: «لكن كيف آخذ رأسه دون قطع رقبته؟».

بدا لوكي سعيدًا بنفسه. قال: «أرأيت؟ إن فكر الناس في دقة كلماتهم، لن يجرؤوا أبدًا على تحدي لوكي، الأكثر حصافة وشطارة ومراوغة وذكاءً ووسامة و..».

همس بروك باقتراح لأودِن. وافق أودِن: «سيكون ذلك عادلًا».

أخرج بروك شريحة جلد وسكينًا. لف الجلد على فم لوكي. وحاول بروك ثقب الجلد بطرف نصل السكين.

قال بروك: «ما الذي يحدث؟ سكيني لا تخترقك».

قال لوكي بتواضع: «كنت حصيفًا كفاية لترتيب حماية من أنصال السكاكين، لأكون جاهزًا في حالةفشل خطة أنت -لا-تستطيع -قطع- رقبتي. أخشى أن نصل سكينك لا يستطيع قطعي».

زمجر بروك، وأخرج مخرزًا، وشوكة مدببة تستخدم في الحياكة الجلدية وطعن بها الجلد، صانعًا ثقوبًا في شفاه لوكي. ثم أخرج خيطًا شديدًا وحاك به شفتي لوكي معًا.

ذهب بروك تاركًا لوكي بفمه مخيطًا بإحكام، غير قادر على الشكوى.

بالنسبة إلى لوكي، فألم عدم القدرة على الحديث أقسى بكثير من ألم خياطة شفتيه مع الجلد.

إذن، بتَّ الآن تعلم كيف حصلت الآلهة على أعظم كنوزها. كان ذلك خطأ لوكي، حتى مطرقة ثور كانت خطأ لوكي. وذلك كان الحال دومًا مع لوكي، تستاء منه حتى وأنت في أشد الامتنان إليه، وتمتن له حتى وأنت تكرهه أكثر من أي شيء.

سيد البنَّائين

ذهب ثور شرقًا ليحارب الغيلان. بدونه كانت أسجارد أكثر هدوءًا، لكن بلا حماية. كان ذلك في الأيام الأولى، بعد معاهدة الإيسر والفانير بقليل، حينما كانت الآلهة لا تزال تبني لأنفسها وطنًا، وأسجارد بلا حماية.

قال أودِن: «لا نستطيع الاعتماد دومًا على ثور، نحتاج إلى حماية، سيأتي العمالقة، وسيأتي الغيلان».

سأل هايمدال، حارس الآلهة: «ماذا تقترح؟».

قال أودِن: «جدارًا عاليًا كفاية ليحمينا من عمالقة الصقيع. سميكًا كفاية كي لا يقدر أقوى الغيلان على اختراقه».

قال لوكي: «بناء مثل ذلك الجدار، بعلوه وسمكه، سيستغرق منا أعوامًا عدة».

أومأ أودِن موافقًا. «رغم ذلك نظل بحاجة إلى جدار».

في اليوم التالي وصل إلى أسجارد وافد جديد. رجل كبير يلبس مثل حداد. وخلفه تهادى حصان، فحل رمادي ضخم عريض الظهر.

قال الغريب: «يقولون إنكم تريدون بناء جدار».

قال أودِن: «تابع حديثك..».

قال الغريب: «بوسعي بناء جدار أعلى من قدرة أطول العمالقة على التسلق، وأسمك من قدرة أقوى الغيلان على الاختراق. بوسعي بناؤه كما ينبغي، بوضع حجر على حجر، فلا تستطيع حتى النملة إيجاد مسافة كافية لتزحف عبرها. سأبني لكم جدارًا يدوم لألف ألف سنة».

قال لوكي: «سيستغرق بناء مثل ذلك الجدار وقتًا طويلًا جدًّا».

قال الغريب: «لا، على الإطلاق، بوسعي بناؤه في ثلاثة مواسم. غدًا أول أيام الشتاء. سأستغرق في بنائه شتاء، ثم صيفًا، ثم شتاء آخر».

قال أودِن: «وإن فعلت ذلك، ماذا تريد في المقابل؟».

قال الرجل: «أحتاج مقابلًا قليلًا كافيًا لما أعرضه، ثلاثة أشياء فقط. أولًا: أطلب يد الربة الجميلة فريا للزواج».

قال أودِن: «هذا ليس شيئًا صغيرًا، ولن يفاجئني إن كان لفريا رأيها الخاص في هذا الشأن. ما الشيآن الآخران؟».

ابتسم الغريب بغرور، قال: «إن بنيت جداركم، أريد يد فريا، وأريد أيضًا الشمس التي تضيء السماء نهارًا، وأريد القمر الذي يمنحنا النور ليلًا. تلك الأشياء الثلاثة هي ما ستعطيني الآلهة إن بنيت جداركم».

نظرت الآلهة إلى فريا. لم تقل شيئًا. لكن شفتيها كانتا مزمومتين بإحكام ووجهها كان مبيضًا من الغضب. حول عنقها كانت قلادة البريسينجيين Brisings، التي التمعت بأضواء الشمال كلما

احتكت ببشرتها. وشعرها مربوط بشريط من الذهب الذي يلمع بقدر ما الشعر نفسه يفعل.

قال أودِن للغريب: «اذهب وانتظر في الخارج». مشى الرجل مبتعدًا، لكن ليس دون أن يسأل أين يسعه إيجاد طعام وماء لفحله، والذي كان يُدعى سفاديلفاري Svadilfari، أي «المسافر في رحلة منحوسة».

حك أودِن جبهته، ثم دار ونظر إلى كل الآلهة.

سأل أودِن: «ما رأيكم؟».

بدأت الآلهة في الحديث.

صاح أودِن: «صمتًا! واحدًا واحدًا».

كان لكل رب وربة رأي، وكل الآراء كانت الرأي نفسه: أن فريا والشمس والقمر أشياء أكثر أهمية وأعلى قيمة من إعطائها لغريب، حتى لو كان يستطيع بناء الجدار الذي يحتاجونه في ثلاثة مواسم.

وكان لفريا رأي إضافي. شعرت أن الرجل يجب أن يُضرب لوقاحته، ثم يُلقى خارج أسجارد ليذهب في طريقه.

قال أودِن أبو الجميع: «إذن فقد قررنا، سنقول: لا».

سعال جاف جاء من ركن القاعة. كان سعالًا طيبًا بهدف جذب الانتباه، ودارت الآلهة كلها لترى من سعل. وجدوا أنفسهم ينظرون إلى لوكي، الذي حدق إليهم، وابتسم ورفع إصبعه، وكأنه لديه شيء مهم سيفصح عنه.

قال: «تجدر الإشارة إلى أن هناك شيئًا كبيرًا تتجاهلونه».

قالت فريا بلهجة لاذعة: «لا أظننا أغفلنا أي شيء، يا سبب مشاكل الآلهة».

قال: «لقد أغفلتم جميعًا أن ما يقترحه هذا الغريب هو شيء، بلا أي شك، مستحيل. لا يوجد شخص على قيد الحياة قادر على بناء جدار بهذا العلو والسمك الذي وصفه، وإنهاؤه في ثمانية عشر شهرًا. لا يقدر على هذا إله ولا عملاق، ناهيك عن رجل فانٍ. أراهن بجسدي على ذلك».

على هذا أومأت الآلهة كلها ومنحته نظرة إعجاب. كلهم عدا فريا التي بدت ساخطة. قالت: «أنتم حمقى، خاصة أنت، لأنك تظن نفسك ماهرًا».

قال لوكي: «ما يقول إنه قادر عليه هو شيء مستحيل. لذا أقترح الآتي: الموافقة على طلباته وثمنه، لكن نضع له شروطًا حازمة، أنه لن يتلقى أي مساعدة في بناء الجدار، وبدلًا من مواسم ثلاثة عليه أن يفعل في موسم واحد. إن لم يكن الجدار منتهيًا بحلول أول أيام الصيف، وهو ما سيحدث، فلن ندفع إليه شيئًا على الإطلاق».

سأل هايمدال: «لماذا قد يوافق على ذلك؟».

سأل فري، أخو فريا: «وأي أفضلية ننالها نحن حينها عن عدم امتلاك جدار على الإطلاق؟».

حاول لوكي مداراة نفاد صبره. لماذا كل الآلهة حمقى؟ بدأ في الشرح، وكأنه يشرح لطفل صغير. «سيبدأ الحداد في بناء جداره، ولن ينهيه. سيعمل لستة أشهر بلا مقابل في مهمة عبثية. وفي نهاية الأشهر الستة سنطرده، بل وربما نعاقبه على وقاحته، ثم نستطيع حينها استغلال أيًا كان

الأساس الذي وضعه للجدار حتى ذلك الحين لاستكماله في الأعوام التالية. لا خطر هنا بفقدان فريا، ولا طبعًا الشمس ولا القمر».

سأل تير إله الحرب: «لماذا يوافق على بنائه في موسم واحد؟».

قال لوكي: «ربما لا يفعل، لكنه يبدو مغرورًا واثقًا بنفسه، وليس من النوع الذي يرفض تحديًا».

همهمت الآلهة كلها بالموافقة، وقالوا للوكي إنه شخص شديد المكر، وشيء جيد أن هذا المكر في جانبهم، والآن سيحصلون على أساس لجدارهم مقابل لا شيء، وهنَّأوا بعضهم بعضًا على ذكائهم وقدرتهم على المساومة. لم تقل فريا شيئًا، داعبت قلادة الضوء على رقبتها، هدية البريسنجيين. تلك كانت القلادة نفسها التي سرقها منها لوكي متنكرًا في هيئة فقمة بينما كانت تستحم، وقاتله هايمدال على هيئة فقمة أيضًا ليعيدها إليها. لم تثق في لوكي، ولم تأبه إلى أي اتجاه ستذهب هذه المحادثة.

استدعت الآلهة البنَّاء إلى قاعتها.

نظر حوله إلى الآلهة. بدوا جميعًا مبتهجين مبتسمين، يومئون بعضهم إلى بعض متبادلين الضحكات. لكن فريا لم تكن كذلك.

سأل البنَّاء: «ماذا إذن؟».

قال لوكي: «سألت ثلاثة مواسم، سنمنحك واحدًا. غدًا أول أيام الشتاء. إن لم تنتهِ بحلول أول أيام الصيف، سترحل من هنا بلا أجر. لكن إن انتهيت من بناء الجدار، بالعلو والسمك والحماية من الاختراق الذي اتفقنا عليه، ستُمنح حينها كل ما طلبت: القمر والشمس وفريا الجميلة. لن تنال أي مساعدة في بناء الجدار من أي شخص، عليك أن تبنيه وحدك».

لم يقل الغريب شيئًا للحظات. شرد في الأفق، وبدا أنه يزن كلمات لوكي وشروطه. ثم نظر إلى الآلهة وهز كتفيه. «قلتم إني لن أنال مساعدة خارجية. أريد أن يساعدني حصاني، سفاديلفاري، في نقل الحجارة إلى هنا، الحجارة التي سأستخدمها في بناء الجدار. لا أعتقد أن ذلك طلب غير معقول».

وافق أودِن: «ليس طلبًا غير معقول»، أومأت بقية الآلهة وقالوا بعضهم لبعض إن الأحصنة جيدة في نقل الحجارة الثقيلة.

أقسموا حينها الأيمان، أغلظ الأيمان، الآلهة والغريب، أن أيًّا من الطرفين لن يخون الآخر. أقسموا على أسلحتهم، وعلى دروبنير، إسورة ذراع أودِن الذهبية، وأقسموا على جونِّير، رمح أودِن. والقسم على جونِّير غير قابل للحنث.

في الصباح التالي، حين أشرقت الشمس، وقف الآلهة يراقبون الرجل يعمل. بصق في يديه وبدأ في حفر الخندق الذي ستمضي فيه أول الحجارة.

قال هايمدال: «إنه يحفر عميقًا».

قال فري، أخو فريا: «إنه يحفر بسرعة».

قال لوكي على مضض: «حسنًا، نعم، من الواضح أنه حفَّار عظيم للمصارف والخنادق، لكن تخيل عدد الصخور التي سيحتاج إلى نقلها من الجبال إلى هنا؟ إن حفر الخنادق شيء، وجلب الصخور كل هذا الأميال بلا مساعدة، ثم وضعها واحدة فوق الأخرى، ملتصقين بإحكام إلى

درجة أن نملة لا تستطيع الزحف بينها، وأعلى من قدرة أي عملاق على التسلق، لهو شيء آخر».

نظرت فريا إلى لوكي بتقزز، لكن لم تقل شيئًا.

عندما غربت الشمس، اعتلى البنَّاء حصانه، وانطلق نحو الجبل ليجمع أول أحجاره. جر الحصان خلفه مزلجة حجرية، وهي زلاقة منخفضة تُجر على الأرض الناعمة. تابعته الآلهة يذهب. تحت قمر سماء أول الشتاء العالي الشاحب.

قال لوكي: «سيعود بعد أسبوع. أشعر بالفضول لمعرفة كَمّ الصخور التي سيستطيع حصانه سحبها. يبدو قويًّا».

مضى الآلهة ليولموا في قاعتهم، وكان هناك الكثير من المرح والضحك، غير أن فريا لم تضحك.

قبل الفجر تساقطت الثلوج، ندف ثلج رقيقة كالغبار، تنذر بالثلج العميق الذي سيأتي مع توغل الشتاء.

هايمدال، الذي يرى كل ما يقترب من أسجارد ولا يفوته شيء، أيقظ الآلهة في الظلام. اجتمعوا عند الخندق الذي حفره الغريب اليوم السابق. في جمعهم راقبوا البنَّاء يمشي بجوار حصانه، قادمًا تجاههم.

كان الحصان يجر بثبات عددًا من قوالب الجرانيت الثقيلة إلى درجة أن المزلجة صنعت أثرًا عميقًا في الأرض السوداء.

عندما رأى الرجل الآلهة لوح لهم وألقى تحية الصباح مبتهجًا، وأشار إلى الشمس المشرقة، وغمز إلى الآلهة. ثم فك حصانه عن الصخور وتركه يرعى، بينما بدأ هو في حمل أول قوالب الجرانيت بيده العارية إلى الخندق الذي حفره لها.

قال بالدر، أجمل الإيسر: «هذا حصان قوي بالفعل. لا يوجد حصان عادي قادر على جر صخور بهذا الثقل».

قال كفاسير Kvasir الحكيم: «أقوى مما تخيلنا».

قال لوكي: «آه، سيتعب الحصان عمَّا قريب. ذلك كان أول أيام الشغل. لن يقدر على نقل نفس الكم من الصخور كل ليلة. والشتاء يقترب، والثلج سيكون عميقًا سميكًا، والعواصف ستحجب الرؤية، والطريق إلى الجبل ستكون صعبة. لا يوجد ما يثير القلق. كل شيء يمضي مثل الخطة».

قالت فريا، التي وقفت دون أن تبتسم جوار لوكي: «أكرهك إلى أقصى درجة». ومشت عائدة إلى أسجارد في الفجر، دون أن تنتظر لمراقبة الغريب يبني أساسات جداره.

وصار البنَّاء والحصان يخرجان مع المزلجة الحجرية الخاوية إلى الجبل في كل ليلة، وفي كل صباح يعودان، والحصان يجر عشرين قالبًا آخر من الجرانيت، كل قالب أضخم من أطول الرجال.

أصبح الجدار يكبر يومًا بعد يوم.

وذات مساء، حينما أمسى أكثر هيبة وضخامة من أي وقت مضى، استدعى أودِن الآلهة.

قال: «ينمو الجدار باطراد، ونحن قد أقسمنا قسمًا لا يُحنث، قسمًا على إسورة، قسمًا على

سلاح، أنه لو أنهى بناء الجدار في وقته، سنمحنه الشمس والقمر ويد الجميلة فريا للزواج».

قال كفاسير الحكيم: «لا يوجد إنسان قادر على فعل ما يفعله هذا البنَّاء. أشك أنه شيء آخر لا إنسان».

قال أودِن: «ربما عملاق؟».

تنهد بالدر، «فقط لو كان ثور هنا!».

قال أودِن: «ثور يحطم الغيلان بمطرقته بعيدًا في الشرق، وحتى لو عاد، فقسمنا عظيم ومُلزِم».

حاول لوكِي طمأنتهم. «نحن كالنسوة العجائز، نقلق أنفسنا بلا داعٍ. لا يستطيع البنَّاء إنهاء الجدار في أول أيام الصيف، حتى لو كان أقوى عملاق على الإطلاق. ذلك مستحيل».

قال هايمدال: «أتمنى لو كان ثور هنا، كان سيعلم ما العمل».

هطل الثلج، لكن الثلج العميق لم يعقْ بناء الجدار، ولم يبطئ سفاديلفاري، حصانه. جر الفحل الرمادي المزلجة عبر الثلج المتراكم وعبر العواصف، صاعدًا التلال المنحدرة ونازلًا الوديان المتجمدة.

وبدأت الأيام تطول.

صار الفجر يأتي مبكرًا مع كل صباح، وبدأ الثلج يذوب، والوحل الناتج كان سميكًا ثقيلًا، ذلك النوع من الطين الذي يعلق بحذائك طويل الرقبة ويسحبك إلى الأسفل.

قال لوكِي: «لن يقدر الحصان أبدًا على نقل الصخور عبر الوحل، سيغوص وستعلق خطواته».

غير أن خطوات سفاديلفاري كانت واثقة عنيدة، حتى عبر أكثر الطين عمقًا وبللًا، وظل ينقل الصخور إلى أسجارد، رغم أن المزلجة الحجرية كانت شديدة الثقل إلى درجة أنها حفرت أخاديد عميقة في التلال. الآن صار البنَّاء ينقل الصخور مئات الأقدام إلى الأعلى، ويضع بيده كل صخرة في مكانها.

جف الطين وخرجت زهور الربيع بوفرة: الفرفرة الصفراء وشقائق النعمان البيضاء. والجدار المبني حول أسجارد بات مجيدًا مهيبًا، وعندما ينتهي سيكون منيعًا، لا عملاق ولا غول ولا قزم ولا فانٍ سيكون قادرًا على اختراقه. وتابع الغريب البناء بلا كلل وبروح مرحة، لم يبدُ عليه أي اهتمام بهطول مطر أو ثلج، ولا بدا على حصانه. كل صباح يجلبان الصخور من الجبال، وكل يوم يضع البنَّاء قوالب الجرانيت الجديدة فوق الطبقة السابقة.

وأصبح آخر يوم من الشتاء، والجدار شبه مكتمل.

جلست الآلهة على عروشها في أسجارد، وتحدثوا فيما بينهم.

قال بالدر: «الشمس، لقد ضيعنا الشمس».

قال براجي Bragi، رب الشعر، بمزاج معتل: «لقد وضعنا القمر في السماء لتفرقة أيام وأسابيع السنة، والآن لن يعود هناك قمر».

سأل تير: «وفريا؟ ماذا سنفعل بدون فريا؟».

قالت فريا، بصوت كالجليد: «لو اتضح أن ذلك البنَّاء عملاق، سأتزوجه وأتبعه إلى يوتونهايم،

وسيكون من المسلي اكتشاف من سأكرهه أكثر: هو لأخذي بعيدًا أم أنتم للتخلي عني له».

بدأ لوكي حديثه: «لا تقولي ذلك..»، لكن فريا قاطعته وقالت: «إن أخذني ذلك العملاق، وأخذ الشمس والقمر، فأنا أسأل شيئًا واحدًا من آلهة أسجارد».

قال أودِن أبو الجميع، الذي لم يقل شيئًا حتى الآن: «سمي ما تريدين».

قالت فريا: «أود رؤية من سبَّب تلك الكارثة مقتولًا قبل أن أذهب. أعتقد أن ذلك هو العدل. لو كنت سأذهب إلى أرض عمالقة الصقيع، والشمس والقمر سيُنتزعان من السماء، والعالم سيغرق في ظلام أبدي، إذن فحياة ذلك الذي أوصلنا إلى هذه النقطة يجب أن تُصادر».

قال لوكي: «يصعب توزيع اللوم، من الذي يتذكر بالضبط من الذي اقترح ماذا؟ بحسب ما أذكر، فكل الآلهة مشاركة بالتساوي في هذه الغلطة المؤسفة. لقد اقترحناها جميعًا، ووافقنا عليها..».

قالت فريا: «أنت من اقترحتها، أنت من أقنعت بها أولئك الحمقى. ولن أغادر أسجارد إلا على جثتك».

بدأ لوكي: «كلنا...»، لكنه رأى التعبيرات على وجوه كل الآلهة في القاعة، فصمت.

قال أودِن: «لوكي يا ابن لويفي، تلك عاقبة مشورتك الفاسدة».

قال بالدر: «بنفس سوء كل نصائحك». رماه لوكي بنظرة حاقدة.

قال أودِن: «نحتاج إلى أن يخسر البنَّاء رهانه، دون أن نحنث بالقسم. يجب أن يفشل».

قال لوكي: «لا أعرف ماذا تتوقعون مني أن أفعل حيال ذلك».

قال أودِن: «لا أتوقع منك أي شيء. لكن لو نجح ذلك البنَّاء في إتمام جداره بنهاية الغد، فستكون ميتتك قاسية طويلة سيئة مخزية».

نظر لوكي من رب إلى آخر، وفي وجه كل منهم رأى موته، رأى الغضب والامتعاض. لم يجد أي رحمة أو غفران.

ستكون ميتة سيئة بالتأكيد. لكن ما البديل؟ ما الذي يسعه فعله؟ إنه لا يجرؤ على مهاجمة البنَّاء. لكن في المقابل...

أومأ لوكي: «دعوا الأمر لي».

خرج من القاعة، ولم يحاول أي من الآلهة إيقافه.

أنهى البنَّاء رصَّ حمولته من الحجارة على الجدار. غدًا، أول أيام الصيف، حينما تغرب الشمس، سيكون قد أتم جداره، وسيغادر عندها أسجارد بأجره. لم يبقَ إلا عشرين قالب جرانيت. تسلق هابطًا على السقالات الخشبية المرتجلة وصَفَرَ لحصانه.

كان سفاديلفاري يرعى، مثلما يفعل في العادة، عند العشب العالي على حافة الغابة، على بعد نصف ميل تقريبًا من الجدار، لكنه جاء كما تعود مع صافرة سيده.

جذب البنَّاء الحبال المربوطة بالمزلجة الحجرية الخاوية وجهزها للتثبيت على حصانه الرمادي العظيم. الشمس كانت دانية في السماء، لكنها لن تغرب قبل عدة ساعات، وقرص القمر كان

شاحبًا، لكنه موجود وعالٍ، في السماء أيضًا. عمّا قريب سيكون كلاهما له، النور الأكبر والأصغر، والسيدة فريا، التي هي أجمل من الشمس والقمر. لكن البنَّاء لن يُعدَّ نفسه منتصرًا قبل أن يصبحوا في يده. لقد عمل بجد، وعمل طويلًا، طوال الشتاء...

صفر لحصانه مجددًا. هذا غريب، لم يحتج من قبل لأن يصفر له مرتين. استطاع الآن رؤية سفاديلفاري، يهز رأسه ويكاد يتقافز بين الزهور البرية في مروج الربيع. يأخذ الحصان خطوة إلى الأمام ثم أخرى إلى الخلف، وكأنه يشم رائحة لافتة في الهواء الدافئ للمساء الربيعي، لكن لا يستطيع تفسير مصدرها.

نادى البنَّاء: «سفاديلفاري!»، وانتصبت أذنا الفحل وخَبَّبَ مسرعًا عبر المرج، متجهًا إلى البنَّاء.

تابع البنّاء حصانه يقترب منه، وشعر بالرضا. ترددت خطى الحوافر في المرج، تتضاعف مرة ومرتين بينما ترتد عن الحائط الجرانيتي الرمادي العالي، حتى شعر البناء لوهلة أن قطيعًا كاملًا من الأحصنة قادم تجاهه.

فكر البنَّاء: لا، فقط حصان واحد.

هز رأسه وأدرك خطأه. ليس حصانًا واحدًا، ليس صوت مجموعة واحدة من الحوافر، بل اثنتين...

الحصان الآخر كانت فرسًا كستنائية. عرف البنَّاء أنها فرس فورًا، لم يحتج إلى النظر بين أرجلها. كل خط في شكلها، كل شبر منها، كل ما في الفرس الكستنائية كان أنثويًّا. انحرف جري سفاديلفاري في المرج، ثم أبطأ، ثم تراجع وصهل عاليًا.

تجاهلته الفرس. توقفت عن الجري وكأنه غير موجود، ثم انحنت برأسها إلى أسفل وكأنها تأكل العشب بينما اقترب منها سفاديلفاري، لكن بعدما صار على بعد عدة ياردات بدأت في الابتعاد عنه، خببها تحول بسرعة إلى عدو، وركض الفحل الرمادي خلفها محاولًا اللحاق بها، يحاول قضم ذيلها وردفها بأسنانه، لكنه يفشل كل مرة.

جرى الحصانان، الرمادي والبني، عبر المرج تحت الضوء الذهبي الكريمي المميز لنهاية اليوم، يلتمع العرق على خاصرتيهما، في مشهد أشبه ما يكون بالرقص.

صفق البنَّاء بيديه عاليًا، وصفر، ونادى سفاديلفاري باسمه، لكن الفحل تجاهله.

جرى البنَّاء ناويًا إمساك الحصان وإعادته إلى صوابه، لكن الفرس الكستنائية بدت وكأنها تعلم نيته، فقد أبطأت ومسحت أذنيها وعرفها في جانب رأس الحصان، ثم ركضت، وكأن الذئاب تطاردها، إلى حافة الغابة. اتبعها سفاديلفاري، وبعد ثوانٍ اختفى كلاهما في ظلال الغابة.

سبَّ البنَّاء، وبصق، وانتظر ظهور حصانه من جديد.

طالت الظلال، ولم يعد سفاديلفاري.

عاد البنّاء إلى مزلجته الحجرية، نظر إلى الغابة، ثم بصق في يديه، وأخذ الحبال، وبدأ في سحب المزلجة عبر مروج العشب وزهور الربيع، متجهًا إلى المقلع في الجبل.

لم يعد إلى أسجارد في الفجر. وعندما فعل، ساحبًا المزلجة الحجرية خلفه، كانت الشمس بالفعل في أعلى السماء.

على مزلجته كان هناك عشرة قوالب حجارة، كل ما تمكن من تحمله، كان يشد ويسحب المزلجة ويلعن الحجارة، لكن مع كل سحبة كان يقترب من الجدار أكثر.

وقفت فريا الجميلة على البوابة تراقبه.

قالت له: «لديك عشرة قوالب فقط، تحتاج إلى ضعف ذلك لإنهاء جدارنا».

لم يقل البنَّاء شيئًا. تابع نقل الحجارة إلى البوابة غير المنتهية، وجهه كان قناعًا، بلا ابتسامات ولا غمزات كما المعتاد.

قالت له فريا: «ثور عائد من الشرق، سيكون معنا قريبًا».

خرج أرباب أسجارد بينما كان ينقل الحجارة إلى الجدار. انضموا إلى فريا، وقفوا حولها كأنهم يحمونها.

راقبوا، بصمت في البداية، ثم بدءوا في الابتسام وتبادل الضحكات الخافتة، وإلقاء الأسئلة.

صاح بالدر: «ستنال الشمس فقط إن أتممت الجدار. أتحسب أنك ستعود إلى بيتك بالشمس معك؟».

قال براجي: «والقمر كذلك. من المؤسف أن حصانك ليس معك، كنت ستتمكن من حمل كل ما تحتاج إليه من الصخور».

وضحك الآلهة جميعًا.

حينها ترك البنَّاء مزلجته الحجرية، وواجه الآلهة، قال: «لقد غششتم!»، وجهه كان قرمزيًّا من الإجهاد والغضب.

قال أودِن: «لم نغش، ليس أكثر من غشك. أتحسب أننا كنا سنتركك تبني جدارنا إن عرفنا أنك عملاق؟».

التقط البنَّاء صخرة بيد واحدة وحطمها بأخرى، قاسمًا قالب الجرانيت إلى قالبين. استدار ليواجه الآلهة حاملًا صخرة بكل يد، وقد صار الآن بطول عشرين، ثلاثين، خمسين قدمًا. تبدل وجهه، لم يعد يبدو كالغريب الذي جاء لأسجارد قبل موسم، رائق الوجه معتدل المزاج. بدا وجهه الآن مثل الوجه الجرانيتي لجرف نحته الغضب والكراهية.

قال: «أنا عملاق جبال، وأنتم أيتها الآلهة لستم إلا عصبة نصابين لا يحترمون اليمين. وإن كان حصاني لا يزال معي كنت سأنهي الجدار الآن. كنت سآخذ فريا الجميلة والشمس والقمر أجرًا مستحقًّا، وكنت سأترككم هنا في الظلام والبرد، دون حتى جمال يعزيكم».

قال أودِن: «لم يُحنث بأي يمين هنا، ولا يستطيع أي يمين أن يحميك منا الآن».

زأر عملاق الجبال بغضب وجرى نحو الآلهة، تحمل كل يد كتلة جرانيتية هائلة مثل هراوة.

تنحت الآلهة جانبًا، والآن فقط رأى العملاق من يقف خلفهم. إله ضخم، أصهب اللحية مفتول العضلات، يرتدي قفازات معدنية ويحمل مطرقة حديدية، طوح المطرقة مرة واحدة، وتركها تطير متجهة إلى العملاق.

لمع البرق في السماء الصافية، تبعه هزيم معتدل للرعد، بينما تركت المطرقة يد ثور.

رأى عملاق الجبال المطرقة تكبر بينما تقترب منه بسرعة، ثم لم يرَ أي شيء آخر، ولن يفعل أبدًا.

أتم الآلهة بناء الجدار بأنفسهم، رغم أن قطع وحمل آخر عشر قوالب من المقالع في أعالي الجبال، وجرهم على طول الطريق إلى أسجارد، ووضعهم في المكان المناسب على قمة البوابة استغرق منهم أسابيع عديدة. ولم تكن حتى صخورهم ممتازة سليمة التكوين مثل تلك التي وضعها سيد البنّائين بنفسه.

كان هناك بعض الآلهة التي شعرت أنهم كان عليهم ترك العملاق يقترب أكثر من إتمام الجدار قبل أن يقتله ثور. وقال ثور إنه سعيد بتجهيز الآلهة له بعضًا من المتعة في انتظار عودته من الشرق.

والغريب، لأن ذلك كان أبعد ما يكون عن شخصيته، كان أن لوكي لم يظهر لتلقي المديح على دوره في إبعاد الحصان سفاديلفاري. لم يعلم أحد أين كان، رغم أنه كان هناك من تحدثوا عن رؤية فرس كستنائية مذهلة في المروج أسفل أسجارد. ظل لوكي بعيدًا بعضًا من العام، ثم ظهر مجددًا، بصحبته مهر رمادي.

كان مهرًا جميلًا، برغم امتلاكه ثماني أرجل بدلًا من الأربع المعتادين، واتباعه للوكي أينما ذهب وتمسحه فيه، ومعاملته للوكي وكأنه أمه، وهو ما كان واقع الأمر فعلًا.

كبر المهر ليصبح حصانًا يدعى سليبنير Sleipnir، فحلًا رماديًّا هائلًا، أسرع وأقوى حصان وُجد من قبل أو سيوجد على الإطلاق، حصان قادر على سبق الريح.

قدم لوكي سليبنير لأودِن هدية، أفضل حصان عرفه الآلهة والبشر.

سيُعجب العديدون بحصان أودِن، لكن الشجعان من الرجال فقط سيذكرون نسبه في حضور لوكي، ولم يجرؤ أحد قط على التلميح إلى ذلك مرتين. فلوكي سيخرج عن طوره ويتكفل بجعل حياتك جحيمًا لو سمعك تتحدث عن كيف أغوى سفاديلفاري من سيده وكيف أنقذ الآلهة من عواقب فكرته السيئة. لوكي لا ينسى إساءة.

وتلك كانت حكاية كيف حصلت الآلهة على جدارها.

أبناء لوكي

كان لوكي وسيمًا، ويعرف انه كذلك. أراد الآخرون أن يحبوه، أرادوا أن يصدقوه، لكنه كان في أفضل الأحوال شخصًا لا يُعتمد عليه يدور في فلك نفسه، ومؤذيًا وشريرًا في أسوئها. تزوج امرأة تدعى سيجين Sigyn، والتي كانت سعيدة وجميلة عندما تزوجها، لكنها الآن تبدو كما لو أنها تتوقع خبرًا سيئًا طوال الوقت. أنجبت له ابنًا، نارفي Narfi، وبعده بقليل ابنًا ثانيًا، فالي Vali.

أحيانًا كان لوكي يختفي لفترات طويلة دون عودة، وحينها تتوقع سيجين أسوأ الأنباء على الإطلاق، لكن لوكي دائمًا ما يعود إليها، يبدو مراوغًا مذنبًا، ويبدو أيضًا كما لو أنه شديد الفخر بنفسه.

ثلاث مرات يذهب... وثلاث مرات، في النهاية، يعود.

آخر مرة عاد فيها إلى أسجارد، استدعاه أودِن.

قال الرب الحكيم ذو العين الواحدة: «حلمت حلمًا، لديك أبناء».

«عندي نارفي، فتى طيب، لكن أعترف أنه لا يسمع دومًا كلام أبيه، وابن آخر، فالي، مطيع ومهذب».

«ليس هذان. لديك ثلاثة أطفال آخرين يا لوكي. لقد كنت تتسلل لتقضي أيامك ولياليك في أرض عمالقة الصقيع مع العملاقة أنجربودا. وأنجبت لك ثلاثة أطفال. رأيتهم بعين عقلي إبان نومي، ورؤياي تقول إنهم سيصيرون ألد أعداء الآلهة في وقت لم يحن بعد».

لم يقل لوكي شيئًا. حاول أن يبدو كما لو أنه يشعر بالعار، ونجح ببساطة في أن يبدو مسرورًا بنفسه.

استدعى أودِن الآلهة، على رأسهم تير وثور، وأخبرهم أنهم سيرتحلون إلى يوتونهايم، إلى أرض العمالقة، ليجلبوا أبناء لوكي إلى أسجارد.

سافرت الآلهة إلى أرض العمالقة، وواجهوا العديد من المخاطر، إلى أن وصلوا إلى مسكن أنجربودا. لم تكن تتوقع مجيئهم، وتركت أبناءها يلعبون معًا في القاعة الرئيسية. صُعقت الآلهة عندما اكتشفوا ماهية أبناء لوكي وأنجربودا، لكن ذلك لم يردعهم. قبضوا على الأطفال وقيدوهم، ثم حملوا الأكبر فيما بينهم، مربوطًا في جذع شجرة صنوبر، وكمموا خطم الطفل الثاني بكمامة صنعت من الصفصاف المعقود، ووضعوا حبلًا حول رقبته كسلسلة، بينما مشت الثالثة بجوارهم، كئيبة ومُربكة.

من كانوا على يمين الطفلة الثالثة، رأوا فتاة صغيرة جميلة، بينما من على يسارها حاولوا تجنب النظر إليها، فقد رأوا فتاة ميتة، جلدها مثل لحمها، متعفن أسود، تمشي بينهم.

«هل لاحظت شيئًا؟»، كان ذلك سؤال ثور لتير في ثالث أيام رحلة عودتهم من أرض عمالقة الصقيع. كانوا قد أقاموا معسكرهم في أرض عراء صغيرة، وتير يداعب فرو رقبة ابن لوكي الثاني بيده اليمنى العملاقة.

«ماذا؟».

«إنهم لم يتبعونا، أعني العمالقة. ولا حتى أم تلك الكائنات فعلت. وكأنهم كانوا يريدون منا أن نأخذ أبناء لوكي بعيدًا عن يوتونهايم».

قال تير: «ذلك هراء»، لكنه حينما قال ذلك، برغم دفء النيران، ارتجف.

بعد يومين أخرين من السفر الشاق، صاروا في قاعة أودِن.

قال تير بإيجاز: «هؤلاء هم أبناء لوكي».

أول أبناء لوكي، الذي كان مقيدًا إلى شجرة صنوبر، بات الآن أطول من الشجرة المقيد إليها. اسمه كان يورمنجاندر Jormun-gundr، وكان ثعبانًا. قال تير: «لقد نما عدة أقدام في أثناء طريقنا إلى هنا».

قال ثور: «احذر، بوسعه بصق سم أسود. لقد بصق عليَّ السم لكنه أخطأني. لذلك قيدنا رأسه إلى الشجرة بهذا الشكل».

قال أودِن: «إنه طفل، لا يزال ينمو. سنرسله إلى حيث لا يطال أذاه أحد».

أخذ أودِن الثعبان إلى شاطئ البحر الذي يقع وراء كل الأراضي، البحر الذي يحيط بميدجارد، وهناك أطلق سراح يورمنجاندر، وراقبه يزحف وينزلق تحت الأمواج، ويعوم مبتعدًا في دوائر وتعرجات.

راقبه أودِن بعينه الواحدة حتى اختفى في الأفق، وتساءل إن كان قد فعل الصواب. لم يعرف الإجابة، لقد فعل ما أملاه عليه حلمه، لكن الأحلام تعلم أكثر مما تفصح عنه، حتى لأحكم الآلهة.

سينمو الثعبان تحت المياه الرمادية لمحيط العالم حتى يحيط بالأرض. سيطلق الناس على يورمنجاندر ثعبان ميدجارد.

عاد أودِن إلى القاعة الكبرى، وأمر ابنة لوكي بالمثول أمامه.

حدق إلى الفتاة: على الجانب الأيمن من وجهها كانت وجنتها وردية بيضاء، وعينها خضراء مثل أعين لوكي، وشفتاها ممتلئتين قرمزيتين، أما جانب وجهها الأيسر فقد كان مبقعًا مخططًا متورمًا برضوض الموت، وعينها عديمة الرؤية كانت متعفنة شاحبة، وفمها عديم الشفاه ذَبُل وامتد على طول أسنان الجمجمة البنية.

سأل أبو الجميع: «بماذا ينادونك يا فتاة؟».

قالت: «ينادوني هيل Hel لو كان ذلك يرضيك يا أبأ الجميع».

قال أودِن: «أنت طفلة مؤدبة، أعترف بذلك».

لم تقل هيل شيئًا، فقط نظرت إليه بعينها الخضراء الوحيدة، الحادة مثل شريحة جليد، وبعينها الشاحبة، البليدة الفاسدة الميتة. ولم يرَ في أيهما أي خوف.

سأل الفتاة: «هل أنت حية؟ أم أنت جثة؟».

قالت: «أنا ما أنا، هيل، ابنة أنجربودا ولوكي، وأحب الموتى أكثر ممن عداهم. فهم بسطاء، ويخاطبونني باحترام، أما الأحياء فينظرون إليَّ باشمئزاز».

تأمل أودِن الفتاة، وتذكر رؤياه. ثم قال: «ستكون الطفلة حاكمة أعمق وأظلم الأماكن، وحاكمة موتى العوالم التسعة. ستكون ملكة الأرواح المسكينة التي ستموت بطرق تافهة، بالمرض أو بالشيخوخة، أو بحوادث الولادة. المحاربون الذين يموتون في المعركة سيأتون دومًا إلى هنا، في فالهالا، لكن الموتى الذين يرحلون بطرق أخرى سيكونون رعيتها، سيخدمونها في ظلمتها».

لأول مرة منذ أُخذت الفتاة من أمها، ابتسمت هيل، بنصف فمها.

أخذ أودِن هيل إلى الأسفل، إلى العالم عديم النور، وعرض عليها القاعة الهائلة التي ستستقبل فيها محكوميها، وراقبها بينما تسمي ممتلكاتها. قالت: «اسم طبقي هانجر [جوع]»، والتقطت سكينًا، «وهذه اسمها فامين [مجاعة]، وسريري اسمه سيك-بيد [سرير المرض]».

هذا كان ما صار مع اثنين من أبناء لوكي وأنجربودا، واحد في المحيط، وواحدة في الظلمة تحت الأرض. لكن ما العمل مع الثالث؟

عندما جاءوا بثالث وأصغر أبناء لوكي من أرض العمالقة، كان في حجم الجرو، يداعب تير رقبته ورأسه ويلعب معه، مزيلًا عن خطمه الكمامة الصفصافية. كان جرو ذئب، رماديًّا في أسود، عيناه بلون العنبر.

أكل جرو الذئب اللحم نيئًا، لكن تحدث بلسان الناس، وبلغة الآلهة والبشر، وكان ذا كبرياء. اسم الوحش الصغير كان فِنرير Fenrir.

كان ينمو بسرعة شديدة، ذات يوم أصبح بحجم ذئب، وفي التالي بحجم دب الكهوف، وفي الثالث بحجم أيل عظيم.

خشيته كل الآلهة، إلا تير. ظل يلعب ويتمرغ معه، وكان وحده من يطعم الذئب اللحم كل يوم. وكل يوم يأكل الوحش لحمًا أكثر من الذي سبقه، وكل يوم يصبح أكبر وأقوى وأشرس.

راقب أودِن الذئب-الطفل يكبر بتوجس، ففي أحلامه، سيكون الذئب موجودًا ساعة نهاية كل شيء، وآخر ما رآه أودِن في أحلامه المستقبلية كانت العيون الزبرجدية والأسنان الحادة البيضاء للذئب الفِنري.

اجتمعت الآلهة وعزمت على تقييد فِنرير.

صنعوا سلاسل ثقيلة وأصفادًا في أفران الآلهة، وحملوها إلى فِنرير.

قالت الآلهة، وكأنها تقترح لعبة جديدة: «لقد كبرت بسرعة يا فِنرير، حان وقت اختبار قوتك. لدينا هنا أثقل السلاسل والأصفاد. أتظن أنك قادر على تحطيمها؟».

قال الذئب الفِنري: «أعتقد ذلك، قيدوني».

لفَّت الآلهة السلاسل الهائلة حول فِنرير وصفدوا أطرافه. ظل ساكنًا بينما فعلوا ذلك. ابتسم الآلهة بعضهم لبعض بينما يقيدون الذئب الهائل.

قال ثور: «الآن».

شد فِنرير نفسه ومدد عضلات أرجله، تفتتت السلاسل مثل أغصان جافة.

عوى الذئب العظيم إلى القمر، عواء مبتهج منتصر. قال: «كسرت سلاسلكم، لا تنسوا ذلك».

قالت الآلهة: «لن ننسى».

في اليوم التالي، ذهب تير إلى الذئب باللحم. قال فِنرير: «كسرت الأغلال، كسرتها بسهولة».

قال تير: «نعم».

«أتظن أنهم سيختبرونني مجددًا؟ أزداد قوة بمرور كل يوم».

قال تير: «سيختبرونك مجددًا، أراهن بيدي اليمنى على ذلك».

ظل الذئب يكبر، وذهبت الآلهة إلى الحدادين، لتصيغ قيودًا جديدة. كل حلقة في القيود كانت أثقل من قدرة الرجل العادي على حملها. معدن السلاسل كان أقوى معدن استطاعت الآلهة إيجاده: حديد من الأرض ممزوج بحديد نزل من السماء. أطلقوا على هذه القيود درومي Dromi.

حملت الآلهة القيود إلى حيث ينام فِنرير.

فتح الذئب عينيه.

قال: «مرة أخرى؟».

قالت الآلهة: «إن استطعت التحرر من تلك القيود، سيذيع صيت قوتك في كل العوالم، والمجد سيكون لك. إن لم تستطع قيود مثل تلك كبحك، فسيعني هذا أن قوتك ستكون أعظم من أي إله أو عملاق».

أومأ فِنرير موافقًا. ونظر إلى السلاسل درومي، أكبر من أي سلاسل وُجدت من قبل، أقوى من أقوى الأغلال. قال الذئب بعد وهلة صمت: «لا مجد بلا خطر. أعتقد أني قادر على كسر تلك السلاسل... قيدوني».

قيدوه.

شد الذئب نفسه وتمدد، لكن السلاسل تحملت. نظرت الآلهة بعضها إلى بعض، وكان هناك بداية لمعة نصر في عيونهم. لكن الذئب الهائل بدأ الآن في التلوي والانتفاض، والركل بأرجله وشد كل عضلة وكل وتر. التمعت عيناه والتمعت أسنانه وزَبَّدَ شدقه.

زمجر بينما يتلوى، قاوم بكل قوته.

تراجعت الآلهة بلا وعي، وكان من الجيد أنهم فعلوا، فالسلاسل انشرخت، ثم انكسرت بعنف مذهل حتى أن قطعها طارت في الهواء، ولأعوام عديدة قادمة ستجد الآلهة فتات الأغلال المتحطمة في جوانب الأشجار الضخمة والجبال.

صاح فِنرير: «أجل!»، وعوى في غمرة فوزه مثل ذئب ومثل رجل.

لاحظ الذئب أن الآلهة، الذين راقبوا معاناته، لم يبدُ عليهم الفرحة بنصره. ولا حتى تير. أعمل ابن لوكي التفكير في هذا، وفي أمور أخرى.

ضخامة الذئب الفنري، مثل جوعه، كانت تتزايد يومًا عن يوم.

فكر أودِن وتدبر وتأمل. كانت له حكمة بئر ميمير كلها، والحكمة التي اكتسبها من الشنق في شجرة العالم، مضحيًا بنفسه لنفسه. في النهاية استدعى الإلف سكيرنير Skirnir، رسول فري، ووصف له السلسلة التي تسمى جليبنير Gleipnir. ركب سكيرنير حصانه على جسر قوس القزح متجهًا إلى سفارتالفهايم، بتعليمات للأقزام عن كيفية صنع سلسلة لا تشبه أي شيء صُنع من

قبل.

أصغى الأقزام لسكيرنير بينما يصف المطلوب منهم، وارتجفوا، وأعلنوا سعرهم. وافق سكيرنير، فرغم أن سعر الأقزام كان باهظًا، فإن تعليمات أودِن أخبرته أن يفعل. وجمع الأقزام المكونات التي سيحتاجونها لصنع جليبنير:

وهذه كانت الأشياء الستة التي جمعوها:

- أولًا، وقع قدم قطة.

- ثانيًا، لحية امرأة.

- ثالثًا، جذور جبل.

- رابعًا، عصب دب.

- خامسًا، نفس سمكة.

- سادسًا وأخيرًا، لعاب طائر.

استُخدمت كل من تلك الأشياء لصنع جليبنير. (تقول إنك لم ترَ هذه الأشياء قط؟ بالطبع لم تفعل. فالأقزام استخدموها في صنعتهم).

عندما انتهى الأقزام من عملهم، أعطوا سكيرنير صندوقًا خشبيًا. داخل الصندوق كان شيء يبدو كشريط حريري طويل، ناعم رقيق الملمس، شبه شفاف، ولا يكاد يكون له وزن.

انطلق سكيرنير عائدًا إلى أسجارد بجواره الصندوق على الحصان. وصل في آخر المساء، بعدما غربت الشمس. عرض على الآلهة ما جلبه معه من ورشة الأقزام، وذُهلوا مما رأوا.

ذهبت الآلهة إلى شاطئ البحيرة السوداء، ونادوا على فِنرير باسمه. جاء راكضًا، مثلما يأتي كلب عند مناداته، وتعجب الآلهة من رؤية مدى ضخامته وقوته.

سأل الذئب: «ما الذي يحدث؟».

قالوا له: «لقد حصلنا على أقوى القيود على الإطلاق، حتى أنت لن تقدر على الإفلات منها».

نفخ الذئب نفسه، قال بخيلاء: «بوسعي تحطيم أي سلاسل».

فتح أودِن يده وكشف عن جليبنير، التي تألقت تحت ضوء القمر.

قال الذئب: «تلك؟ إنها لا شيء».

تجاذبتها الآلهة ليروه كم هي قوية، قالوا: «لا نقدر على كسرها».

ضيق الذئب عينيه ناظرًا إلى الشريط الحريري الذي حملوه فيما بينهم، متلألئًا مثل أثر الحلزون أو نور القمر على الأمواج، ونظر بعيدًا بلا اهتمام.

قال: «لا، اجلبوا إليَّ أغلالًا حقيقية، أصفادًا حقيقية، ثقيلة ضخمة، ودعوني أريكم قوتي».

قال أودِن: «تلك هي جليبنير، أقوى من أي أغلال أو أصفاد. هل أنت خائف يا فِنرير؟».

«خائف؟ على الإطلاق. لكن ما الذي سيحدث إن قطعت قماشًا رفيعًا مثل هذا؟ أتحسبون أني سأنال أي صيت أو شهرة؟ أن الناس سيجتمعون ويقولون «أتعلمون مدى قوة وشدة الذئب

الفنري؟ إنه قوي إلى درجة قطع قطعة حرير»؟ لا مجد لي في التحرر من جليبنير».

قال أودِن: «بل أنت خائف».

تشمم الوحش الهائل الهواء. قال الذئب: «أشم خيانة وخداعًا»، التمعت عيناه العنبريتان تحت ضوء القمر، «ورغم أني أعتقد أن جليبنيركم ليست إلا قماشة، فإني لن أرضخ للتقيد بها».

قال ثور: «أنت؟ أنت يا من كسرت أكبر وأقوى السلاسل التي صُنعت على الإطلاق؟ خائف من ذاك الشريط؟».

زمجر الذئب: «أنا لا أخاف من شيء، بل أظنكم أيتها المخلوقات الصغيرة خائفين مني».

حك أودِن لحيته. «أنت لست غبيًّا يا فِنرير. لا خيانة هنا، لكني أفهم ترددك. يحتاج الأمر إلى محارب شجاع ليوافق على التقيد برباط لا يستطيع الفكاك منه. أؤكد لك، بصفتي أبا الآلهة، أنك لو لم تقدر على كسر ذلك الشريط -القماشة الحريرية مثلما تقول- إذن فليس لدينا، نحن الآلهة، أي سبب لنخاف منك، سنحررك ونتركك في حالك».

صدرت عن الذئب زمجرة طويلة. «أنت تكذب يا أبا الجميع، الكذب بالنسبة إليك مثل التنفس بالنسبة إلى الآخرين. لو وضعتموني في قيود لا أقوى على الفكاك منها، لا أظن أنكم ستحررونني، بل ستتركونني هنا. أظنكم تخططون لهجري وخيانتي. لا أوافق على وضع هذا الشريط عليَّ».

قال أودِن: «كلام جميل، مناسب لمداراة خوفك من إثبات أنك جبان أيها الذئب الفِنري. خائف من التقيد بشريط حريري. لا حاجة إلى مزيد من الشرح».

تدلى لسان الذئب من فمه، ثم ضحك، مظهرًا أسنانًا حادة، الواحدة بحجم ذراع الرجل. «بدلًا من التشكيك في شجاعتي، أتحداك أن تثبتوا أنكم لم تخططوا لخيانة. يمكنك أن تقيدني فقط إن وضع أحدكم ذراعه في فمي. سأضغط عليها بأسناني برقة دون أن أعضها. لو لم يكن هناك خداع، سأفتح فمي عندما أهرب من الشريط، أو عندما تحرروني، ويده ستخرج دون سوء. ها أنا أقسم لكم، لو صارت في فمي ذراع، بوسعكم تقييدي بالشريط. من منكم سيعطيني يده؟».

نظرت الآلهة بعضها إلى بعض، بالدر نظر إلى ثور، هايمدال نظر إلى أودِن، هونير نظر إلى فري، لكن أيهم لم يحرك طرفًا. ثم تنهد تير، ابن أودِن، وخطا إلى الأمام رافعًا يده اليمنى.

قال تير: «سأضع يدي في فمك يا فِنرير».

انبطح فِنرير على جانبه، ووضع تير يده اليمنى في فمه، بالضبط مثلما كان يفعل عندما كان فِنرير جروًا وكانا يلعبان معًا. أغلق فِنرير أسنانه برقة حتى ضغط على رسغ تير دون أن يخترق جلده، ثم أغلق عينيه. ربطته الآلهة بجليبنير. لف الأثر الحلزوني اللامع الذئب الهائل، قيد أرجله، وحدَّ من حركته.

قال أودِن: «الآن أيها الذئب الفِنري، أرنا مدى قوتك».

شد الذئب واشتد، مدد وضغط كل عصب وعضلة في جسده لتمزيق الشريط الذي يقيده. لكن بدا أن كل ضغطة تزيد المهمة صعوبة، وكل شدة تزيد الشريط اللامع قوة.

في البدء افترت ثغور الآلهة، ثم بدءوا في الابتسام. في النهاية، عندما أمسوا متيقنين أن الوحش بات عاجزًا عن الحركة وأنهم ليسوا في خطر، ضحكت الآلهة.

تير فقط ظل صامتًا. لم يضحك. كان بوسعه الشعور بحدة أسنان الذئب الفنري على رسغه، وبلل ودفء لسانه على كفه وأصابعه.

توقف فِنرير عن المحاولة. تمدد في مكانه بلا حركة. لو أن في نية الآلهة تحريره، سيفعلون الآن.

لكن الآلهة لم تفعل شيئًا سوى المزيد من الضحك. اختلطت قهقهات ثور، التي كانت أعلى من دوي الرعد، بضحكات أودِن الجافة، وضحكة بالدر التي ترن كالجرس...

نظر فِنرير إلى تير، ونظر إليه تير بشجاعة. ثم أغلق تير عينيه وأومأ. همس: «افعلها».

عض فِنرير على رسغه.

لم يصدر عن تير أدنى صوت. ببساطة لف يده اليسرى على جدعته اليمنى، وضغط بأقصى ما يستطيع ليخفف من تدفق نافورة الدم الناتجة.

راقب فِنرير الآلهة يأخذون أحد طرفي جليبنير ويمرروه حول صخرة ضخمة كالجبال، ثم يربطونه بإحكام تحت الأرض. ثم راقبهم يستخدمون صخرة أخرى كمطرقة على الأولى، ويدقونها عميقًا في الأرض، أعمق من أعمق المحيطات.

نادى الذئب: «أيها الخائن أودِن! لو لم تكذب عليَّ، كنت سأصير صديقًا للآلهة. لكن خوفك خانك. سأقتلك يا أبا الآلهة. سأنتظر حتى نهاية كل شيء، ثم سآكل الشمس وسآكل القمر. لكن متعتي الأعظم ستكون في قتلك».

حذر الآلهة من الاقتراب من متناول فك فِنرير، غير أن بينما هم يدفعون الصخرة إلى أسفل، تلوى فِنرير وحاول نهشهم. أقرب الآلهة منه، بسرعة بديهة، دفع بسيفه في سقف فم الذئب، وانحشر مقبض السيف في الفك السفلي، فالقًا الفم على اتساعه ومانعًا إياه من الانغلاق أبدًا.

هدر الذئب بكلمات غير مفهومة، وسال اللعاب من فمه نهرًا. لو لم تعلم مسبقًا أنه ذئب، لحسبته جبلًا صغيرًا ينبع من كهفه نهرًا.

تركت الآلهة المكان حيث جرى اللعاب محولًا إياه إلى بحيرة مظلمة، ولم يتحدثوا، لكن ما إن صاروا بعيدين بما يكفي حتى ضحكوا مرة أخرى، وربتوا بعضهم على ظهور بعض، وانفرجت أفواههم في ابتسامات أولئك الذين يحسبون أنفسهم يحسنون صنعًا.

لم يبتسم تير ولم يضحك. ضغط جدعة رسغه بقماشة، ومشى بجوار الآلهة إلى أسجارد، واحتفظ بما في رأسه لنفسه.

هؤلاء إذن أبناء لوكي.

زفاف فريا العجيب

ثور، إله الرعد، أعتى آلهة الإيسر، الأقوى والأشجع والأبسل في المعركة، لم يكن قد أفاق من نومه بالكامل بعد، لكن واتاه شعور أن شيئًا ما ليس على ما يرام. مد يده إلى المطرقة، التي يحتفظ بها دومًا في متناول يده حينما ينام.

عبث هنا وهناك بأعين مغلقة. تحسس بحثًا عن المقبض المريح المألوف لمطرقته.

لكن لا مطرقة.

فتح عينيه. جلس. نهض. مشى حول الغرفة.

لم تكن ثمة مطرقة في أي مكان، مطرقته ضاعت.

تُدعى مطرقة ثور ميولنير. صنعها لثور القزمان بروك وإيتري. وهي أحد كنوز الآلهة. لو ضرب ثور أي شيء بها، فهذا الشيء قد انتهى. إن ألقاها على شيء، لن تخطئ المطرقة هدفها، ودائمًا ما تعود في الهواء إلى يده. بوسعه تصغير المطرقة ليخبئها في قميصه، وبوسعه تكبيرها مجددًا. كانت مطرقة ممتازة في كل الخصائص عدا واحدة: مقبضها قصير إلى حد ما، ما يعني أن على ثور أن يطوحها بيد واحدة.

حمت مطرقة ثور آلهة أسجارد من كل المخاطر التي تهددهم وتهدد العالم. عمالقة الصقيع والغيلان والوحوش من كل شكل ولون، خافوا من مطرقة ثور.

أحب ثور مطرقته، والمطرقة لم تكن ببساطة هناك.

كانت هناك أشياء يفعلها ثور عندما تسوء الأمور. أولها هو أن يسأل نفسه إن كان ما حدث هو ذنب لوكي. فكر ثور، ووجد أنه لا يعتقد أن حتى لوكي ما كان ليجرؤ على سرقة مطرقته. هكذا فعل ثاني شيء يفعله عادة عندما تسوء الأمور، ذهب ليسأل لوكي النصيحة.

لوكي داهية، لوكي سيخبره ماذا يفعل.

قال لوكي لثور: «لا تقل هذا أي شخص».

«لكن مطرقة الآلهة سُرقت».

قال لوكي بملامح ملتوية: «تلك ليست أنباء طيبة. لنرَ ما الذي يسعني فعله».

ذهب لوكي إلى قاعة فريا. فريا كانت أجمل الآلهة. يتماوج شعرها الذهبي حول كتفيها، ويتألق تحت ضوء الصباح. يذرع أرجاء غرفتها قطاها المتلهفان على جر عربتها. حول عنقها، التمعت قلادة البريسنجيين، التي صنعها لفريا أقزام من أعمق أعماق الأرض.

قال لوكي: «أود استعارة عباءتك الريشية، التي تطيرين بها».

قالت فريا: «لا، مستحيل. العباءة هي أثمن ما أملك، أثمن حتى من الذهب. لن أسمح لك بارتدائها والتجول ناشرًا الأذى».

قال لوكي: «سُرقت مطرقة ثور، أحتاج أن أبحث عنها».

قالت فريا: «سأحضر لك العباءة».

وضع لوكي العباءة الريشية وركب الهواء على هيئة صقر. طار متجاوزًا أسجارد، وتوغل في أراضي العمالقة، بحثًا عن أي شيء مريب.

تحته، رأى جثوة ترابية ضخمة، عليها يجلس أضخم وأقبح غول عملاق رآه في حياته، يضفر طوق كلب. عندما رأى الغول لوكي على هيئة الصقر، ابتسم كاشفًا عن أسنان حادة ولوح له.

«كيف حال الإيسر يا لوكي؟ وما هي أخبار الإلفات؟ ولماذا جئت وحدك إلى أرض العمالقة؟».

هبط لوكي بجوار الغول. «لا شيء عدا الأنباء السيئة من أسجارد ومن الإلفات».

قال الغول: «فعلًا؟»، وضحك في نفسه، وكأنه شديد الغبطة بشيء فعله ويحسب نفسه بالغ الشطارة. تعرف لوكي على ذلك النوع من الضحكات، فهي شيء يصدر عنه أحيانًا.

قال لوكي: «مطرقة ثور ضائعة، أتعلم أي شيء عن ذلك؟».

حك الغول إبطه، وضحك مجددًا، اعترف: «ربما»، ثم قال: «كيف هي فريا؟ ألا تزال جميلة مثلما يقولون؟».

قال لوكي: «إن كنت تحب هذا النوع من الأشياء».

قال الغول: «آه، أفعل، أفعل».

تبع ذلك صمت آخر غير مريح. وضع الغول طوق الكلب جانبًا فوق كومة من أطواق الكلاب، وبدأ في تضفير آخر.

قال الغول للوكي: «مطرقة ثور معي، أخفيتها عميقًا تحت الأرض حتى لا يستطيع أحد إيجادها، ولا ثور نفسه. أنا الوحيد القادر على استعادتها مجددًا. وسأعيدها إلى ثور فقط لو جلبت لي ما أريد».

قال لوكي: «بوسعي افتداء المطرقة، يمكن أن أجلب لك العنبر، أن أجلب لك كنوزًا تفوق الحصر..».

قال الغول: «لا أريد الكنوز، أريد أن أتزوج فريا. أحضرها إلى هنا بعد ثمانية أيام من الآن. وسأعيد مطرقة الآلهة كهدية عروس في ليلة زفافي بفريا».

سأل لوكي: «من أنت؟».

ابتسم الغول وبانت أسنانه المتعرجة. «أنا ثريم Thrym سيد الغيلان، يا لوكي يا ابن لويفي».

قال لوكي: «لا يراودني شك أننا قادران على الوصول إلى اتفاق يا ثريم العظيم». ولف عباءة فريا الريشية حول نفسه، ومد ذراعيه وطار في السماء.

تحت لوكي بدا العالم صغيرًا جدًّا: نظر إلى الأشجار والجبال، وقد صارت أشياءً صغيرة كألعاب الأطفال، وحتى مشاكل الآلهة بدت له بنفس الصغر أيضًا.

كان ثور ينتظره في بلاط الآلهة، وقبل أن يهبط وجد لوكي نفسه محاطًا بيدي ثور الهائلتين. «ها؟ تعرف شيئًا، أرى ذلك في وجهك! أخبرني بكل ما تعرف، أخبرني الآن. أستطيع رؤية ذلك في وجهك. لا أثق بك يا لوكي وأريد معرفة ما تعرفه في تلك اللحظة بالذات، قبل أن يتسنى لك رسم خطة».

لوكي، الذي يضع الخطط بالسهولة التي يتنفس بها الآخرون، ابتسم من غضب ثور في براءة. قال: «سرق مطرقتك ثيرم، سيد الغيلان. أقنعته بإعادتها إليك، لكنه يريد لها ثمنًا».

قال ثور: «معقول، ما ثمنه؟».

«يد فريا للزواج».

سأل ثور أملًا: «يريد يدها فقط؟» في النهاية لديها يدان، ويمكن إقناعها بالتخلي عن إحداهما دون جدال طويل. ففي النهاية تير فعل ذلك.

قال لوكي: «بل كلها، يريد أن يتزوجها».

قال ثور: «أوه، لن يعجبها ذلك. اذهب وأخبرها، أنت أفضل في إقناع الآخرين بفعل الأشياء مني عندما لا أحمل مطرقتي».

ذهبا معًا إلى قصر فريا مرة أخرى.

قال لوكي: «إليك عباءتك الريشية».

قالت فريا: «شكرًا، أوجدت من سرق مطرقة ثور؟».

«ثريم، سيد الغيلان».

«سمعت عنه، شخص ابن حرام، ماذا يريد مقابلها؟».

قال لوكي: «أنتِ، يريد أن يتزوجك».

أومأت فريا.

ثور كان سعيدًا أنها بدت موافقة على الفكرة بهذه السهولة. قال: «ضعي تاج عرسك يا فريا واحزمي أشياءك، ستذهبين مع لوكي إلى أرض العمالقة. نحتاج إلى تزويجك بثريم قبل أن يغير رأيه، أريد استعادة مطرقتي».

لم تقل فريا شيئًا.

لاحظ ثور أن الأرض تهتز، وكذلك الجدران. ماءت قطط فريا وهسَّت، واختبأت تحت صندوق من الفراء رافضة الخروج. تكورت يدا فريا في قبضتين محكمتين. قلادة البريسنجيين قفزت من رقبتها إلى الأرض. لم يبدُ عليها أنها لاحظت. كانت تنظر إلى ثور ولوكي كأنهما أدنى وأقذر الحشرات التي رأتها في حياتها.

كاد ثور أن يتنهد ارتياحًا عندما بدأت تتحدث أخيرًا.

سألتهم بهدوء شديد: «أي نوع من الأشخاص تحسبوني؟ أتظنونني حمقاء؟ بخسة؟ أي شخص سيتزوج بغول فقط ليحل لكم مشكلة؟ إن كنتم تحسبونني سأذهب إلى أرض العمالقة، وأضع تاجًا وبرقع العروس، وأخضع للمسة و... ورغبة ذلك الغول... أني سأتزوجه... إذن..»، توقفت عن الحديث، ارتجفت الجدران مجددًا، وخاف ثور أن المبنى كله سيقع عليهم.

قالت فريا: «أخرجا، أي نوع من النساء تحسبانني؟».

قال ثور: «لكن، مطرقتي..».

قال لوكي: «اخرس يا ثور».

سكت ثور، وغادرا.

قال ثور: «إنها شديدة الجمال عندما تغضب، يمكنك أن ترى لماذا يريد ذلك الغول أن يتزوجها».

قال لوكي مرة أخرى: «اخرس يا ثور».

طلبا اجتماع كل الآلهة في القاعة الرئيسية، كل رب وربة عدا فريا، التي رفضت أن تخرج من بيتها. تحدثوا طوال اليوم، تداولوا، تجادلوا. لم يكن هناك نقاش في أن ميولنير يجب أن تعود، لكن كيف؟ قدم كل رب وربة اقتراحًا، وكل اقتراح فنده لوكي.

في النهاية ظل إله واحد لم يتحدث: هايمدال، من يرى بعيدًا، الذي يراقب العالم. لا يحدث أي شيء دون أن يراه هايمدال، وأحيانًا يرى في العالم أحداثًا لم تقع بعد.

قال لوكي: «ماذا عنك يا هايمدال؟ ألديك أي اقتراح؟».

قال هايمدال: «لديَّ، لكنكم لن تحبوه».

دق ثور بقبضته على المنضدة. قال: «لا يهم إن كنا سنحبه أو لا، نحن آلهة! لا يوجد شيء لن يفعله أيٌّ من الحاضرين هنا لاستعادة ميولنير، مطرقة الآلهة. أخبرنا بفكرتك، وإن كانت فكرة جيدة، سنحبها».

قال هايمدال: «لن تحبوها».

قال ثور: «سنحبها».

قال هايمدال: «إذن، أعتقد أن علينا أن نضع ثور في ملابس عروس. ونضع عليه قلادة البريسنجيين، وتاج العروس، ونحشو فستانه ليبدو كامرأة، ونغطي وجهه بالبرقع. سنجعله يرتدي مفاتيح ترن مثلما تفعل النساء. وسنغطيه بالمجوهرات..».

قال ثور: «لا أحبها. سيحسب الناس... سيحسبون أني ألبس ملابس النساء. هذا خارج النقاش تمامًا، لا أحبها. لن ألبس برقع عروس. لا يحب أيٌّ منا هذه الفكرة، ألسنا كذلك؟ فكرة سيئة جدًّا جدًّا. لدي لحية، لا أستطيع حلاقة لحيتي».

قال لوكي ابن لويفي: «اخرس يا ثور. إنها فكرة ممتازة. إن كنت لا تريد أن يغزو العمالقة أسجارد، سترتدي برقع العروس الذي سيخفي وجهك، بل وسيخفي لحيتك».

أودِن، الأعلى منزلة، قال: «إنها بكل تأكيد فكرة ممتازة. أحسنت فعلًا يا هايمدال. نحتاج إلى استعادة المطرقة، وتلك أفضل طريقة. أيتها الربات، جهزن ثور لليلة الزفاف».

جلبت له الربات أشياء ليرتديها. وليساعدن في تجهيزه، جاءت فريج وفولا Fulla وسيف وإيدون Idunn والبقية، وحتى سكادي Skadi زوجة أبي فريا. ألبسنه أفضل الملابس، من تلك التي ترتديها الربات رفيعات المقام في أعراسهن. ذهبت فريج لرؤية فريا وعادت من عندها بقلادة البريسنجيين، وعلقتها حول رقبة ثور.

سيف، زوجة ثور، علقت مفاتيحها في جانب ثور.

إيدون جلبت كل مجوهراتها وعلقتها حول ثور حتى بات يلمع ويتألق في ضوء الشموع، وجلبت له مئة خاتم من الذهب الأحمر والأبيض، ليضعها في أصابعه.

غَطَّين وجهه بالبرقع، فلم يعد يبدو منه إلا عيناه، ووضعت فار Var، ربة الزواج، منديل رأسها اللامع على رأس ثور: تاج عروس، عالٍ وعريض وجميل.

قالت فار: «لست متأكدة من العيون، لا تبدو لي شديدة الأنوثة».

همهم ثور: «أتمنى فعلًا أنها ليست كذلك».

نظرت فار إلى ثور. «لو شددت المنديل إلى أسفل سيغطيها، لكنه سيظل قادرًا على الرؤية».

قال لوكي: «افعلي ما بوسعك»، ثم قال: «سأكون خادمتك، وسأذهب معك إلى أرض العمالقة». غير لوكي هيئته، وصار الآن خادمة شابة جميلة، شكلًا وصوتًا. «كيف أبدو؟».

همهم ثور بشيء في سره، وربما كان من الأفضل أن أحدًا لم يسمعه.

تسلق لوكي عربة ثور، والماعزتان اللتان تجراها، سنارلر Snarler وجريندر Grinder، قفزتا إلى السماء، متشوقتين إلى الانطلاق. انقسمت الجبال نصفين أثناء مرورهم، والأرض انفجرت بالنيران تحتهم.

قال ثور: «ينتابني شعور سيئ حيال ما يحدث».

قال لوكي على هيئة الخادمة: «لا تتحدث، دعني أتولى الحديث كله. هل تستطيع تذكر ذلك؟ إن تحدثت قد ينهار الأمر برمته».

زمجر ثور.

هبطوا في الساحة. وقفت هناك ثيران عملاقة سوداء كالفحم بلا مبالاة. كل وحش منها كان أضخم من بيت، أطراف قرونهم كانت مغطاة بالذهب، عبقت الساحة بالرائحة الحادة لمخلفات الثيران.

صوت هادر جاء من داخل القصر العالي: «تحركوا أيها الأغبياء! انثروا على المصاطب قشًّا نظيفًا، ماذا تحسبون أنفسكم فاعلين؟ فلتزيلوها أو تغطوها بالقش، لا تتركوها حيث هي لتتعفن. إننا ننتظر فريا، أجمل كائنات الوجود، ابنة نجورد Njord. إنها لن تحب رؤية شيء مثل ذلك».

كان هناك مسار مصنوع من القش الطازج عبر الساحة. بعد مغادرتهم عربتهم، مضى ثور المتنكر ولوكي على هيئة خادمته على القش، رافعين تنانيرهم بأيديهم كيلا يعلق بها الطين.

كانت تنتظرهم امرأة عملاقة. قدمت نفسها على أنها شقيقة ثيرم، وانحنت لتقرص وجنة لوكي الجميلة بين أطراف أصابعها، ثم همزت ثور بظفرها الحاد. «هذه إذن أجمل امرأة في العالم؟ لا تبدو لي كذلك. عندما رفعت تنورتنها بدا لي كاحلها سميكًا كجذع شجرة صغيرة».

قالت الخادمة، التي هي لوكي، برقة: «خدعة بصرية، إنها أجمل الآلهة كلها. عندما ترفع برقعها، أعدكم أن جمالها سيصعقكم. والآن أين العريس؟ أين وليمة العرس؟ العروس متلهفة بشدة، لا أكاد أستطيع كبحها».

كانت الشمس تغرب بينما كانوا يقودوهما إلى القاعة الرئيسية حيث وليمة العرس. همس ثور للوكي: «ماذا إن أراد أن يجلس بجواري؟».

«عليك أن تجلس بجواره، هكذا تجلس العروس».

همس ثور بتعجل: «لكنه قد يحاول وضع يده على رجلي».

قال لوكي: «سأجلس بينكما، سأقول له إن تلك عاداتنا».

جلس ثيرم على رأس المائدة، ولوكي بجواره، وثور في المكان التالي على المصطبة. صفق ثيرم بيديه فدخل خدم عمالقة، يحملون خمسة ثيران مشوية، كافية لإطعام العمالقة. وجلبوا عشرين سمكة سلمون مخبوزة، كل سمكة بحجم طفل في العاشرة، وحملوا عشرات الصواني من المعجنات الصغيرة والملذات المخصصة للنساء.

تبعهم خمسة خدم آخرين، يحمل كل منهم برميلًا من الميد، برميلًا هائلًا كفاية إلى درجة أن كل عملاق كان يعاني تحت وزنه.

قال ثيرم: «هذه الوجبة لأجل الجميلة فريا!»، وربما كان ليقول شيئًا آخر، لكن ثور كان قد بدأ بالفعل في الأكل والشرب، وبات من الوقاحة أن يقول ثيرم أي شيء آخر بينما كانت عروسه المرتقبة تأكل.

صينية معجنات لأجل النساء وُضعت أمام لوكي وثور. بحذر التقط لوكي أصغر قطعة. وبنفس الحذر مسح ثور بقية المعجنات حتى اختفت، مع أصوات المضغ والسحق، تحت البرقع. بقية النساء، اللواتي كن ينظرن إلى المعجنات بلهفة، حدقن بخيبة أمل إلى الجميلة فريا.

لكن فريا الجميلة كانت بالكاد قد بدأت في الأكل.

ثور أكل ثورًا كاملًا وحده. وأكل سبع سمكات سلمون كاملة، لم يترك منها إلا العظام. وكل صينية معجنات توضع أمامه يلتهمها كلها، تاركًا النساء كلهن جوعى. أحيانًا كان لوكي يركله من تحت المائدة، لكن ثور كان يتجاهل الركلات ويتابع الأكل.

ربت ثيرم على كتف لوكي، قال: «اعذريني، لكن فريا الجميلة أنهت لتوها برميلها الثالث من الميد».

قالت الخادمة التي هي لوكي: «أظنها فعلت».

«مذهل، لم أرَ امرأة قط تأكل بهذه الشراهة. لم أرَ امرأة قط تأكل كل هذا الأكل أو تشرب كل هذا الميد».

قال لوكي: «ثمة تفسير واضح»، وأخذ نفسًا عميقًا وبدأ في مراقبة ثور يشفط سمكة سلمون كاملة، وينتزع هيكلها العظمي من تحت برقعه. شعر لوكي وكأنه يشاهد خدعة سحرية. وتساءل في نفسه عن ذلك التفسير الواضح.

قال ثيرم: «تلك كانت ثامن سمكة تأكلها».

قال لوكي فجأة: «ثمانية أيام وثماني ليالٍ! لم تأكل لثمانية أيام وثماني ليالٍ، كانت شديدة التلهف على المجيء إلى أرض العمالقة وممارسة الحب مع زوجها الجديد. والآن وقد صارت في حضرتك، أصبحت تأكل أخيرًا من جديد»، واستدارت الخادمة لثور، «من الرائع رؤيتك تأكلين من جديد يا عزيزتي!».

رمق ثور لوكي من تحت البرقع.

قال ثيرم: «يجب أن أقبلها».

قال لوكي: «لا أنصح بذلك»، لكن ثيرم كان بالفعل قد انحنى فوقه وصار يصدر عنه صوت التقبيل. مد يدًا واحدة ضخمة تجاه برقع ثور. الخادمة، التي كانت لوكي، رفعت ذراعًا لتوقفه، لكن بعد فوات الأوان. ثيرم كان قد توقف بالفعل عن إصدار صوت التقبيل، وارتد عائدًا، مرتجفًا.

خبط ثيرم على كتف الخادمة لوكي، قال: «أيمكنني الحديث معك؟».

«بالطبع».

نهضا ومشيا عبر القاعة.

سأل ثيرم: «لماذا عيون فريا... مخيفة إلى هذه الدرجة؟ بدت وكأن بداخلها نيرانًا مضطرمة. تلك لم تكن أعين امرأة جميلة».

قالت الخادمة لوكي بسلاسة: «بالطبع لا، وليس لك أن تتوقعها أن يكونوا. فهي لم تنم لثمانية أيام وثماني ليالٍ يا ثيرم العظيم. غلبها الشغف بك فلم تعرف إلى النوم سبيلًا، غلبها التوق إلى تذوق حبك. إنها تحترق في الداخل لأجلك! ذلك ما رأيته في أعينها: أشواق مضطرمة».

قال ثيرم: «أوه، أرى ذلك». ابتسم، ولعق شفتيه بلسان أكبر من وسادة إنسان. «لا بأس إذن».

مشيا عائدين إلى المائدة. شقيقة ثيرم كانت قد جلست مكان لوكي بجوار ثور، وكانت تربت بأظافرها على يد ثور. «لو أنك تعلمين مصلحتك، ستعطيني خواتمك. كل خواتمك الجميلة الذهبية. أنت غريبة في هذه القلعة. ستحتاجين إلى شخص يرعاكِ، وإلا ستسوء أمورك كثيرًا، وأنت بعيدة عن بيتك إلى هذه الدرجة. لديك خواتم كثيرة، أعطيني بعضها كهدية زواج. كم هي خواتم جميلة، حمراء وذهبية و..».

سأل لوكي: «ألم يحن وقت الزفاف؟».

قال ثيرم: «حان!»، وهدر بأعلى صوته: «أحضروا المطرقة لتقديس الزواج! أريد رؤية ميولنير في حجر الجميلة فريا فورًا. لتبارك فار، ربة العهود بين الرجال والنساء، حبنا وتقدسه».

احتاجت مطرقة ثور أربعة عمالقة كي يحملوها. جلبوها من أعمق القصر. لمعت بهدوء على ضوء النيران. وبصعوبة، وضعوها في حجر فريا.

قال ثيرم: «والآن، دعيني أسمع صوتك الجميل يا حبيبتي، يا حمامتي، يا حلاوتي. قولي لي إنك تحبيني. قولي لي إنك صرتِ عروسي، قولي لي إنك تتعهدين بنفسك لي مثلما تتعهد النساء بأنفسهن للرجال، ومثلما يفعل الرجال للنساء، منذ بدء الأزمنة. ما قولك؟».

حمل ثور المطرقة بيد مغطاة بالخواتم الذهبية، ضغط عليها مستمدًّا منها الطمأنينة. شعر بألفتها وراحتها في راحته. وضحك عندها ضحكة طويلة عميقة هادرة.

قال ثور بصوت كالرعد: «ما قولي؟ أقول إنه لم يكن عليك أن تسرق مطرقتي».

وضرب ثيرم بمطرقته، ضربة واحدة، لكن ضربة واحدة هي كل ما يتطلبه الأمر. وقع الغول على الأرض المغطاة بالقش، ولم ينهض مرة أخرى.

كل العمالقة والغيلان وقعوا تحت مطرقة ثور: كل ضيوف الزفاف الذي لن يحدث. حتى شقيقة ثيرم، تلقت هدية زفاف لم تتوقعها قط.

وعندما سكن كل شيء، نادى ثور: «لوكي؟».

تسلق لوكي خارجًا من تحت المائدة، في هيئته الأصلية، وتأمل المذبحة. قال: «حسنًا، يبدو أنك تعاملت مع المشكلة».

كان ثور بالفعل ينزع عنه تنورة النساء بارتياح. وقف هناك دون أن يغطيه إلا قميص، في غرفة ممتلئة بالعمالقة الموتى.

قال مبتهجًا: «لم يكن الأمر بالسوء الذي خفته، استعدت مطرقتي، وحظيت بعشاء ممتاز. لنعد إلى البيت».

ميد الشعراء

هل تساءلت قط من أين يأتي الشعر؟ من أين نأتي بالأغاني التي نغني والحكايات التي نحكي؟ هل سألت نفسك يومًا كيف يستطيع بعض الناس أن يحلموا بأشياء كبيرة وعظيمة وجميلة، وتمرير تلك الأحلام للعالم على شكل شعر، يتغنى به الناس ويرددونه ما دامت الشمس تشرق وتغرب، وما دام القمر يكبر ويصغر؟ هل تساءلت قط لماذا يصنع بعض الناس أغاني وقصائد وحكاوي جميلة، وبعضنا لا يفعل؟

إنها قصة طويلة، والفضل فيها لا يعود إلى أحد: فيها قتل، وفيها خداع، وفيها كذب وحماقة، وإغواء ومطاردة. اسمع.

تبدأ الحكاية في وقت لا يبعد عن فجر الأزمنة بكثير، في حرب الآلهة: قاتل الإيسر الفانير، الإيسر كانوا آلهة حروب ومعارك وغزوات، الفانير كانوا أرق، أربابًا وربات إخوة وأخوات، يجعلون التربة خصبة والنباتات تنمو، لكنهم ليسوا أقل قوة.

آلهة الفانير والإيسر كانوا متكافئين جدًّا. ولم يستطع أيٌّ من الجانبين الفوز بالحرب. والأكثر من ذلك، بينما هم يتقاتلون أدركوا أن كلا الجانبين بحاجة إلى الآخر: فليس هناك متعة في معركة شجاعة بلا حقول خصبة ومزارع تطعمك في الولائم التي تتبعها.

جلسوا معًا في مفاوضات سلام، وما إن انتهت المفاوضات، حتى ختموا جميعًا على الهدنة بينهم، الإيسر والفانير على حد سواء، بالبصق في وعاء. باختلاط بصاقهم، صار اتفاقهم مُلزِمًا.

ثم أقاموا الاحتفالات. أكلوا الطعام وشربوا الميد، ثملوا ومزحوا وتحدثوا وتبجحوا وضحكوا بينما تتحول النيران إلى فحم متوهج، حتى زحفت الشمس فوق الأفق. عندها، وبينما ينهض الإيسر والفانير ليرحلوا، ليلفوا أنفسهم في الملابس والفراء للخروج إلى الثلج الهش وضباب الصباح، قال أودِن: «سيكون من المؤسف ترك بصاقنا الممتزج خلفنا».

أومأ فري وفريا، الشقيقين، قادة الفانير الذين سيبقون مع الإيسر في أسجارد من الآن فصاعدًا، التزامًا بشروط الهدنة. قال فري: «نستطيع صنع شيء منه». قالت فريا: «يمكننا صنع إنسان». ومدت يدها إلى الوعاء.

تحول البصاق واتخذ أشكالًا بينما تحرك أصابعها، وفي دقائق صارت له هيئة رجل، وقف عاريًا بينهم.

قال أودِن: «أنت كفاسير. أتعلم من أنا؟».

قال كفاسير: «أنت أعلى العالين، أنت جريمنير Grimnir والثالث، ولك أسماء أخرى، أكثر من أن أحصيها في هذا المكان، لكني أعلمها كلها، وأعلم القصائد والأغاني والكننجات المتعلقة بها».

كفاسير، المصنوع من اتحاد الإيسر والفانير، كان أحكم الآلهة: حاز العقل والقلب. زاحمت الآلهة بعضها لتلقي عليه الأسئلة، وإجاباته عليهم كانت دومًا حكيمة. كان يلاحظ عن كثب، ويقاطع بما يراه سليمًا.

بعد فترة قصيرة، قال كفاسير للآلهة: «سأسافر الآن، لأرى العوالم التسعة، لأرى ميدجارد. ثمة أسئلة تحتاج إلى إجابة لم تُلقَ عليَّ بعدُ».

سألوا: «لكنك ستعود إلينا؟».

قال كفاسير: «سأعود. لا يزال هناك لغز الشبكة في النهاية، والذي سيحتاج إلى من يحله ذات يوم».

سأل ثور: «ال... ماذا؟» لكن كفاسير ابتسم بالكاد، وغادر تاركًا الآلهة حائرين في كلماته، ووضع على نفسه عباءة السفر، وغادر أسجارد ماشيًا على جسر قوس القزح.

مضى كفاسير من مدينة إلى مدينة، من قرية إلى قرية. قابل ناسًا من كل الأنواع، عاملهم جميعًا بلطف وأجاب على أسئلتهم. لم يكن هناك مكان لم ينتفع من مرور كفاسير.

في هذه الأيام، كان هناك اثنان من إلفات الظلام يعيشان في قلعة حذاء البحر. فيها مارسوا السحر والخيمياء. مثل كل الأقزام، صنعوا أشياء مذهلة وعجيبة في ورشتهم وفرنهم. لكن هناك أشياء لم يصنعوها بعد، وصنع تلك الأشياء كان هوسهم. كانا شقيقين، اسماهما كانا فيالار Fjalar وجالار Galar.

عندما سمعا أن كفاسير كان يزور مدينة قريبة، خرجا لمقابلته. وجد فيالار وجالار كفاسير في قاعة ضخمة، يجيب على أسئلة أهل المدينة، مثيرًا عجب كل من استمع. أخبر الناس كيف يطهرون الماء وكيف يصنعون القماش من نبات القراص. وأخبر امرأة بمن الذي سرق سكينها، ولماذا. وما إن انتهى من الكلام وأطعمه الناس، حتى جاءه القزمان.

قالا: «لدينا سؤال لك لم يسألكه أحد قط، لكن يجب أن نسأله سرًّا. هلَّا جئت معنا؟».

قال كفاسير: «سأفعل».

مشوا حتى القلعة. نعقت النوارس، والغيوم المتجهمة كانت رمادية كالأمواج. قاد القزمان كفاسير إلى ورشتهم، داخل أعماق نقطة من حوائط قلعتهم.

قال كفاسير: «ما هذان؟».

«إنهما قِدران، اسمهما سون Son وبودن Bodn».

«أرى ذلك. وما ذلك هناك؟».

«كيف تكون بهذه الحكمة ولا تعرف كنه هذه الأشياء؟ إنها غلاية، نسميها أودريرير Odrerir، مانحة السعادة».

«وأرى هنا أن لديكم دلاء من العسل الذي جمعتموه. سائلًا ومقطوفًا».

قال فيالار: «صحيح فعلًا».

بدا جالار مزدريًا. «لو كنت حكيمًا مثلما تقول عن نفسك، فستعلم سؤالنا لك قبل أن نسأله. وستعلم لماذا تلك الأشياء موجودة».

أومأ كفاسير بطريقة باستسلام. قال: «ما يتراءى لي، أن لو كان كلاكما ذكيًّا وشريرًا، أنكما قد تقرران قتل ضيفكما، وجمع دمائه في القِدرين سون وبودن. ثم تسخناها بهدوء في الغلاية أودريرير. ثم تمزجانها بالعسل المقطوف، وتتركان المزيج يتخمر حتى يصبح ميدًا، أفضل الميد، شرابًا سيسمم كل من يشربه، لكنه سيمنح كل من سيتذوقه هبتي الشعر والمعرفة».

اعترف جالار: «نحن أذكياء، وربما يوجد من يعتبروننا أشرارًا».

ومع قوله جز عنق كفاسير، ثم علقا كفاسير من قدميه فوق القِدرين حتى صفيت آخر قطرة من دمه. سخنا الدم والعسل في الغلاية أودريرير، وفعلا بالخليط أشياء أخرى من ابتكارهم الخاص. أضافا إليه التوت، وقلباه بعصا. تصاعدت منه الفقاعات ثم توقفت، وارتشف كلاهما منه وأخذا يضحكان، ووجد كل من الشقيقين في نفسه البيت والقصيدة، مثلما لم يفعل من قبل.

جاءت الآلهة في الصباح التالي. قالوا: «أين كفاسير؟ شوهد آخر مرة معكما».

قال القزمان: «نعم، عاد معنا، لكنه عندما أدرك أننا لسنا إلا قزمين، أغبياء نفتقر إلى الحكمة، اختنق بفرط علمه. يا ليتنا كنا قادرين على إلقاء الأسئلة عليه!».

«أتقولان إنه مات؟».

قال فيالار وجالار: «نعم»، وقدما إلى الآلهة جسد كفاسير الجاف من الدماء، ليعودوا به إلى أسجارد، لمراسم جنازة إله وربما (لأن الآلهة ليست كالآخرين، والموت ليس دائمًا نهاية أبدية لهم) لعودة إله محتملة في نهاية المطاف.

هكذا بات لدى الأقزام ميد الحكمة والشعر، وكل من تمنى تذوقه كان بحاجة إلى التوسل إليهم. لكن جالار وفيالار لم يعطوا الميد إلا لمن يحبوهم، ولم يحبوا أحدًا عدا أنفسهم.

لكن يظل هناك من لديهم التزامات تجاههم. العملاق جيلينج Gilling مثلًا وزوجته: دعاهم القزمان إلى زيارة قلعتهم، وجاءا بالفعل ذات يوم في الشتاء.

قال الأقزام لجيلينج: «لنذهب للتجديف في قاربنا».

ثقل العملاق جعل القارب يهبط كثيرًا في الماء، وصار القزمان يجدفان في الصخور التي تحت السطح. كان قاربهم على الدوام يطفو بخفة فوق الصخور، لكن ليس هذه المرة. اصطدم القارب بالصخور وتمايل، ملقيًا بالعملاق في البحر.

قال القزمان لجيلينج: «اسبح عائدًا إلى القارب».

قال: «لا أستطيع السباحة»، وكان ذلك آخر ما قاله، فقد جاءت موجة لتملأ فمه المفتوح بالماء المالح، وارتطمت رأسه بصخرة، وخلال لحظات اختفى عن الرؤية.

دار فيالار وجالار بقاربهم وعادا إلى البيت.

زوجة جيلينج كانت في انتظارهم. سألت: «أين زوجي؟».

قال جالار: «من؟ آه، مات».

أضاف فيالار موضحًا: «غرق».

ندبت زوجة العملاق وانتحبت، كل صرخة تطلقها كانت وكأنها تخرج بقطعة من روحها. نادت على زوجها الميت وأقسمت أن تحبه على الدوام، وبكت وصرخت وولولت.

قال جالار: «صه! بكاؤك وعويلك يؤلمان أذنيَّ، صوتك عالٍ جدًّا. أعتقد أن ذلك لأنك عملاقة».

لكن زوجة العملاق ببساطة زادت من عويلها.

قال فيالار: «أيساعدك إن ذهبنا بك إلى حيث مات زوجك؟».

استنشقت دموعها وأومأت، وبكت وصرخت على زوجها، الذي لن يعود إليها أبدًا.

قال فيالار: «قفي هناك وسنريك»، وأوضح لها بالضبط أين يجب أن تقف، وأنها يجب أن تمضي عبر الباب الكبير وتقف بالضبط تحت حائط القلعة، وأشار إلى شقيقه، الذي هرع صاعدًا أعلى الحائط.

وفيما كانت زوجة جيلينج تعبر من الباب، أسقط جالار صخرة ضخمة على رأسها، فوقعت بجمجمة نصف مسحوقة.

قال فيالار: «أحسنت، كان صبري قد بلغ منتهاه من تلك الضوضاء المقرفة».

ودفعا جسد المرأة عديم الحياة من فوق الصخور إلى البحر. أصابع الأمواج الباردة سحبته بعيدًا عنهما، واجتمعت زوجة جيلينج بزوجها في الموت.

هز القزمان أكتافهما، وعدًّا أنفسهما قد بلغا من الذكاء أقصاه، في قلعتهما جوار البحر.

شربا ميد الشعر كل ليلة، وألقيا بعضهما على بعض شعرًا جميلًا عظيمًا، ونظما ملاحم أسطورية عن موت جيلينج وزوجته، رددوها من أعلى سطح قلعتهم. وفي آخر كل ليلة كانا ينامان، بلا إحساس، ويستيقظان في اليوم التالي حيث جلسا أو وقعا في الليلة السابقة.

وذات يوم استيقظا كالعادة، لكنهما لم يستيقظا في قلعتهما.

استيقظا في قاع قاربهما، وكان هناك عملاق لم يعرفانه يجدف بين الأمواج. كانت السماء مظلمة بغيوم العواصف، والبحر أسود. الأمواج كانت عالية وشديدة، والماء المالح يعلو عن جانب القارب، وينقعهم.

سأل القزمان: «من أنت؟».

قال العملاق: «أنا سوتُّونج Suttung. سمعت أنكما تتبجحان للريح والأمواج والعالم عن قتلكم أبي وأمي».

قال جالار: «أها، هل هذا سبب تقييدك لنا هكذا؟».

قال سوتّونج: «نعم».

قال فيالار بأمل: «ربما أنت تأخذنا إلى مكان عظيم، حيث ستفك قيدنا ونأكل ونشرب ونضحك ونصبح أفضل الأصدقاء؟».

قال سوتُّونج: «لا أعتقد ذلك».

كان المد منحسرًا، وثمة صخور تبرز فوق المياه. كانت نفس الصخور التي ارتطمت بقاربالأقزام عندما كان المد عاليًا، وعليها مات جيلينج. التقط سوتُّونج كلا القزمين من قاع القارب، ووضعهما فوق الصخور.

قال فيالار: «المد سيغطي تلك الصخور، أيادينا مقيدة خلف ظهورنا. لا نستطيع العوم. لو تركتنا هنا سنغرق بلا شك».

قال سوتّونج: «هذا بالتأكيد ما نويته»، وابتسم لأول مرة، «وبينما تغرقون سأجلس في قاربكم هذا، وأراقب البحر يأخذكما. ثم سأعود إلى البيت في يوتونهايم، وأخبر أخي باوجي Baugi، وابنتي جنُّلود Gunnlod، كيف قضيتما. وسنرضى جميعًا بمعرفة أن الانتقام لموت أبي وأمي قد

تم كما ينبغي».

بدأ منسوب المياه في الارتفاع، وغطى أقدام القزمين، ثم ارتفع إلى سرتيهما. ولم يمضِ وقت طويل حتى صارت لحيتاهما تعومان وسط زبد البحر أمام أعينهما الهلعة.

توسلا: «الرحمة!».

«مثل الرحمة التي قدمتماها غلى أمي وأبي؟».

«سنعوضك عن موتهما! سندفع لك!».

«لا أصدق أنكم أيها الأقزام لديكم أي شيء قد يعوضني عن موت أبويَّ. أنا عملاق غني، عندي العديد من الخدم في بيتي الجبلي، وكل الملذات التي يمكنك أن تحلم بها. الذهب عندي، والأحجار الكريمة، وحديد يكفي لصنع ألف سيف. وأنا ساحر قدير. ما الذي تستطيعون منحي إياه لا أملكه بالفعل؟».

لم يقل الأقزام شيئًا.

استمرت الأمواج في الارتفاع.

قال جالار بينما يبصق المياه التي تغزو فمه: «لدينا ميد، ميد الشعر».

صاح فيالار: «مصنوع من دماء كفاسير، أحكم الآلهة! في وعائين وغلاية، ممتلئين به حتى الحواف! ولا يملكه أحد إلا نحن في العالم كله!».

حك سوتُّونج رأسه. «يجب أن أفكر في الأمر، يجب أن أتأمل، يجب أن أتدبر».

صرخ فيالار من فوق هدير الأمواج: «لا تتوقف للتفكير، إن فكرت سنغرق».

ارتفع المد. كانت الأمواج تتحطم فوق رأسي القزمين، وصارا يتجرعان الهواء، وأعينهما استدارت من الخوف، عندما مد العملاق سوتُّونج يده وانتزع فيالار ثم جالار من بين الأمواج.

«ميد الشعر سيكون تعويضًا مناسبًا. إنه سعر عادل، إن أضفتم إليه بضعة أشياء أخرى، وأنا واثق أنكم أيها الأقزام لديكم بضعة أشياء أخرى. عندها سأصفح عن حياتكم».

بينما هم لا يزالوان مقيدين منقوعين، رماهم في قاع القارب، حيث أخذا يتلويا دون راحة، مثل زوج من السرطانات الملتحية، وجدف عائدًا إلى الشاطئ.

أخذ سوتُّونج الميد المصنوع من دماء كفاسير من الأقزام، وأخذ منهما أشياء أخرى أيضًا، وترك المكان وترك القزمين اللذين كانا، بأخذ كل شيء في الاعتبار، سعداء كفاية للنجاة بأرواحهم.

أخبر فيالار وجالار الناس الذين مروا بقلعتهم بحكاية كيف أساء إليهم سوتُّونج. وحكوها في السوق عندما ذهبا للتجارة. حكوها عندما كانت الغربان قريبة.

في أسجارد، جلس أودِن على عرشه العالي، وأسرَّ إليه غراباه، هوجِنومونِن، بالأشياء التي رأيا وسمعا خلال تجولهما في العالم. لمعت عين أودِن الواحدة عندما سمع بحكاية ميد سوتُّونج.

الناس الذين سمعوا بالحكاية أطلقوا على ميد الشعر «سفينة الأقزام»، بما أنه حمل فيالار وجالار عن الصخور وأعادهم إلى البيت بأمان. وأطلقوا عليه ميد سوتُّونج، وأطلقوا عليه سائل أودريرير أو بودن أو سون.

أنصت أودِن إلى كلمات غرابيه. استدعى عباءته وقبعته. نادى الآلهة وأخبرهم أن يجهزوا ثلاثة أوعية خشبية ضخمة، أضخم أوعية يستطيعون بناءها، وجعلهم في انتظاره عند بوابات أسجارد. وقال لهم إنه سيتركهم ليجول في العالم، وربما يستغرق وقتًا.

قال أودِن: «سآخذ معي شيئين، أحتاج حجر شحذ، أفضل حجر لدينا، وأود أن آخذ الحفار راتي Rati». راتي تعني مثقاب، وراتي هو أفضل مثقاب امتلكه الآلهة. قادر على الحفر بعمق في أقسى الصخور.

ألقى أودِن بحجر الشحذ في الهواء والتقطه مجددًا، واضعًا إياه في جعبته مع المثقاب. ثم مشى مبتعدًا.

قال ثور: «أتساءل عما ينوي فعله».

قال فريج: «كان كفاسير ليعلم، فقد علم بكل شيء».

قال لوكي: «كفاسير ميت. أما فيما يخصني، فلا يهمني إلى أين يذهب أبو الجميع أو لماذا».

قال ثور: «أنا ذاهب للمساعدة في صنع الأوعية الخشبية التي طلبها أبو الجميع».

كان سوتُّونج قد أعطى الميد الثمين لابنته جنّلود، لتحرسه داخل جبل يدعى هنيتبيورج Hnitbjorg، في قلب بلاد العمالقة. لم يذهب أودِن إلى الجبل، بدلًا من ذلك اتجه مباشرة إلى المزرعة المملوكة لباوجي شقيق سوتُّونج.

كان الوقت ربيعًا، والأعشاب الجاهزة للتحول إلى قش عالية في الحقول بانتظار قطعها. كان لباوجي عبيد تسعة، عمالقة مثله، وكانوا يقطعون العشب بمناجل ضخمة، كل منجل منها بحجم شجرة صغيرة.

أودِن راقبهم. عندما صارت الشمس في ذروتها توقفوا عن العمل وبدءوا في تناول طعامهم، ذهب إليهم أودِن متهاديًا، وقال: «لقد كنت أراقب عملكم كله. أخبروني، لماذا يترككم سيدكم تجزون العشب بمثل هذه المناجل الثلمة؟».

قال أحد العمال: «مناجلنا ليست ثلمة».

وسأل آخر: «لماذا تقول هذا؟ مناجلنا هي الأحدُّ».

قال أودِن: «دعوني أريكم ما الذي يستطيع نصل مشحوذ كما ينبغي فعله». أخرج حجر الشحذ من جعبته، ومرره على نصل أول منجل، ثم آخر، حتى لمعت المناجل تحت الشمس. وقف العمالقة حوله في استغراب، يراقبونه بينما يعمل. قال أودِن: «والآن جربوها».

جرب العبيد العمالقة مناجلهم على عشب المرج وشهقوا وتعجبوا بسعادة. باتت النصال حادة إلى درجة جعلت قطع العشب بلا مجهود. مرت عبر أسمك السيقان ولم تقابلها أية مقاومة.

قالوا لأودِن: «هذا مذهل، أيمكننا شراء الحجر منك؟».

قال أبو الجميع: «شراؤه؟ بالقطع لا. دعونا نفعل شيئًا أكثر متعة وإنصافًا. تعالوا جميعًا، قفوا هنا متلاصقين، يحمل كل منكم منجله عن قرب. اقتربوا أكثر».

قال أحد العبيد العمالقة: «لا نستطيع الوقوف أقرب من هذا، فمناجلنا حادة جدًّا».

قال أودِن: «إنك لشديد الحصافة». حمل الحجر. «سأقول لكم شيئًا، من يلتقطه منكم،

سيكون الحجر له وحده»، وبقول هذا ألقى حجر الشحذ في الهواء.

قفز العمالقة التسعة تجاه الحجر وهو يقع، يمد كل منهم يده الحرة، بلا أدنى انتباه إلى المنجل الذي يحمله بالأخرى (كل منجل ذو نصل شحذه أبو الجميع بحجره الخاص حتى بلغ من الحدة أقصاها).

قفزوا وتخبطوا والتمعت النصال في الشمس.

ثم تناثر الرذاذ القرمزي وتدفق، وتساقط العمالقة واحدًا تلو الآخر في كومة فوق العشب المجزوز قبل قليل. خطى أودِن فوق جثث العمالقة، واستعاد حجر شحذ الآلهة، وأعاده إلى جعبته.

مات العمالقة التسعة، نحر كل منهم منحور بنصل رفيقه.

ذهب أودِن إلى قصر باوجي، شقيق سوتُّونج، وطلب المأوى لهذه الليلة. قال أودِن: «اسمي بولفِركر Bolverkr».

قال باوجي: «بولفركر؟ اسم مَشْؤُوم، يعني «فظيع الأفعال»».

قال الشخص الذي يسمي نفسه بولفركر: «فقط لأعدائي. أما أصدقائي فيقَدِّرون الأشياء التي أفعل. بوسعي القيام بعمل عشرة رجال، وأعمل بلا كلل ولا شكوى».

قال باوجي: «قد مُنحت المأوى لهذه الليلة كما سألت. لكنك جئتني في يوم أغبر. بالأمس كنت رجلًا غنيًّا، لديَّ حقول عديدة وعبيد تسعة يزرعون ويعملون ويبنون. أما الليلة فلا زلت أملك حقولي وحيواناتي، لكن كل خدمي قد ماتوا، ذبحوا بعضهم بعضًا لسبب لا أعلمه».

قال بولفركر الذي كان أودِن: «يوم أغبر بلا شك. أتستطيع إحضار عمالًا آخرين؟».

تنهد باوجي، «ليس هذا العام، لقد بلغنا الربيع بالفعل، والعمال الجيدون يعملون بالفعل لدى شقيقي سوتُّونج، ولا يمر بهذه النواحي إلا القليل من الناس. أنت أول مسافر يسألني الإقامة والاستضافة منذ سنوات طويلة».

«لحسن حظك أني فعلت. فأنا أستطيع القيام بعمل تسعة رجال».

قال باوجي: «أنت لست عملاقًا، أنت أقرب إلى حشرة صغيرة. كيف تستطيع القيام بعمل أحد خدمي؟ ناهيك عن تسعة منهم؟».

قال بولفركر: «إن لم أقدر على القيام بعمل تسعة رجال، فلن يكون عليك أن تدفع إليَّ. لكن إن فعلت..».

«تابع..».

«حتى في أقصى الأنحاء سمعنا الحكايات عن ميد شقيقك سوتُّونج الاستثنائي. قالوا إنه يمنح هبة الشعر لكل من يشربه».

«هذا حقيقي، سوتُّونج لم يكن شاعرًا قط عندما كنا صغارًا. أنا من كنت شاعر أسرتنا. لكن منذ عودته بميد الأقزام، أصبح شاعرًا حالمًا».

«لو عملت لأجلك، زرعت وبنيت حصدت لأجلك، وقمت بعمل خدمك الموتى، أريد أن أتذوق ميد شقيقك سوتُّونج».

تجعدت جبهة باوجي: «لكن... لكنه ليس ميدي، إنه ميد سوتُّونج».

قال بولفركر: «شيء مؤسف. أتمنى لك حظًّا سعيدًا في الحصاد هذا العام».

«انتظر! صحيح أنه ليس ميدي، لكن إن استطعت فعل ما تقول، فسأذهب معك لرؤية أخي سوتُّونج، وسأفعل ما بوسعي لمساعدتك في تذوق ميده».

قال بولفركر: «إذن نحن متفقان».

لم يكن هناك قط عامل مجتهد أكثر من بولفركر. عمل في الأرض باجتهاد يفوق عشرين رجلًا، لا تسعة فقط. وحيدًا اعتنى بالحيوانات، وحيدًا حصد المحصول. زرع الأرض، وطرحت له الأرض ألف ضعف مجهوده.

بينما تهب أول نسمات رياح الشتاء قادمة من الجبل، قال باوجي: «بولفركر، اسمك على غير مسمى، فأنت لم تفعل سوى أطيب الأفعال».

«هل قمت بعمل تسعة رجال؟».

«فعلت، وتسعة فوقهم».

«إذن فهل ستساعدني في تذوق ميد سوتُّونج؟».

«سأفعل».

في الصباح التالي نهضا مبكرًا، مشيا ومشيا ومشيا، ومع المساء كانا قد تركا أرض باوجي خلفهما وبلغا أرض سوتُّونج، على حافة الجبال. وبحلول الليل كانا قد وصلا قصر سوتُّونج الهائل.

قال باوجي: «تحياتي أخي سوتُّونج، هذا بولفركر، خادمي في الصيف وصديقي». وأخبر سوتُّونج باتفاقه مع بولفركر. واختتم: «هكذا كما ترى، يجب عليَّ أن أسألك أن تسمح له بتذوق ميد الشعر».

عينا سوتُّونج كانتا كشريحتي ثلج. قال حاسمًا: «لا».

قال باوجي: «لا؟».

«لا، لن أتخلى عن قطرة واحدة من الميد. ولا نقطة. أحتفظ به أمنًا في أوعيته، سون وبودن والغلاية أودريرير. تلك الأوعية في أعماق الجبل هنيتبيورج، الذي لا ينفتح إلا بأمري. ابنتي جنّلود تحرسه. لا خادمك بوسعه تذوقه، ولا أنت».

قال باوجي: «لكنه كان دية لموت والدينا. ألا أستحق أقل قطرة منه، لأظهر لبولفركر هنا أني عملاق شريف؟».

قال سوتُّونج: «لا، لا تستحق».

غادرا القصر.

باوجي كان مغتمًّا. مشى بأكتاف متهدلة وفمه مفتر. كل بضع خطوات يعتذر لبولفركر، قائلًا: «لم أكن أظن أن أخي سيكون بهذا التحجر».

قال بولفركر، الذي كان أودِن متنكرًا: «إنه متحجر بالفعل، لكن بوسعنا أنا وأنت خداعه بشكل ما، كي لا يصير بهذا التكبر والعجرفة في المستقبل. كي ينصت إلى شقيقه في المرة القادمة».

قال باوجي العملاق: «بوسعنا عمل ذلك»، ووقف مستقيمًا، واشتد ركنا فمه في شيء يكاد يشبه الابتسامة. «ما الذي سنفعله؟».

قال بولفركر: «أولًا، سنتسلق هنيتبيورج، الجبل الضارب».

تسلقا هنيتبيورج معًا، العملاق أولًا ثم بولفركر، الذي يبدو بالمقارنة دمية، رغم ذلك لم يتأخر عنه قط. صعدا المسارات التي صنعها خراف وماعز الجبل، ثم تسلقا الصخور حتى باتا على قمة الجبل. كان أول ثلج الشتاء قد سقط بالفعل على الجليد الذي لم يذب من الشتاء المنقضي. سمعا الريح تصفر حول الجبل. سمعا صيحات الطيور تحتهم. وكان ثمة شيء آخر بوسعهم سماعه.

جلبة أشبه بصوت إنسان. بدت أنها تأتي من صخور الجبل، لكنها دائمًا بعيدة، وكأنها تأتي من داخل الجبل ذاته.

سأل بولفركر: «ما تلك الجلبة؟».

تجهم باوجي. «وكأنها ابنة أخي جنّلود تغني».

«إذن سنقف هنا».

من جعبته الجلدية أخرج بولفركر المثقاب المدعو براتي. قال: «أنت عملاق، ضخم وكبير. لماذا لا تستخدم هذا المثقاب لتحفر إلى داخل الجبل؟».

أخذ باوجي المثقاب، ودفعه في ناحيتهم من الجبل، وبدأ في تدويره. رأس المثقاب حفرت في جانب الجبل مثل بريمة في فلينة طرية. أدار باوجي المثقاب مرة ثم أخرى، ثم أخرى.

قال باوجي: «فعلتها». انتزع المثقاب.

مال بولفركر على الحفرة التي صنعها المثقاب ونفخ فيها. ارتدَّت نفخته إلى وجهه بغبار الصخور وجذاذها. قال: «لقد أدركت لتوي شيئين».

قال باوجي: «وما هما؟».

قال بولفركر: «أننا لم نصل إلى داخل الجبل بعد، عليك متابعة الحفر».

قال باوجي: «هذا شيء واحد فقط». لكن بولفركر لم يقل شيئًا أكثر من ذلك في هذا الجانب العالي من الجبل، حيث الرياح المثلجة تنهش فيهم وتهبشهم. دفع باوجي بالمثقاب مرة أخرى في الحفرة وبدأ في تدويره مجددًا.

كان الظلام يهبط عندما أخرج باوجي المثقاب من الحفرة من جديد. قال: «لقد عبر إلى داخل الجبل».

لم يقل بولفركر شيئًا، لكنه نفخ بهدوء في الحفرة، وهذه المرة حملت نفخته جذاذ الصخور إلى الداخل.

وبينما كان ينفخ، كان واعيًا بالشيء القادم إليه من الخلف. حول بولفركر نفسه عندها إلى ثعبان، وتابع المثقاب الحاد طريقه إلى حيث كانت رأسه.

وقف باوجي مصعوقًا، يحمل المثقاب كسلاح. قال له الثعبان بفحيح: «ثاني شيء أدركته عندما كذبت عليَّ، أنك ستخونني». ثم بحركة من ذيله، اختفى الثعبان في الحفرة إلى قلب الجبل.

ضرب باوجي مرة أخرى بالمثقاب، لكن الثعبان كان قد اختفى، فطوح بالمثقاب في غلٍّ، وسمعه يرتطم بالصخور في الأسفل. فكر في العودة إلى قصر سوتُّونج وإخبار شقيقه أنه ساعد ساحرًا قويًّا في تسلق هنيتبيورج بل وحتى ساعده في دخول الجبل. تخيل رد فعل سوتُّونج على تلك الأنباء.

وعندها، بأكتاف متهدلة وفم مفتر، نزل باوجي الجبل وعاد متثاقلًا إلى البيت، لحرثه ونسله. وأيًّا كان ما يحدث في المستقبل لشقيقه أو لميد شقيقه الغالي، فلا شأن له بذلك.

انسل بولفركر في هيئة الثعبان عبر الحفرة إلى الجبل، حتى انتهت الحفرة ووجد نفسه في كهف ضخم.

الكهف كان مُضاءً ببلورات كريستالية، بضوء بارد. حوَّل أودِن نفسه من الثعبان إلى هيئة رجل مجددًا، وليس فقط رجل، بل رجل ضخم، بحجم العملاق، ذو هيئة رائعة. ثم مشى إلى الأمام متتبعًا صوت الغناء.

وقفت جنّلود ابنة سوتُّونج في الكهف أمام باب مغلق، خلف هذا الباب كان الوعاءان سون وبودن والغلاية أودريرير. بين يديها حملت سيفًا حادًّا، وغنت لنفسها في أثناء وقوفها.

قال أودِن: «مرحبًا أيتها الفتاة الشجاعة».

حدقت إليه جنّلود. قالت: «لا أعلم من أنت، عرِّف نفسك أيها الغريب، وأخبرني بسببٍ لأتركك تعيش. أنا جنّلود، حارسة هذا المكان».

قال أودِن: «أنا بولفركر، وأعلم أني أستحق الموت، لأني جرؤت على المجيء إلى هنا. لكن انتظري قليلًا ودعيني أنظر إليك».

قالت جنّلود: «أبي سوتُّونج وضعني هنا، حارسة، لأحمي ميد الشعر».

هز بولفركر كتفيه. «وما الذي يهمني في ميد الشعر؟ جئت فقط لأني سمعت بجمال وشجاعة وفضيلة جنّلود ابنة سوتُّونج. قلت لنفسي «فقط لو سمحت لك بالنظر إليها، فسيستحق المشوار عناءه. فقط إن كانت بالطبع جميلة كما يقولون». هذا كل ما فكرت فيه».

حدقت جنّلود إلى العملاق الوسيم أمامها. «وهل كان يستحق يا بولفركر الذي على وشك أن يموت؟».

قال لها: «أكثر من يستحق. فأنت أجمل من أي حكاية أو أغنية بوسع أي شاعر جوَّال نظمها. أجمل من قمة جبل، أجمل من مثلجة، أجمل من حقل تساقطت عليه ثلوج الفجر لتوها».

نظرت جنّلود إلى الأسفل، بوجنات محمرة.

قال بولفركر: «هل أستطيع الجلوس بجوارك؟».

أومأت جنّلود، ولم تقل شيئًا.

كان عندها في الجبل طعام وشراب، فأكلا وشربا. ثم بعد الأكل، تبادلا القبلات برقة في الظلام.

خلال ممارستهم الحب، قال بولفركر بحزن: «ليتني أتذوق رشفة واحدة من الميد في الوعاء سون. عندها سأستطيع أن أضع أغنية حقيقية عن عيونك، ليغنيها كل الرجال عندما يريدون الغناء عن الجمال».

سألت: «رشفة واحدة؟».

قال: «رشفة صغيرة جدًّا إلى حد لا يلاحظه أحد. لكني لست متعجلًا، أنت أهم من ذلك. دعيني أريك إلى أي مدى أنت مهمة».

وجذبها إليه.

مارسا الحب في الظلام. وعندما انتهيا، والتفَّا أحدهما حول الآخر، الجلد يلمس الجلد، يتبادلان الغزل الهامس، تنهد بولفركر بحسرة.

سألت هجنّلود: «ما الخطب؟».

«أتمنى لو كانت لديَّ المهارة الكافية لأغني عن شفتيك، كم هما طريتان، وكم هما أحلى من شفتي أي فتاة أخرى. أعتقد أن تلك ستكون أغنية ممتازة».

وافقته جنّلود: «ذلك بالتأكيد من سوء الحظ، فشفتاي فعلًا شديدتا الجاذبية. أعدهما على الأرجح أجمل ملامحي».

«ربما، لكنك لديك الكثير من السمات الممتازة، اختيار الأجمل أمر في غاية الصعوبة. لكن إن كنت لأنال أقل قطرة من الوعاء بودن، سيدخل ميد الشعر روحي وسأكون قادرًا على نظم قصيدة عن شفتيك ستدوم حتى يأكل الذئب الشمس».

قالت: «لكن ليس أكثر من أقل قطرة. لأن أبي سيغتاظ جدًّا لو فكر أني أوزع ميده على كل غريب وسيم يقتحم عرينه الجبلي».

مشيا عبر الكهف بأيد متشابكة وأحيانًا شفاه متلاصقة. عرضت جنّلود على بولفركر الأبواب والنوافذ التي يمكن فتحها من داخل الجبل، والتي عبرها يرسل إليها سوتّونج الطعام والشراب، وبدا بولفركر أنه لا يهتم بأي شيء غيرجنّلود، أو غير عينيها أو شفتيها أو أصابعها أو شعرها. ضحكت جنّلود وأخبرته أنه لا يعني أيًّا من كلماته، ومن الواضح أنه غير قادر على ممارسة الحب معها مرة أخرى.

دفع شفتيه إلى شفاهها، ومرة أخرى مارسا الحب.

عندما وصل كلاهما إلى ذروة الرضا، بدأ بولفركر ينتحب في الظلام.

سألت جنّلود: «ما الخطب؟».

قال بين دموعه: «اقتليني، اقتليني الآن! فأنا لن أقدر أبدًا على نظم قصيدة عن كمال بشرتك ولا وقع صوتك ولا ملمس أصابعك. جمال جنّلود يستحيل وصفه».

قالت: «حسنًا، أعتقد أن نظم قصيدة مماثلة ليس سهلًا، لكن أشك أنه مستحيل».

«ربما..».

«ماذا؟».

اقترح بينما يتراجع نحيبه: «ربما أصغر رشفة من الغلاية أودريرير ستمنحني المهارة الغنائية التي ستعينني على تخليد جمالك لكل الأجيال القادمة».

«نعم، ربما. لكن يجب أن تكون أصغر من أصغر رشفة..».

«أريني الغلاية وسأريك كم هي صغيرة الرشفة التي سآخذ».

فتحت جنّلود الباب، وفي لحظات كان بولفركر يقف أمام الغلاية والوعاءين. الهواء نفسه كان ثملًا برائحة ميد الشعر.

قالت له: «فقط أصغر الرشفات، للقصائد الثلاث عني التي ستتردد عبر العصور».

ابتسم بولفركر في الظلام. «طبعًا يا عزيزتي». لو كانت تنظر إليه حينذاك، لأدركت أن ثمة أمرًا خطأً.

في أول رشفة شرب كل نقطة في الغلاية أودريرير.

وفي الثانية، جفف الوعاء بودن.

وفي الثالثة، أفرغ الوعاء سون.

جنّلود لم تكن حمقاء. أدركت أنها تعرضت للخيانة، وهاجمته. كانت قوية وسريعة، لكن أودِن لم يظل مكانه للقتال. جرى وأغلق الباب خلفه حابسًا إياها بالداخل.

وفي غمضة عين تحول إلى عُقاب ضخم. نعق أودِن بينما يرفرف بأجنحته، وانفتحت أبواب الجبل، وصعد إلى السماوات.

وردد الفجر صرخات جنّلود.

في قصره، استيقظ سوتُّونج وجرى إلى الخارج. نظر إلى السماء ورأى العقاب، وفهم ما لا بد أنه حدث. حول سوتُّونج نفسه إلى هيئة عقاب أيضًا.

طار العقابان عاليًا حتى بات الواحد منهما لمن ينظر من الأرض ليس أكبر من رأس دبوس في السماء. طارا بسرعة حتى أمسى صوت طيرانهما أقرب إلى زئير الأعاصير.

في أسجارد، قال ثور: «حان الوقت».

نقل الأوعية الخشبية الثلاثة الضخمة إلى الساحة.

راقبت آلهة أسجارد العقابين يندفعان في السماء في اتجاههم. سوتُّونج كان سريعًا، وقريبًا من أودِن، يكاد منقاره يلمس ريش ذيل أودِن بينما يقتربان من أسجارد.

عندما اقترب أودِن من القصر، بدأ في البصق: من منقاره نبعت نافورة من الميد ملأت الأوعية، واحدًا تلو الآخر، مثل الطائر الأب الذي عاد بالطعام لأبنائه.

منذ ذلك الحين، صرنا نعلم أن أولئك الناس القادرين على صنع الأعاجيب بكلماتهم، القادرين على وضع القصائد والقصص ونسج الملاحم، قد تذوقوا ميد الشعر. وعندما نسمع شاعرًا جيدًا، نقول إنه تذوق هدية أودِن.

هذه كانت حكاية ميد الشعر وكيف جاء إلى العالم. قصة مليئة بالخزي والخداع والقتل والمراوغة. لكنها ليست القصة كاملة. ثمة شيء آخر سأخبركم به. على ذوي الآذان المرهفة منكم أن يسدوا آذانهم، أو يتوقفوا عن القراءة.

إليك آخر شيء، وكم هو اعتراف محرج. عندما كاد أبو الجميع على هيئة العقاب أن يبلغ الأوعية، وسوتُّونج خلفه مباشرة، أطلق أودِن بعض الميد من مؤخرته، ضرطة مبللة بميد كريه

الرائحة، في وجه سوتُّونج مباشرة، ليصيب العملاق بالعمى ويلقيه بعيدًا عن أثره.

لا أحد، سواء حينها أو الآن، أراد أن يشرب الميد الخارج من مؤخرة أودِن. لكن عندما تسمع شعراء سيئين يلقون شعرهم المقرف، مفعمًا بتشبيهات حمقاء وقوافي رديئة، ستعلم أي نوعِ من الميد ذاقوه.

رحلة ثور في أرض العمالقة

I

عاش ثيالفي Thialfi وأخته روسكفا Roskva مع أبيهم إيجيل Egil وأمهم في مزرعة على حافة البرية المتوحشة. بعد مزرعتهم يعيش الوحوش والعمالقة والذئاب. تورط ثيالفي مرات عديدة في مشاكل اضطر إلى الجري هربًا منها. كان قادرًا على الجري أسرع من أي شخص أو أي شيء. الحياة على حافة البرية المتوحشة تعني أن ثيالفي وروسكفاكانا معتادين في عالمهم على المعجزات وحدوث الأشياء الغريبة.

لكن لم يحدث لهم شيء بقدر غرابة ذلك اليوم الذي وصلهم فيه زائران من أسجارد، لوكي وثور، بعربة يجرها ماعزان ضخمتان، يسميهما ثور سنارلر وجريندر. توقع منهم الإلهان الاستضافة والطعام تلك الليلة. كان الإلهان ضخمين قويين.

قالت روسكفا باعتذار: «ليس لدينا طعام لأمثالكما. لدينا بعض الخضراوات، لكن الشتاء كان قاسيًا، ولم يتبقَ لدينا أي دجاج».

زمجر ثور، ثم أخذ سكينه وقتل الماعزين، وسلخ جثتيهما، ووضعهما في إناء طهي ضخم معلق فوق النار، بينما روسكفا وأمها تقطعان مخزونهما الشتوي من الخضراوات وترميه في الإناء.

أخذ لوكي ثيالفي جانبًا. كان الفتى خائفًا من لوكي، بعيونه الخضراء وشفاهه ذات الندوب وابتسامته. قال لوكي: «أتعلم، نخاع عظام تلك الماعز هي أفضل شيء يمكن لشاب صغير أكله. خسارة أن ثور يحتفظ به لنفسه على الدوام. لو أردت أن تكبر لتصبح قويًا مثل ثور، فعليك أن تأكل نخاع عظم الماعز».

عندما أصبح الطعام جاهزًا، أخذ ثور ماعزًا كاملًا نصيبًا له، تاركًا لحم الماعز الآخر ليطعم الأشخاص الخمسة الباقين.

وضع جلد الماعزين على الأرض، وبينما يأكل ألقى العظام في جلد ماعزه. قال للآخرين: «ضعوا عظامكم في جلد الماعز الآخر، ولا تكسروا ولا تعضوا أيًا من عظامه. كلوا فقط اللحم».

تحسب أنك قادر على الأكل بسرعة؟ عليك إذن أن ترى لوكي يلتهم طعامه. في لحظة كان الأكل أمامه، وفي التالية كان قد اختفى ولوكي يمسح فمه بظهر يده.

أكل بقيتهم ببطء أكثر. لكن ثيالفي لم ينسَ ما قاله له لوكي، وعندما ترك ثور المائدة لتلبية نداء الطبيعة، أخذ لوكي سكينه وقطع أحد عظام ساق الماعز وأكل منها بعض النخاع. ثم وضع العظمة المكسورة على جلد الماعز وغطاه بالعظام السليمة كيلا يعرف أحد.

ناموا جميعًا في القاعة الرئيسية تلك الليلة.

في الصباح، غطى ثور العظام بجلود الماعز. وأخذ مطرقته ميولنير ورفعها عاليًا. قال: «سنارلر، كن كاملًا». لمع البرق، ثم وقف سنارلر يمط أطرافه ويثغو، وأخذ يرعى. ثم قال ثور: «جريندر، كن كاملًا»، وفعل جريندر المثل. ثم ترنح بينما يمشي بعرجة غريبة إلى سنارلر، وثغا بصوت عالٍ حاد وكأنه يتألم.

قال ثور: «رجل جريندر الخلفية مكسورة، أحضروا لي قطعة خشب وقماشة».

صنع جبيرة لرجل ماعزه وضمدها. وعندما انتهى، نظر إلى الأسرة، وفكر ثيالفي أنه لم يرَ شيئًا

مخيفًا قط بقدر ما كانت عينا ثور المشتعلتان مخيفتين. قبضة ثور كانت ملتفة حول مقبض مطرقته، وقال بصوت كالرعد: «أحدهم هنا كسر هذه العظمة، أعطيتكم أيها الناس الطعام، وطلبت منكم شيئًا واحدًا، ومع ذلك خنتموني».

قال ثيالفي: «فعلتها أنا، أنا كسرت العظمة».

كان لوكي يحاول أن يبدو جادًّا، لكن حتى مع ذلك كان يبتسم بركن فمه، ولم تكن ابتسامة مطمئنة.

رفع ثور مطرقته، غمغم: «ينبغي عليَّ أن أدمر هذه المزرعة كلها». بدا إيجيل خائفًا، وبدأت زوجته في النحيب. ثم قال ثور: «أخبروني لماذا لا يجب أن أحول هذا المكان كله إلى أنقاض».

لم يقل إيجيل شيئًا. نهض ثيالفي وقال: «لا علاقة لأبي بالأمر، فهو لم يعلم بما فعلت. عاقبني أنا لا هو. انظر إليَّ: أنا عداء سريع فعلًا. وأستطيع التعلم. اترك أهلي في حالهم وسأصبح عبدًا لك».

أخته روسكفا نهضت، قالت: «لن يذهب بدوني. لو ستأخذوه، فأنتم آخذينا معًا».

تفكر ثور في الأمر قليلًا، ثم: «حسنًا. فلتبقي الآن هنا يا روسكفا لتعتني بسنارلر وجريندر حتى تشفى ساق جريندر. وعندما أعود سآخذ ثلاثتكم»، ودار لثيالفي: «وأنت ستأتي معي ولوكي، نحن ذاهبون إلى أوتجارد Utgard».

II

العالم خلف المزرعة كان قفرًا. ثور ولوكي وثيالفي سافروا شرقًا، تجاه يوتونهايم، وطن العمالقة، والبحر.

كلما توغلوا في الشرق صار الطقس أبرد. هبت رياح مثلجة، انتزعت منهم كل أثر للدفء. قبل الغروب بقليل، عندما كان لا يزال هناك ضوء كافٍ للرؤية، بحثوا عن مكان ليلجئوا إليه ليلًا. لم يجد ثور ولا ثيالفي شيئًا، ظل لوكي غائبًا أطول فترة. عاد بنظرة حائرة على وجهه. قال: «ثمة بيت من نوع غريب في ذلك الاتجاه».

سأل ثور: «غريب كيف؟».

«إنه غرفة واحدة شاسعة. بلا نوافذ، فقط مدخل عملاق بلا أبواب. أقرب إلى كهف كبير».

الرياح الباردة خدرت أصابعهم ولسعت وجناتهم. قال ثور: «يجدر بنا تفقده».

امتدت القاعة الرئيسية إلى مسافة بعيدة. قال ثور: «ربما يكون هناك وحوش أو غيلان في الخلف، دعونا نخيم عند المدخل».

فعلوا ذلك. كان المكان مثلما وصفه لوكي، مبنى ضخم، بقاعة واحدة ضخمة، وغرفة طويلة في أحد النواحي. أقاموا نارًا عند المدخل وناموا هناك لساعة أو أكثر، حتى أيقظتهم جلبة.

قال ثيالفي: «ما هذا؟».

قال ثور: «زلزال؟» الأرض كانت ترتجف. وزأر شيء ما، ربما كان بركانًا، أو انهيار صخور عملاقة، أو مئة دب غاضب.

قال لوكي: «لا أعتقد، دعونا نلجأ إلى جانب الغرفة على سبيل الاحتياط».

نام لوكي وثيالفي في جانب الغرفة، واستمرت الضوضاء الهادرة حتى مطلع اليوم. تمركز ثور عند مدخل البيت طوال الليل، حاملًا مطرقته. كلما توغل الليل أكثر ازداد انفعالًا، أراد فقط أن يستكشف ويهاجم أيًّا كان ما يزأر ويهز الأرض. وما إن صار في السماء بعض النور حتى مشى ثور إلى الغابة دون أن يوقظ رفاقه، باحثًا عن مصدر الصوت.

أدرك بينما يقترب أن هناك أصواتًا مختلفة تحدث بالتتابع. زئير هادر أولًا، يتبعه طنين، ثم نوع من صوت الصفير الأخف نوعًا، لكنه حاد كفاية لجعل رأس ثور وأسنانه تؤلمانه كلما سمعه.

بلغ ثور قمة تل ونظر إلى العالم أسفله.

على طول الوادي بالأسفل تمدد أكبر شخص رآه ثور على الإطلاق. شعره ولحيته أسود من الفحم. بشرته بيضاء كحقل من الثلج. عينا العملاق كانتا مغلقتين، وكان يغط بانتظام، ذلك كان مصدر الجلبة الهادرة وصوت الصفير الذي كان ثور ينصت إليه. كل مرة يغط فيها العملاق ترتجف الأرض. الاهتزاز نفسه الذي شعروا به في الليل. كان العملاق هائلًا إلى درجة أن ثور بالمقارنة ربما هو أقرب إلى نملة أو خنفساء.

تحسس ثور حزام قوته ميينجورد، وشده بإحكام مضاعفًا قوته، ليتأكد من أنه قوي كفاية لمقاتلة حتى أضخم العمالقة.

أمام عينيه المراقبتين، فتح العملاق عينيه: زرقاوين حادتين كالثلج. برغم ذلك لم يبدُ العملاق مصدر تهديد فوري.

قال ثور: «مرحبًا».

قال العملاق أسود الشعر بصوت أقرب إلى انهيار صخري: «صباح الخير! يطلق عليَّ جماعتي اسم سكريمير Skrymir، أي «الرفيق الكبير». يسخرون مني، يسمون الأنحف والأصغر بينهم الرفيق الكبير. لكن هذا هو الحال. والآن أين فردة قفازي؟ أتعلم، كان معي فردتين بالأمس، لكني أضعت واحدة». ورفع يديه: يده اليمنى كان عليها ما يشبه القفاز الجلدي الهائل، والأخرى كانت عارية. «أوه! ها هو ذا».

مد يده إلى الناحية البعيدة من التل الذي تسلقه ثور، والتقط شيئًا كان من الواضح أنه الفردة الأخرى. قال: «غريب، يبدو أن به شيئًا»، وهزه. أدرك ثور أن هذا هو ما كان بيتهم في الليلة السابقة عندما وقع لوكي وثيالفي يرتجفان من فم القفاز، وهبطا على الثلج بالأسفل.

وضع سكريمير قفازه الثاني، ونظر سعيدًا إلى يديه المقفزتين. قال: «يمكننا أن نسافر معًا، لو تحبون ذلك».

نظر ثور إلى لوكي ونظر لوكي إلى ثور ونظر كلاهما إلى ثيالفي الصغير الذي هز كتفيه وقال: «أستطيع المجاراة»، واثقًا بسرعته.

صاح ثور: «حسنًا».

تناولوا الإفطار مع العملاق، الذي أخرج من حقيبة مؤونته أبقارًا وخرافًا كاملة، وسحقهم بأسنانه. أما الرفاق الثلاثة فقد أكلوا باقتصاد أكثر. بعد الأكل، قال سكريمير: «هات، سأحمل مؤونتكم عنكم في حمولتي، تخفيفًا عنكم، وسنأكل كلنا معًا عندما نخيم الليلة». وضع طعامهم في حقيبته وأحكم رباطها، ومضوا في اتجاه الشرق.

جرى لوكي وثور وراء العملاق بخطى الآلهة التي لا تَكلُّ. وجرى ثيالفي بأسرع ما يسع أي إنسان أن يجري، لكن حتى هو وجد أن المتابعة صعبة بمرور الساعات، وأحيانًا كان العملاق يبدو له مجرد جبل في الأفق، رأسه ضائع بين السحاب.

لحقوا بسكريمير بحلول المساء. كان قد وجد لهم معسكرًا تحت شجرة بلوط ضخمة، وأراح نفسه قريبًا منهم، مسندًا رأسه إلى صخرة هائلة. قال لهم: «لست جائعًا، لا تقلقوا أنفسكم بشأني، سأنام مبكرًا الليلة. مؤونتكم في الحقيبة هناك بجوار الشجرة. تصبحون على خير».

وبدأ في الشخير. وبينما كانت الجلبة الهادرة والطنين المألوفان يهزان الأشجار، تسلق ثيالفي حقيبة مؤونة العملاق. نادى من فوق على ثور ولوكي: «لا أستطيع حل الأربطة. إنها أقوى من قدرتي على فكها. وكأنها مصنوعة من الحديد».

قال ثور: «بوسعي ثني الحديد»، وقفز إلى أعلى حقيبة المؤن وبدأ في شد الأربطة.

سأل لوكي: «ما الأخبار؟».

زمجر ثور وجذب، ثم جذب وزمجر، ثم هز كتفيه. قال: «لا أعتقد أننا سنتعشى هذه الليلة، إلا لو فك هذا العملاق اللعين لنا أربطة حقيبته».

نظر إلى العملاق. ونظر إلى ميولنير مطرقته. ثم هبط من على الحقيبة وشق طريقه إلى قمة

رأس سكريمير النائم. رفع مطرقته وضرب بها جبهة رأس سكريمير. فتح سكريمير عينًا واحدة ناعسًا. قال: «أظن ورقة شجر وقعت على رأسي وأيقظتني. هل انتهيتم من الأكل؟ هل أنتم جاهزون للنوم؟ لا ألومكم إن كنتم فاعلين. كان يومًا طويلًا»، ثم انقلب على جانبه، وأغلق عينيه، وبدأ يغط من جديد.

تمكن لوكي وثيالفي من النوم رغم الضجيج، لكن ثور لم يستطع. كان غاضبًا، جائعًا، ولم يثق بعملاق البراري الشرقية هذا. في منتصف الليل كان لا يزال جائعًا، وقد نال كفايته من الشخير. تسلق رأس العملاق من جديد، وجعل نفسه بين حاجبيه.

بصق ثور في كفيه. شد حزام قوته. رفع ميولنير فوق رأسه. وبكل قوته طوحها. كان متيقنًا أن المطرقة قد غاصت في جبهة سكريمير.

حالت العتمة دون رؤية لون أعين العملاق، لكنهما انفتحتا. قال الرفيق الكبير: «هاه؟ ثور؟ هل أنت هناك؟ أظن جوزة وقعت لتوها من شجرة على رأسي. ما الوقت الآن؟».

قال ثور: «إنه منتصف الليل».

«حسنًا إذن، أراك في الصباح». وعاد شخير العملاق يهز الأرض ويرجف قمم الأشجار.

في الفجر، لكن ليس قبل بداية اليوم، قرر ثور، الذي تضاعف جوعه وغضبه، أن يضرب ضربة واحدة أخيرة، تخرس شخير العملاق إلى الأبد. هذه المرة صوب على صدغ العملاق، وضرب سكريمير بكل ما أوتي من قوة. لم يعرف العالم من قبل قط مثل هذه الضربة. سمع ثور صداها يتردد من قمم الجبال.

قال سكريمير: «أتعلم، أظن بعضًا من عش طائر وقع على رأسي، أو ربما أغصانًا، لا أعلم». تثاءب وتمدد. ثم نهض على قدميه. «حسنًا، لقد انتهيت من النوم، حان وقت متابعة طريقنا. هل ثلاثتكم جاهزون لأوتجارد؟ سيعتنون بكم كثيرًا هناك. أضمن لكم وليمة عظيمة، وأبواق الجعة، وبعد ذلك منافسات المصارعة والتسابق ومبارزات القوى. يحبون التسلية في أوتجارد. إنها في اتجاه الشرق، على طول ذلك الطريق، حيث تلمع السماء. أما أنا فمتجه إلى الشمال». وابتسم بصفي أسنان مجوفين، كانا ليجعلاه يبدو أحمقًا خاويًا لولا عيناه شديدتا الزرقة، شديدتا الحدة.

ثم مال إلى الأمام وداری فمه بيده، وكأنه لا يود أن يسمعه أحد، وهو غرض لم يتحقق تمامًا مع همسه الصاخب كفاية ليصيب بالصمم. «لم أستطع منع نفسي من سماعكم يا رفاق من قبل، عندما كنتم تقولون كم أني كبير. أفترض أنكم ظننتم أنفسكم تجاملونني. لكن إن حدث وذهبتم إلى الشمال، فستقابلون العمالقة حقًّا، الرفاق الكبار فعلًا. وستدركون حينها أني لست أكبر من جمبري».

ابتسم سكريمير مرة أخرى، ثم مضى بخطًى ثقيلة تجاه الشمال، وارتجفت الأرض تحت قدميه.

III

سافروا عبر يوتونهايم، متولين مشرق الشمس، لبضعة أيام.

في البداية حسبوا أنهم ينظرون إلى قلاع طبيعية الحجم ليست بعيدة عنهم، ومشوا تجاهها بخطى مسرعة، لكنها لم تكبر ولم تتغير بينما هم يقتربون. وبمرور الأيام، أدركوا كم هي كبيرة، وكم هي بعيدة.

سأل ثيالفي: «أهذه أوتجارد؟».

بدا لوكي شبه جادٍّ بينما يقول: «هي كذلك. إنها مسقط رأس أسرتي».

«هل جئت هنا من قبل؟».

«لم أفعل».

هرعوا إلى بوابة القلعة، ولم يروا أحدًا. سمعوا ما يشبه الحفلة بالداخل. البوابة كانت أعلى من أغلب الكاتدرائيات. يغطي قمتها قضبان معدنية، بحجم سيحافظ على العمالقة غير المرغوب فيهم على مسافة معقولة.

نادى ثور، لكن أحدًا لم يستجب لندائه.

سأل لوكي وثيالفي: «هلا دخلنا؟».

انحنوا وزحفوا تحت قضبان البوابة. ومضى المسافرون عبر الساحة إلى قلب القصر العظيم. كان ثمة مقاعد عالية كقمم الأشجار، يجلس عليها العمالقة. دخل ثور بثقة. ثيالفي كان مرعوبًا، لكنه مشى بجوار ثور، ولوكي جاء خلفهم.

كان بوسعهم رؤية ملك العمالقة يجلس على أعلى الكراسي في نهاية القاعة. قطعوا القاعة، ثم انحنوا بعمق.

كان للملك وجه نحيل ذكي وشعر أحمر ناري. أعينه كانت زرقاء ثلجية. نظر إلى المسافرين ورفع حاجبيه.

قال: «يا إلهي! أهو غزو من الأطفال الرضع؟ لا، اعذروني. لا بد أنك ثور الشهير من الإيسر، ما يعني أنك أنت لوكي، ابن لويفي. عرفت أمك قليلًا، قريبتي من بعيد. أنا أوتجاردلوكي Utgardaloki، أي لوكي الأوتجاردي. وأنت؟».

قال ثيالفي: «أنا ثيالفي، عبد ثور».

قال أوتجاردلوكي: «مرحبًا بكم جميعًا في أوتجارد، أفضل مكان في العالم، للمميزين جدًّا فقط. كل من ذو مهارة أو خدعة تفوق أي شخص غيره في العالم مرحب به هنا. هل يستطيع أي منكم فعل شيء مميز؟ ماذا عنك يا قريبي الصغير؟ ما الفريد الذي بوسعك فعله؟».

قال لوكي بلا تبجح: «أستطيع الأكل أسرع من أي شخص».

«كم أنَّ هذا مثير للاهتمام. لدي خادم هنا، اسمه، للصدفة المسلية، لوجي. أتود خوض مسابقة أكل معه؟».

هز لوكي كتفيه، وكأن الأمر عنده سيان.

صفق أوتجاردلوكي بيديه، وجيء بطست خشبي طويل، مليء بكل أنواع الحيوانات المشوية: إوز وثيران وخراف ومَعز وأرانب وغزلان. وعندما صفق مجددًا، شرع لوكي في الأكل، بدءًا من النهاية البعيدة للطست، آكِلًا طريقه إلى أولها.

أكل بشدة، أكل بتركيز، أكل وكأن له في الحياة هدف وحيد: أكل كل ما يستطيع بأسرع ما يستطيع. لم تكن العين قادرة على تمييز يديه وفمه.

تقابل لوكي ولوجي في منتصف المائدة.

نظر إليهم أوتجاردلوكي من أعلى عرشه. «لقد أكلتما بالسرعة نفسها، جميل… جميل، لكن لوجي أكل عظام الحيوانات، ونعم يبدو أنه أكل الطست الخشبي الذي قُدم فيه الأكل. صحيح أن لوكي أكل اللحم والجلد، لكنه بالكاد لمس العظام ولم يحاول حتى مع الطست. إذن فهذه الجولة تُحسب للوجي».

نظر أوتجاردلوكي إلى ثيالفي، قال: «أنت، يا ولد، ماذا تستطيع أن تفعل؟».

هز ثيالفي كتفيه. كان أسرع شخص يعرفه. بوسعه سبق أرنب مذعور وسبق طائر محلق. قال: «أستطيع أن أجري».

قال أوتجاردلوكي: «إذن، ستجري».

ذهبوا إلى الخارج. وهناك، على أرض مستوية، كان يوجد مضمار مثالي للركض. انتظر عند المضمار عدد من العمالقة، يدعكون أياديهم وينفخون فيها استجلابًا للدفء.

قال أوتجاردلوكي: «أنت مجرد صبي يا ثيالفي، لن أجعلك تنافس رجلًا ناضجًا. أين صغيرنا هوجي Hugi؟».

تقدم طفل-عملاق، نحيل إلى درجة أنه لا يكاد يوجد، وليس أكبر من ثور ولوكي بكثير. نظر الطفل إلى أوتجاردلوكي ولم يقل شيئًا، لكنه ابتسم. لم يكن ثيالفي متأكدًا إن كان ذلك الولد موجودًا قبل أن يُنادى عليه. لكنه هنا الآن.

وقف هوجي وثيالفي كتفًا بكتف عند خط البدء، وانتظرا.

صاح أوتجاردلوكي بصوت كالرعد: «هيا!»، وبدأ الصبيان في الجري. جرى ثيالفي مثلما لم يفعل من قبل، لكنه راقب هوجي ينطلق ويبلغ النهاية حينما لم يكد هو يبلغ منتصف الطريق.

قال أوتجاردلوكي: «الفوز من نصيب هوجي»، ثم انحنى على ثيالفي وقال: «ستحتاج إلى الجري أسرع من هذا إن كنت تتمنى هزيمة هوجي. لكن مع ذلك، أنا لم أرَ إنسانًا يجري مثلك من قبل قط. اُركض أسرع يا ثيالفي».

وقف ثيالفي جوار هوجي على خط البداية مرة أخرى. كان يلهث، تدوي دقات قلبه في أذنيه. علم إلى أي مدًى كان جريه سريعًا، غير أن هوجي جرى أسرع. لم يبدُ عليه أي تأثر، لم يتهدج حتى تنفسه. نظر الطفل-العملاق إلى ثيالفي وابتسم مجددًا. كان ثمة شيء في هوجي ذكَّر ثيالفي بأوتجاردلوكي، وتساءل إن كان الطفل-العملاق ابن أوتجاردلوكي.

«هيا».

وركضا. جرى ثيالفي مثلما لم يفعل من قبل، تحرك بسرعة حتى بدا وكأن العالم لا يوجد فيه إلا هو وهوجي. وظل هوجي في المقدمة طول الطريق. بلغ هوجي خط النهاية بينما كان لا يزال أمام ثيالفي خمس ثوانٍ أو عشر ربما على الوصول.

عرف ثيالفي أنه كان على وشك الفوز طوال الوقت، عرف أن كل ما يحتاج إليه هو بذل كل ما عنده.

قال لاهثًا: «لنجرِ مرة أخرى».

قال أوتجاردلوكي: «لا بأس، بوسعك الركض مرة أخرى. أنت سريع أيها الفتى، لكني لا أعتقد أن بوسعك الفوز. ومع ذلك سندع السباق النهائي يحسم النتيجة».

خطا هوجي على خط البداية. وقف ثيالفي بجواره. لم يستطع سماع تنفس هوجي.

قال ثيالفي: «حظ سعيد».

قال هوجي، بصوت بدا وكأنه يتردد داخل رأس ثيالفي: «هذه المرة، ستراني أجري».

قال أوتجاردلوكي: «هيا!».

جرى ثيالفي مثلما لم يفعل أي إنسان على قيد الحياة من قبل قط. جرى مثلما ينقض صقر الشاهين على فريسته، جرى مثل عاصفة، جرى مثل ثيالفي، فلا أحد على الإطلاق جرى مثل ثيالفي، لا قبله ولا بعده.

لكن هوجي ركض بسهولة متقدمًا إياه، متحركًا أسرع من أي وقت.

قبل أن يبلغ ثيالفي حتى منتصف الطريق، كان هوجي قد بلغ النهاية وفي طريقه إلى العودة.

صاح أوتجاردلوكي: «يكفي!».

عادوا جميعًا إلى القاعة الرئيسية. مزاج العمالقة بات أكثر استرخاءً ومرحًا.

قال أوتجاردلوكي: «حسنًا، ربما كان فشل هذين الاثنين متوقعًا. لكننا الآن... الآن سنرى ما سيبهرنا. الآن حان دور ثور، إله الرعد، أعظم الأبطال. ثور الذي تتغنى بمآثره العوالم، ويحكي الأرباب والفانون عن أفعاله، هلا أريتنا ما الذي تستطيع فعله؟».

حدق إليه ثور وقال: «بدايةً، أستطيع أن أشرب. لا يوجد شراب لا أستطيع أن أفرغه».

تأمل ذلك أوتجاردلوكي، وقال: «بالطبع. أين حامل كأسي؟»، تقدم حامل الكأس إلى الأمام، «أحضروا إليّ بوق شربي الخاص».

أومأ حامل الكأس وذهب، وعاد بعد لحظات ببوق طويل، أطول من أي بوق شراب رآه ثور في حياته. لكنه لم يهتم. فقد كان في النهاية هو ثور، ولا يوجد بوق شراب لا يستطيع أن يفرغه. على البوق كانت هناك أنماط وحروف رونية منقوشة، وحول المبسم كانت هناك فضة.

قال أوتجاردلوكي: «ذلك بوق شرب هذه القلعة. كلنا هنا أفرغناه في وقت ما. الأقوى والأعظم بيننا ينهيه في شربة واحدة، وأعترف أن بعضنا احتاج إلى محاولتين كي يفعل. وأنا فخور بقولي لك إنه لا يوجد بيننا من هو ضعيف مخيب الآمال إلى درجة أنه احتاج إلى شربة ثالثة كي يجففه».

كان بوقًا طويلًا لكن ثور كان ثور، ورفع البوق الممتلئ حتى حافته إلى شفتيه وبدأ في الشرب. ميد العمالقة كان باردًا مالحًا، لكنه شربه مستنزفًا البوق، شربه حتى انقطع نفسه ولم يعد قادرًا على شرب المزيد.

توقع أن يرى البوق خاويًا، لكنه كان مليئًا مثلما كان عندما بدأ الشرب، أو يكاد يكون.

قال أوتجاردلوكي بلهجة جافة: «جعلتني أعتقد أنك شَرِّيب أفضل من ذلك. لكني لا زلت أعلم أنك قادر على إنهائه بشربة ثانية، مثلما نستطيع كلنا».

أخذ ثور نفسًا عميقًا، ووضع شفتيه على البوق، وشرب بعمق، شرب جيدًا. أيقن أنه أفرغ البوق هذه المرة، وبرغم ذلك أنزل البوق عن شفتيه وقد نقص فقط بمقدار طول إبهامه.

نظر العمالقة إلى ثور وبدءوا في التهكم، لكنه حدق إليهم فسكتوا.

قال أوتجاردلوكي: «أها، إذن فحكايات ثور الجبار ليست إلا مجرد حكايات. حسنًا، حتى لو كان الأمر كذلك، سأسمح لك بتجفيف البوق في محاولتك الثالثة. في النهاية لا بد أنه لم يعد فيه الكثير».

رفع ثور البوق إلى شفتيه وشرب، شرب كما تشرب الآلهة، وشرب طويلًا وعميقًا حتى حدق إليه لوكي وثيالفي بانبهار.

لكنه عندما أنزل البوق، كان مستوى الميد قد نزل فقط بمقدار عقلة إصبع. قال ثور: «لقد اكتفيت من هذا. لست مقتنعًا أنه مجرد «بعض الميد»».

جعل أوتجارد لوكي حامل كأسه يأخذ البوق بعيدًا. قال لثور: «حان وقت اختبار قوتك. هل تستطيع حمل قطة؟».

«أي نوع من الأسئلة هذا؟ بالطبع أستطيع حمل قطة».

قال أوتجاردلوكي: «حسنًا، لقد رأينا جميعًا أنك لست قويًّا كما حسبنا. يتمرن صغار أوتجارد برفع قطتي المنزلية. لكن عليَّ أن أحذرك، أنت أصغر من أيٍّ منا، وقطتي هي قطة عملاقة، سأتفهم إن كنت غير قادر على حملها».

قال ثور: «سأحمل قطتك».

قال أوتجاردلوكي: «على الأرجح هي نائمة بجوار النار، لنذهب إليها».

كانت القطة نائمة، لكنها نهضت عندما دخلوا واندفعت إلى منتصف الغرفة. كانت رمادية، ضخمة كرجل. لكن ثور كان أقوى من أي رجل. لف ذراعيه حول معدة القطة ورفع بكلتا يديه، بقصد أن يرفعها فوق رأسه. بدت القطة غير منبهرة، قوست ظهرها ورفعت نفسها، مجبرة ثور على الشد بأقصى ما يستطيع.

لن ينهزم ثور في لعبةٍ ببساطةِ رفع قطة! جاهد وعافر، وفي النهاية ارتفع أحد أطراف القطة عن الأرض.

من بعيد، سمع ثور وثيالفي ولوكي ضجة، وكأن صخور عمالقة تتطاحن فيما بينها. جلبة هائلة لجبال تتألم.

قال أوتجاردلوكي: «يكفي، ليس ذنبك يا ثور أنك غير قادر على رفع قطتي المنزلية. إنها قطة

ضخمة، وأنت شخص ضئيل نحيل مقارنة بأي من عمالقتنا». وابتسم.

قال ثور: «شخص ضئيل نحيل؟ سأصارع أيًّا منكم..».

قال أوتجاردلوكي: «بعد كل ما رأيناه حتى الآن، سأكون مضيفًا مريعًا لو تركتك تصارع عملاقًا حقيقيًّا. قد تتعرض للأذى. وأخشى أن أيًّا من رجالي لن يصارع شخصًا لم يجفف بوق شرابي ولم يستطع حتى رفع قطة الأسرة. لكني سأخبرك بما أستطيع فعله. إن كنت تود المصارعة فعلًا، سأدعك تصارع مربيتي العجوز».

قال ثور بارتياب: «مربيتك العجوز؟».

«نعم هي عجوز، لكنها علمتني المصارعة قبل زمن بعيد، وأشك أنها قد نسيت. لقد انكمشت بفعل السن، ما يجعلها قريبة من طولك. وهي معتادة على اللعب مع الأطفال»، وعندها، بعدما رأى التعبير على وجه ثور قال: «اسمها إيلي Elli، ورأيتها تهزم رجالًا يبدون أقوى منك عندما صارعتهم. لا تثق بنفسك أكثر من اللازم يا ثور».

قال ثور: «أفضل مصارعة رجالك، لكني سأصارع مربيتك العجوز».

أرسلوا في طلب العجوز، وجاءت: هشة رمادية، ذاوية متجعدة، بدت وكأنها ستطير بعيدًا إن هب عليها نسيم. نعم كانت عملاقة، لكنها كانت أطول من ثور بقليل. شعرها كان قشيًّا هزيلًا على رأسها العتيقة. تساءل ثور إلى أي مدًى كانت المرأة عجوزًا. بدت أكبر من أي شخص عرفه قط. لم يود أن يؤذيها.

وقفا معًا، متواجهين. أول من سيطرح الآخر أرضًا هو الفائز. دفع ثور العجوز وجذبها، حاول تحريكها، زحلقتها، إجبارها على الوقوع، لكنها كانت راسخة وكأنها من الصخر. نظرت إليه طوال الوقت بأعينها القديمة عديمة اللون، ولم تنبس بشفة.

ثم مدت العجوز يدها ولمست برقة ثور في ساقه. شعر أن رجله صارت أقل ثباتًا حيث لمستها، فدفعها مقاومًا، لكنها رمت ذراعيها حوله وضغطته في اتجاه الأرض. ظل يدفعها بأقصى قوة عنده، لكن بلا طائل، ولم يمر وقت طويل قبل أن يجد نفسه مجبرًا على النزول على ركبة واحدة...

قال أوتجاردلوكي: «توقفا! يكفي ما رأينا يا ثور العظيم. أنت غير قادر على مواجهة مربيتي العجوز. ولا أظن أيًّا من رجالي سيصارعك الآن».

نظر ثور إلى لوكي، ثم نظر كلاهما إلى ثيالفي. جلسوا بجوار نار هائلة، وقدم إليهم العمالقة واجب الضيافة. الطعام كان طيبًا، والنبيذ أقل ملوحة من الميد الذي كان في بوق العملاق. لكن كل من ثلاثتهم تحدث أقل مما يتحدث عادة خلال مأدبة.

كان الرفاق هادئين مرتبكين، مهانين من هزائمهم.

تركا قلعة أوتجارد عند الفجر، ومشى الملك أوتجاردلوكي بنفسه جوارهم أثناء خروجهم.

قال أوتجاردلوكي: «والآن، هل استمتعتم بوقتكم في بيتي؟».

نظروا إليه بكآبة.

قال ثور: «ليس كثيرًا. لطالما هنأت نفسي على كوني قويًّا، والآن أشعر أني لا أحد، نكرة».

قال ثيالفي: «وأنا حسبت أني أجري بسرعة».

قال لوكي: «وأنا لم أنهزم قط في مسابقة أكل».

عبروا من البوابات التي حددت نهاية معقل أوتجاردلوكي.

قال العملاق: «أتعلمون؟ أنتم لستم نكرات. بصراحة لو كنت أعلم بالأمس ما أعلمه الآن، ما كنت لأدعوكم إلى بيتي أبدًا، وسأتأكد من أنكم لن تُدعوا إليه مجددًا. في الواقع أنا خدعتكم جميعًا بالأوهام البصرية».

نظر المسافرون إلى العملاق الذي ابتسم من فوق إليهم. سأل: «أتذكرون سكريمير؟».

«العملاق؟ بالطبع».

«كان أنا. استخدمت الأوهام لأبدو شديد الضخامة ولأغير هيئتي. أربطة مؤونتي كانت مربوطة بحديد غير قابل للكسر لا يفكه إلا السحر. عندما ضربتني بمطرقتك يا ثور بينما كنت أدعي النوم، علمت أن حتى أخف ضرباتك ستعني حتفي، فاستخدمت سحري لجلب جبل ووضعه مخفيًّا بين مطرقتك ورأسي. انظر هناك».

من بعيد كان هناك جبل على شكل سرج، تقطعه ثلاثة أودية، آخرها كان أعمقها.

قال أوتجاردلوكي: «ذلك كان الجبل الذي استخدمت. هذه الوديان هي ضرباتك».

لم يرد ثور، لكن شفتيه صارتا أنحف، ومنخاريه توسعا، وانتصبت لحيته الحمراء.

قال لوكي: «أخبرني عن الليلة السابقة في القلعة. هل كانت وهمًا أيضًا؟».

«بالطبع كانت كذلك. هل رأيت من قبل نارًا جامحة تهبط بوادٍ وتحرق كل ما في طريقها؟ أتحسب نفسك تأكل بسرعة؟ لن تأكل أبدًا بسرعة لوجي، فلوجي هو تجلي النيران، التهامه للأكل والطست الخشبي المقدم فيه كان عبر حرقهم. لم أرَ قط شخصًا يأكل بسرعتك».

لمعت عينا لوكي الخضراء بالغضب والإعجاب، فقد كان يحب الخدعة الجيدة بقدر ما كان يكره أن يُخدع.

دار أوتجاردلوكي إلى ثيالفي: «ما هي سرعة تفكيرك؟ أتستطيع التفكير أسرع مما تستطيع الجري؟».

قال ثيالفي: «بالطبع، أستطيع التفكير أسرع من أي شيء».

«لهذا جعلتك تسابق هوجي، الذي هو الفكر. لا يهم مدى سرعة جريك -ولم يرَ أيٌّ منا أحدًا يجري مثلك يا ثيالفي- لكن حتى أنت لا تستطيع أن تجري أسرع من الفكر».

لم يقل ثيالفي شيئًا. أراد قول شيء، أراد الاحتجاج وإلقاء المزيد من الأسئلة، لكن ثور بهزيم منخفض مثل رعد يتردد على قمة جبال غير قريبة قال: «وأنا؟ ما الذي فعلته فعلًا الليلة الماضية؟».

لم يعد أوتجارد لوكي مبتسمًا. قال: «معجزة. فعلت المستحيل. لم تدرك ذلك، لكن في الواقع نهاية بوق الشراب كان في أعمق أعماق البحر. لقد شربت من المحيط ما يكفي لتقليل مستواه، للتسبب في المد. بسببك يا ثور سترتفع مياه البحر وتنحسر في مد وجزر أبدي. تنهدت الصعداء عندما لم تأخذ شربة رابعة، ربما حينها كنت ستجفف المحيط».

القطة التي حاولت رفعها لم تكن قطة. كانت في الواقع يورمنجاندر، ثعبان ميدجارد، الثعبان الذي يحيط بالعالم. يستحيل رفع ثعبان ميدجارد، لكنك مع ذلك فعلت، لقد خففت من إحكام لفَّته برفع طرفه عن الأرض. أتذكر الضجة التي سمعتها؟ ذلك كان صوت الأرض تتحرك».

سأل ثور: «والمرأة العجوز؟ مربيتك؟ ماذا كانت؟» صوته كان معتدلًا، لكنه اعتصر مقبض مطرقته، وقبض عليه بارتياح.

«تلك كانت إيلي، الشيخوخة. لا أحد يستطيع هزيمة الشيخوخة، فهي تأخذنا جميعًا في النهاية، وتجعلنا أوهن فأوهن حتى تغلق أعيننا إلى الأبد. كلنا إلا أنت يا ثور. لقد صارعت الشيخوخة، وتعجبنا كيف ظللت واقفًا، حتى عندما تغلبت عليك لم تقع إلا على ركبة واحدة. لم نرَ قط شيئًا مثل ليلة البارحة يا ثور، على الإطلاق».

«الآن وقد رأينا قوتكم، علمنا كم كنا حمقى عندما سمحنا لك بدخول أوتجارد. أنوي الدفاع عن قلعتي في المستقبل. والوسيلة التي سأفعل بها ذلك هي التأكد من أن أيًّا منكم لن يجد أوتجارد أو يراها مرة أخرى أبدًا، والتأكد من أن أيًّا كان ما ستحمله لنا الأيام المقبلة، لن يعود أي منكم هنا أبدًا».

رفع ثور مطرقته فوق رأسه، لكن قبل أن يتسنى له الضرب كان أوتجاردلوكي قد اختفى.

قال ثيالفي: «انظرا».

كانت القلعة قد اختفت. لم يكن ثمة أثر لمعقل أوتجاردلوكي أو الأرض التي كان عليها. الآن وقف المسافرون الثلاثة في أرض قفر، بلا علامة على أي حياة من أي نوع.

قال لوكي: «لنعد إلى الوطن»، ثم قال: «لقد أتقنوا ما فعلوا. تلك كانت أوهام محكمة التنفيذ. أظننا جميعًا قد تعلمنا شيئًا اليوم».

قال ثيالفي: «سأخبر أختي أني تسابقت مع الفكر، سأخبر روسكفا أنني ركضت جيدًا».

لكن ثور لم يقل شيئًا. كان يفكر في الليلة السابقة، عندما صارع الشيخوخة، وشرب البحر. كان يفكر في ثعبان ميدجارد.

تفاح الخلود

ا

وكان في وقت آخر أن ذهب ثلاثة منهم لاستكشاف الفيافي الجبلية على حافة يوتونهايم، وطن العمالقة. هذه المرة كان الثلاثة هم ثور ولوكي وهونيير. (هونيير إله قديم، كان قد منح البشر هبة المنطق).

إيجاد الطعام في هذه الجبال كان أمرًا صعبًا، والآلهة الثلاثة كانوا جائعين، ويزدادون جوعًا.

سمعوا ضجة، خوار ماشية بعيدة، ونظروا بعضهم إلى بعض وابتسموا كما يبتسم رجال جائعون سيأكلون الليلة. هبطوا إلى واد أخضر، مكان حياة، حيث تحدُّ أشجار بلوط ضخمة وأشجار صنوبر عالية مروجًا وجداول، ورأوا هناك قطيعًا من الماشية، ضخمة وسمينة، ترعى من عشب الواد.

حفروا حفرة وصنعوا فيها بالخشب نارًا. ذبحوا ثورًا ودفنوه في سرير من الفحم الساخن. وانتظروا حتى يطيب الطعام.

فتحوا الحفرة، لكن اللحم لم يزل نيئًا دمويًّا.

وأشعلوا نارًا أخرى، وانتظروا مرة أخرى، ومرة أخرى لم تدفئ النار حتى اللحم.

سأل ثور: «هل سمعتم شيئًا؟».

قال هونيير: «ماذا؟ لم أسمع شيئًا».

قال لوكي: «أنا سمعت. أنصتوا».

أنصتوا، فأصبح الصوت جليًّا. أحدهم في مكان ما كان يضحك عليهم، ضحكة مجلجلة مستمتعة.

نظر الآلهة الثلاثة حولهم، لكن لم يكن هناك شيء آخر في الوادي، فقط هم والماشية.

ثم نظر لوكي إلى أعلى.

على أعلى فرع من أطول شجرة كان يقف أضخم نسر رأوه على الإطلاق، نسر عملاق، وكان يضحك عليهم.

سأله ثور: «أتعلم لماذا لم تطبخ النار عشاءنا؟».

قال النسر: «ربما أعلم. يا عيني! تبدون جائعين. لماذا لا تأكلون اللحم نيئًا؟ هذا ما تفعله النسور. نمزقه بمناقيرنا. لكنكم لا تملكون مناقير على ما يبدو».

قال هونيير: «نحن جائعون، أيمكنك مساعدتنا في طبخ عشائنا؟».

قال النسر: «في رأيي، لابد أن هناك سحر ما في ناركم، يمتص حرارتها وقوتها. إن وعدتم أن تعطوني بعض من لحمكم، سأعيد لناركم قوتها».

قال لوكي: «نعدك. يمكنك أن تأخذ النصيب الذي تريده عندما يصبح هناك لحم مطبوخ لنا جميعًا».

طار النسر مرة حول المرج، ضاربًا بأجنحته هبات رياح قوية إلى درجة أن الفحم في الحفرة

توهج وخرج منه اللهب، واضطرت الآلهة أن تتمسك بعضها ببعض حتى لا ترميها الرياح. ثم عاد وجثم عاليًا على الشجرة.

هذه المرة دفنوا اللحم في حفرة النار بقلب مطمئن، وانتظروا. كان الفصل صيفًا، عندما لا تكاد الشمس تغرب في أراض الشمال، ويدوم اليوم إلى الأبد. هكذا كانوا قرب آخر الليل لكنهم لم يزالوا يشعرون وكأنهم الصبح عندما فتحوا الحفرة، لتستقبلهم الرائحة المجيدة للحم المطبوخ، هشًّا وجاهزًا لسكاكينهم وأسنانهم.

وبينما هم يفتحون الحفرة، انقض النسر على اللحم وأنشب مخالبه في وركي الثور الخلفيين وكتفه، وبدأ في تمزيقها بمنقاره المفترس. غضب لوكي بشدة لرؤية أغلب عشائه على وشك أن يُلتهم، وضرب النسر برمحه بقوة، متمنيًا أن قوة الضربة ستوقع من النسر الطعام المنهوب.

رفرف النسر بجناحيه بقوة، صانعًا ريحًا عاصفة كادت تطرح الآلهة أرضًا، وأوقع اللحم. لوكي لم يجد وقتًا كافيًا ليستمتع بانتصاره، فقد اكتشف أن رمحه بات عالقًا في جانب النسر الهائل، وعندما طار النسر في الهواء، حمله معه.

أراد لوكي أن يفلت رمحه، لكن يديه كانتا عالقتين في المقبض، ولم يستطع الإفلات.

طار النسر على ارتفاع منخفض، فسحل معه أقدام لوكي فوق الصخور والحصى، على سطح الجبل وفوق الأشجار. كان ثمة سحر ما يعمل هنا، سحر أعتى من أي شيء يستطيع لوكي أن يتحكم فيه.

صاح: «أرجوك! توقف عن هذا! ستخلع ذراعيَّ عن أكتافي. حذائي هلك بالفعل. هكذا ستقتلني!».

حلق النسر بعيدًا عن جانب الجبل ودار برفق في الهواء، لم يعد سوى الهواء النضر بينه وبين الأرض. قال: «ربما أقتلك».

قال لوكي بين أنفاسه: «أيًّا كان ما يتطلب الأمر لجعلك تنزلني سأفعله، أيًّا ما تريد، أرجوك».

قال النسر: «أريد إيدون Idunn، وأريد تفاحها، تفاح الخلود».

كان لوكي معلقًا في الهواء، تفصله عن الأرض مسافة طويلة.

إيدون كانت متزوجةً براجي، رب الشعر. كانت طيبة رقيقة لطيفة، تحمل معها صندوقًا من خشب الدردار فيه تفاح ذهبي. عندما تشعر الآلهة بلمسة التأخر في العمر، عندما يشيب شعرهم وتؤلمهم مفاصلهم، يذهبون إلى إيدون. تفتح إيدون صندوقها وتسمح للرب أو الربة بأكل تفاحة واحدة. وبينما هم يأكلون يشعرون بالشباب والقوة تعود لهم. دون تفاح إيدون، لن تعود الآلهة آلهة إلا بالكاد...

قال النسر: «أنت لا تقول شيئًا. أعتقد أني سأسحلك فوق مزيد من الصخور وقمم الجبال. ربما أجرك عبر نهر عميق ما هذه المرة».

قال لوكي: «سأجلب إليك التفاح، أقسم لك، فقط أنزلني».

لم يقل النسر شيئًا، غير أنه بحركة من جناحه بدأ في الهبوط إلى المرج الأخضر الذي تصاعد منه دخان النيران. انخفض إلى حيث كان يقف ثور وهونير بأفواه فاغرة، ناظرين إليهم من أسفل. وبينما يطير النسر فوق حفرة النار، وجد لوكي نفسه يقع، لا يزال يقبض على الرمح،

ويتدحرج على العشب. بصيحة عالية، ضرب النسر بأجنحته وارتفع فوقهم، وفي لحظات بات نقطة صغيرة في السماء.

قال ثور: «أتساءل ماذا كان معنى كل ذلك؟».

قال لوكي: «من يعلم؟».

قال هونيير: «تركنا لك بعض الطعام».

لم يكن لدى لوكي شهية، ما عزاه أصدقاؤه لرحلته في الهواء. ولم يحدث شيء آخر ذو أهمية في طريقهم للعودة.

II

اليوم التالي، كانت إيدون تمشي في أسجارد، تحيي الآلهة، وتنظر في وجوههم بحثًا عن علامات السن. مرت بلوكي، عادة ما كان لوكي يتجاهلها، لكنه في هذا الصباح ابتسم وحياها.

قال لها: «إيدون! تسرني رؤيتك! أشعر بوطأة السن على كاهلي، وأحتاج إلى تذوق تفاحك».

قالت: «لا يبدو لي أنك تكبر».

قال لوكي: «أجيد إخفاء هذا. آه، ظهري يؤلمني! كبر السن شيء مريع يا إيدون».

فتحت إيدون صندوقها الخشبي ومنحت لوكي تفاحة ذهبية.

أكل بحماس، ملتهمًا حتى البذور، ثم رسم على محياه تعبيرًا منزعجًا.

قال: «أوه، ما هذا؟ حسبت أنك لديك تفاح أفضل من هذا».

قالت إيدون: «غريب أن تقول هذا». لم يحدث من قبل أن لاقى تفاحها استقبال مشابه. عادة تتحدث الآلهة فقط عن روعة المذاق وكيف يجعلهم يشعرون جيدًا. «لوكي، هذا تفاح الآلهة، تفاح الخلود».

نظر إليها لوكي بعدم اقتناع. قال: «ربما، لكني رأيت بعض التفاح في الغابة، أفضل من تفاحك في كل شيء. يبدو أفضل ورائحته أفضل وطعمه أفضل. أعتقد أنه كان تفاح خلود أيضًا. ربما خلود من نوع أفضل أيضًا».

راقب التعبيرات تطارد بعضها على محيا إيدون، الشك والحيرة والقلق.

قالت: «هذا هو التفاح الوحيد من هذا النوع».

هز لوكي كتفيه. قال: «أنا فقط أخبرك بما رأيت».

مشت إيدون بجواره. سألت: «أين ذلك التفاح؟».

«هناك. لست متأكدًا كيف أستطيع أن أصف لك مكانه، لكن بوسعي أخذك إلى هناك عبر الغابة. تمشية غير طويلة».

أومأت.

قال لوكي: «لكن عندما نرى شجرة التفاح، كيف سنستطيع مقارنة هذا التفاح بالذي في صندوقك بأسجارد؟ أعني أني قد أقول إنه أفضل من تفاحك، وأنت قد تردين: هذا هراء يا لوكي، ذلك تفاح ذابل مقارنة بتفاحي. كيف سنستطيع معرفة الفرق؟».

قالت إيدون: «لا تكن سخيفًا، سأجلب تفاحي، وسنقارنهم».

قال لوكي: «أوه، يا لها من فكرة ذكية. حسنًا إذن، هيا بنا».

قادها إلى الغابة، تحمل عن قرب صندوقها الخشبي الذي يحمل تفاح خلودها. بعد نصف ساعة من المشي قالت إيدون: «بدأت أظن أن لا يوجد تفاح آخر ولا شجرة تفاح أخرى».

قال لوكي: «ما تقولين ليس لطيفًا، ومؤلم. إن شجرة التفاح على قمة ذلك التل هناك».

مشيا حتى قمة التل. قالت إيدون: «لا توجد شجرة تفاح هنا. لا شيء عدا شجرة صنوبر عالية على قمتها نسر».

سأل لوكي: «هذا نسر؟ ضخم جدًّا».

وكأنه سمعهم، فرد النسر جناحيه ونزل من شجرة الصنوبر.

قال النسر: «لست نسرًا، بل أنا العملاق ثيازي Thiazi على هيئة نسر. جئت لآخذ الجميلة إيدون. ستصبحين رفيقة لابنتي سكادي، وربما ستتعلمين أن تحبيني. لكن أيًّا كان ما سيحدث، فزمن آلهة أسجارد قد ولى مع خلودهم. هذا ما أقوله أنا، هذا ما يقوله ثيازي».

قبض على إيدون بأحد قدميه المخلبيتين، وبالأخرى قبض على صندوق التفاح، وارتفع في السماء فوق أسجارد حتى اختفى.

قال لوكي لنفسه: «إذن هذا من كان فعلًا. علمت أنه لم يكن مجرد نسر». واتخذ طريقه إلى أسجارد، متمنيًا بشكل مبهم ألا يلاحظ أحد اختفاء إيدون وتفاحها، أو أنهم إن فعلوا، يكون ذلك بعد وقت طويل فلا يصبح بإمكان أي منهم أن يربط بين اختفائها وبين أخذ لوكي لها إلى الغابة.

III

قال ثور: «أنت كنت آخر من رآها»، متحسسًا مفاصل قبضته اليمنى.

قال لوكي: «لا، لم أفعل، لماذا تقول ذلك؟».

قال ثور: «وأنت لم تصبح مسنًّا مثل بقيتنا».

قال لوكي: «أنا مسن لكني محظوظ، أشيخ كالنبيذ».

زمجر ثور، غير مقتنع بالكامل. لحيته الحمراء أمست بيضاء كالثلج بقليل من الشعيرات البرتقالية الباهتة، ما كان يومًا نارًا هائجة بات اليوم رمادًا أبيض.

قالت فريا: «اضربه مجددًا». شعرها كان طويلًا رماديًّا، والتجاعيد في وجهها عميقة تحمل الهم. كانت لا تزال جميلة، لكنه جمال شيخة، لا جمال الشابة ذات الشعر الذهبي. «إنه يعرف مكان إيدون، ويعرف أين التفاح». قلادة البريسنجيين لا تزال معلقة حول رقبتها، لكنها باتت فاترة ملطخة، لا تلمع.

أودِن أبو الآلهة، استند إلى عصاه بأصابع متجعدة ملتهبة المفاصل زرقاء العروق وملتوية. صوته الذي كان دومًا مدويًا آمرًا، أصبح الآن مشروخًا متربًا. قال: «لا تضربه يا ثور».

قال لوكي: «أترون؟ علمت أنك على الأقل يا أبا الجميع سترى الأمور بمنطقية. لا شأن لي بالأمر! لماذا قد تذهب إيدون إلى أي مكان معي؟ إنها حتى لا تحبني».

كرر أودِن: «لا تؤذوه»، ورمقه بعينه السليمة الوحيدة، التي باتت الآن رمادية مزرقة. «أريده كاملًا سليمًا عندما يُعذب. إنهم يسخنون النار الآن ويشحذون النصال ويجمعون الصخور. ربما نحن مسنون، لكننا قادرون على التعذيب والقتل مثلما كان حالنا عندما كنا في أوجنا وكان لا يزال لدينا تفاح إيدون يبقينا صغارًا».

رائحة الفحم المحترق بلغت أنف لوكي.

قال: «لو...، لو وجدت سبيلًا لمعرفة ماذا حل بإيدون، وإن وجدت طريقة ما لإعادتها وتفاحها مرة أخرى إلى أسجارد بأمان، هل يمكننا نسيان التعذيب والموت؟».

بصوت عجوز متشقق إلى درجة أن لوكي لم يستطع تحديد إن كان ذلك صوت رجل عجوز أم امرأة، قال أودِن: «تلك فرصتك الوحيدة لتعيش، أعد إيدون وتفاح الخلود إلى أسجارد».

أومأ لوكي.

قال لهم: «فكوا هذه السلاسل، سأفعلها. لكني سأحتاج عباءة فريا ذات ريش النسر».

سألت فريا: «عباءتي؟».

«أخشى ذلك».

مشت فريا بتصلب، وعادت بالعباءة المغطاة بريش النسر. قيود لوكي كانت فُكَّت، ومد يده ليأخذ العباءة.

قال ثور: «لا تحسب نفسك قادرًا على الطيران والهروب بلا عودة»، وتحسس لحيته البيضاء

بحركة ذات معنى. قال: «ربما أنا الآن عجوز، لكن إن لم تعد، بكل شيخوختي، فسأطاردك وأجدك أينما اختفيت، وسأكون ومطرقتي سبب موتك. فأنا ثور، ولا أزال قويًّا».

قال لوكي: «أنت مزعج إلى أقصى درجة. احتفظ بطاقتك، ستحتاج إلى قوتك لتجهز كومة من نشارة الخشب خلف أسوار أسجارد. كومة هائلة من نشارة الخشب. ستضطر إلى قطع العديد من الأشجار وسحقهم إلى نشارة. سأحتاج إلى كومة ضخمة عالية ممتدة على طول السور، لذا عليك البدء الآن».

ثم لف لوكي عباءة ريش النسر بإحكام حول نفسه، وبهيئة النسر رفرف بجناحيه وطار، أسرع من أي نسر، واختفى في اتجاه الشمال، حيث أراضي عمالقة الصقيع.

IV

طار لوكي في هيئة النسر دون توقف، حتى بلغ قلعة العملاق ثيازي في عمق أرض عمالقة الصقيع، وحط على سقفها العالي، ولاحظ كل ما يجري في الأسفل.

راقب ثيازي، في هيئة العملاق، يخرج متثاقلًا من قلعته، ويمشي على الممشى الخشبي حتى بلغ قارب تجديف أكبر من أكبر الحيتان. نقل ثيازي القارب من الشاطئ إلى ماء المحيط الشمالي البارد، وجدف بضربات قوية داخلًا البحر. ولم يمر وقت قبل أن يختفي.

عندها طار لوكي بهيئة النسر حول القلعة، ناظرًا من كل نافذة بينما يفعل. في أبعد غرفة، عبر نافذة ذات قضبان، رأى إيدون تبكي جالسة، فحط على القضبان.

قال: «توقفي عن البكاء! إنه أنا، لوكي، جئت لإنقاذك».

حدقت إليه إيدون بعيون محمرة، قالت: «ها قد جاء مصدر كل مشاكلي».

«حسنًا، ربما، لكن ذلك كان قبل زمن بعيد. كان ذلك لوكي القديم، لوكي الحالي هنا لإنقاذك ولإعادتك إلى البيت».

سألت: «كيف؟».

«ألا يزال التفاح معك؟».

قالت له: «أنا من ربات الإيسر، أينما ذهبت، يذهب التفاح معي». وأرته صندوق التفاح.

قال لوكي: «هذا يجعل الأمور أيسر. أغلقي عينيك».

أغلقت عينيها، فحولها إلى بندقة في هيكلها، بقشرتها الخضراء لا تزال معلقة فيها. أغلق لوكي مخالبه حول البندقة، وقفز من بين قضبان النافذة، وشرع في رحلته إلى الوطن.

صيد ثيازي اليوم لم يكن وفيرًا. لم تعض على طعمه سمكة. قرر أن أفضل وسيلة لقضاء الوقت هي العودة إلى حصنه ومجالسة إيدون. سيغيظها بذكر أن بدونها وتفاحها، صارت الآلهة كلها متداعية ذابلة، هياكل مرتجفة مشلولة يسيل لعابها، بطيئة الفكر ومعاقة القلب والجسد. جدف عائدًا إلى بيته وذهب مسرعًا إلى غرفة إيدون.

كانت خاوية.

رأى ثيازي ريشة نسر على الأرض، وعلم فورًا أين إيدون ومن أخذها.

هب إلى السماء في هيئة نسر أضخم وأعظم من أي نسر اتخذه من قبل، وبدأ في الرفرفة بأجنحته وطار، أسرع فأسرع، تجاه أسجارد.

تحرك العالم تحته. هبت الريح حوله. ومضى أسرع، سريعًا إلى درجة أن الهواء ذاته ردد صوت مروره.

طار ثيازي إلى الأمام. غادر أرض العمالقة ودخل أرض الآلهة. لمح أمامه نسرًا آخر، أطلق ثيازي العنان لصرخة غضب وزاد من سرعته.

سمع آلهة أسجارد الصرخة ودوي الأجنحة، فهرعوا إلى قمة أسوارهم ليروا ماذا يحدث. رأوا نسرًا

ضئيلًا قادمًا نحوهم، ونسرًا هائلًا يقترب خلفه. النسر كان قريبًا جدًّا...

سأل ثور: «الآن؟».

قالت فريا: «الآن».

أشعل ثور النار في نشارة الخشب. مرت لحظة قبل أن تمسك النار بالخشب، لحظة طويلة كفاية ليطير النسر فوق القلعة ويستقر داخلها، ثم بزفير عالٍ ارتفع اللهب. كانت مثل انفجار، لسان من النار أعلى من أسوار أسجارد نفسها، ساخنة إلى درجة لا يمكن تخيلها.

ثيازي في هيئة النسر لم يتمكن من إيقاف نفسه، ولا إبطاء طيرانه، ولا تغيير اتجاهه. طار في النيران. أمسكت النار بريش الطائر العملاق، واحترقت أطراف أجنحته. ووقع النسر عديم الريش من الهواء، وتحطم على الأرض بدوي هائل هز قلعة الآلهة.

محترقًا، دائخًا، مصعوقًا، لم يكن النسر العاري نظيرًا للآلهة الشيوخ. قبل أن يقدر على تحويل نفسه عائدًا إلى هيئة العملاق كان قد صار جريحًا، وفيما هو يتبدل من طائر إلى عملاق، ضربة من مطرقة ثور فرقت بين ثيازي وبين حياته.

٧

إيدون كانت سعيدة لعودتها إلى زوجها. وأكلت الآلهة تفاح الخلود واستعادت شبابها. وتمنى لوكي لو أصبحت المسألة برمتها نسيًا منسيًّا.

غير أنها لم تصبح كذلك. سكادي، ابنة ثيازي، ارتدت درعها وحملت أسلحتها وجاءت إلى أسجارد لتنتقم لأبيها.

قالت: «كان أبي كل شيء بالنسبة إليَّ. أنتم قتلتموه. ملأ موته حياتي بالدموع والأسى. لم يعد في حياتي فرح. جئت للثأر، جئت للتعويض».

تفاوض الإيسر وسكادي ذهابًا وإيابًا في التعويض. في هذه الأيام كان لكل حياة ثمن، وحياة ثيازي كانت غالية. عندما انتهت المفاوضات، كان الآلهة وسكادي قد اتفقوا أنها ستُعوض عن موت أبيها بثلاثة أشياء.

أولها، ستُهدى زوجًا، يأخذ مكان أبيها الراحل. (كان من الواضح لكل الأرباب والربات أن عين سكادي كانت على بالدر، الأجمل من بين الآلهة. ظلت تغمز له وتحدق لي حتى نظر بالدر بعيدًا، محرجًا ومحمرًّا خجلًا).

ثانيًا، ستجعلها الآلهة تضحك مجددًا، لأنها لم تبتسم ولم تضحك منذ مقتل أبيها.

وثالثًا، ستتأكد الآلهة أن أباها لن يُنسى أبدًا.

تركتها الآلهة تختار من بينهم زوجًا، لكن كان لهم شرط واحد: قالوا لها إنها لن تختار زوجها برؤية وجهه. سيقف الأرباب خلف ستار، لا يظهر منهم إلا أقدامهم. وسكادي ستختار زوجها من قدمه.

واحدًا تلو الآخر مشى الأرباب خلف الستار، وحدقت سكادي إلى أقدامهم. كانت تقول: «أقدام قبيحة» كلما مر زوج منهم أمامها.

ثم وقفت، وتعجبت في بهجة. قالت: «هذان قدما زوجي المنتظر. هذان أجمل الأقدام! لا بد أنهما قدما بالدر، لا شيء في بالدر يمكن أن يكون قبيحًا».

وبينما كان بالدر بلا شك جميلًا، اكتشفت سكادي بعد رفع الستار أن الأقدام التي اختارتها تعود إلى نجورد، رب العربات، أبو فري وفريا.

تزوجته هناك فورًا. وجهها خلال وليمة الزواج التالية كان أتعس وجه رآه أي من الإيسر من قبل.

همز ثور لوكي. قال: «هيا، أضحكها، الأمر كله خطؤك في النهاية».

تنهد لوكي: «فعلًا؟».

أومأ ثور، وربت على مقبض المطرقة بحركة موحية.

هز لوكي رأسه، ثم خرج إلى الحظائر حيث يُحتفظ بالحيوانات، ثم عاد إلى الحفل يقود جديًا مهتاجًا. زاد لوكي من هياج الجدي عندما ربط بإحكام حبلًا حول لحيته.

ثم ربط لوكي الطرف الآخر من الحبل حول أعضائه الحميمة.

شد الحبل بيده، فصرخ الجدي بعد تألمه من شد لحيته، وشد من الناحية الأخرى. جذب الحبل أعضاء لوكي الحميمة، فصرخ، وشد الحبل من جديد ناحيته.

ضحكت الآلهة. لم يكن ضحك الآلهة يتطلب الكثير، لكن هذا كان أفضل شيء رأوه منذ مدة بعيدة. أخذوا يتراهنوا على من سينقطع أولًا، لحية الجدي أم أعضاء لوكي الحميمية. سخروا من صراخ لوكي، قال بالدر مغالبًا ضحكه: «إنه مثل عويل ثعلب في الليل!»، وضحك هود Hod شقيق بالدر، الذي كان ضريرًا، لكنه ظل يضحك كلما صرخ لوكي: «يصرخ لوكي كطفل باكي!».

لم تضحك سكادي، رغم شبح الابتسامة الذي بدأ يسكن أركان شفتيها. في كل مرة يصرخ الجدي أو ينتحب لوكي في ألم كالطفل، كانت ابتسامتها تتسع قليلًا.

شد لوكي، شد الجدي، وصرخ لوكي وجذب الحبل. عوى الجدي وجذب أكثر.

وانقطع الحبل.

قفز لوكي في الهواء، ممسكًا بعانته، وهبط بعنف في حجر سكادي، متألمًا منتحبًا. ضحكت سكادي بصخب انهيار جليدي، ضحكت مطولًا وبشدة حتى التمعت دموع الضحك في عينيها، وبينما هي تضحك مدت يدها واعتصرت يد زوجها الجديد، نجورد، لأول مرة.

انزلق لوكي عن حجرها، بكلتا يديه تغطيان ما بين رجليه أينما ذهب، يحدق بنظرة المُضطهد إلى الأرباب والربات، الذين ضحكوا أكثر.

قال أودِن أبو الجميع لسكادي ابنة العملاق، عندما انتهت وليمة الزواج: «لقد انتهينا إذن، أو كدنا أن نفعل».

أشار إلى سكادي لتتبعه إلى الليل في الخارج، مشت مع أودِن على طول القاعة، مع زوجها بجوارها. بجوار المحرقة الجنائزية التي أقامتها الآلهة لبقايا العملاق، استقر جِرْمان ضخمان، ممتلئان بالنور.

قال أودِن لسكادي: «هذان الجرمان، كانا عيني أبيكِ».

أخذ أبو الجميع العينان وألقاهما عاليًا في سماء الليل، حيث احترقا والتمعا معًا.

ارفع بصرك إلى سماء منتصف الشتاء، وسيكون بوسعك رؤيتهما، نجمين توأمين، أحدهما يسطع بجوار الآخر. هذان النجمان هم عينا ثيازي، ولا يزالان متألقين.

حكاية جيرد وفري

I

فري، شقيق فريا، كان أعظم الفانير. كان وسيمًا ونبيلًا، محاربًا وعاشقًا، لكن كان ينقصه شيء في حياته، ولم يعلم ماهيته.

بجل الفانون في ميدجارد فري. قالوا إنه من يُعاقب الفصول. جعل فري الحقول خصبة، وجلب وأخرج الحياة من الأرض الميتة. عبد الناس فري وأحبوه، لكن هذا لم يملأ الخواء بداخله.

أحصى فري ممتلكاته:

كان يملك سيفًا مذهلًا خارقالقوة، يحارب بنفسه. لكن هذا لم يُرضِ فري.

وكان لديه جولينبورستي، الخنزير ذهبي الشعر، الذي صنعه القزم بروك وأخوه إيتري. جولينبورستي يجر عربة فري، قادر على الجري في الهواء وفوق الماء، أسرع من أي حصان، وبوسعه الجري في أحلك الليالي، فشعره الذهبي كان يضيء ببهاء. لكن جولينبورستي لم يرضِ فري.

وامتلك أيضًا سكيدبلادنير، السفينة التي صنعها له الأقزام الثلاثة المعروفون بأبناء إيفالدي. لم تكن أكبر سفينة موجودة (تلك كانت ناجلفار Naglfar، سفينة الموت، المصنوعة من الأظافر غير المقلمة للموتى)، لكن سطحها كان يسع الإيسر كلهم. عندما تبحر سكيدبلادنير، فالريح دومًا معها، وتأخذك إلى حيثما تريد. ورغم أنها ثاني أكبر سفينة على الإطلاق وقادرة على حمل الإيسر كلهم، كان بوسع فري طي سكيدبلادنير مثل قماشة ووضعها في حقيبة. كانت أفضل سفينة. لكن سكيدبلادنير لم تُرضِ فري.

امتلك أجمل منزل خارج أسجارد. في ألفهايم، وطن إلفات النور، حيث كان محل ترحاب دومًا ويُعتبر الحاكم الأعظم. لم يكن هناك مكان مثل ألفهايم، ومع ذلك لم يُرضِ فري.

سكيرنير خادم فري كان إلف نور، وكان واحدًا من أفضل الخدم، ناصحًا حكيمًا ووجهًا وسيمًا.

أمر فري سكيرنير بتسريج جولينبورستي، وانطلقا إلى أسجارد معًا.

عندما بلغا أسجارد، مضيا إلى فالهالا، قاعة أودِن العظيمة للمقتولين. في فالهالا يعيش الإنهرجار Einherjar، «من يقاتلون وحدهم»، كل من ماتوا ببسالة في معركة منذ بدء الزمان. تحمل أرواحهم من أراضي القتال الفالكيريات، المحاربات اللواتي كلفهن أودِن بمهمة جلب أرواح الموتى النبلاء المقتولين في المعركة لينالوا هديتهم النهائية.

قال سكيرنير، الذي لم يأتِ هنا من قبل: «لا بد أنهم كثيرون».

قال له فري: «هم كذلك، لكن لا يزال هناك الكثير قادمين، وستظل هناك حاجة إلى الكثيرين عندما نحارب الذئب».

سمعوا صوت المعركة بينما هم يقتربون من الساحات حول فالهالا، سمعوا صليل تصادم الحديد بالحديد، وتمزيق الحديد للجلد.

وبينما هم يراقبون، رأوا محاربين أقوياء من كل الأعمار والأماكن، متكافئين في المعركة، يرتدون عدة القتال، يحارب كل منهم بأقصى قوته. ولم يمضِ وقت طويل قبل أن يتمدد نصف الرجال مقتولين على العشب.

نادى صوت: «كفى. انتهت المعركة اليوم».

عندها، عاون من لا يزالون واقفين الرجال الموتى لينهضوا من أرض الساحة. جروحهم شُفيت أمام أعين فري وسكيرنير، وتسلقوا أحصنتهم. وكل الجنود الذين حاربوا ذلك اليوم، سواء فازوا أو خسروا، ركبوا أحصنتهم عائدين إلى فالهالا، قاعة الموتى النبلاء.

فالهالا كانت قاعة شاسعة، لها ٥٤٠ بابًا، كل باب يسمح لثماني مئة محارب بالدخول متجاورين. اتسعت لأناس أكثر من قدرة العقل على الحساب.

في القاعة، هلل المحاربون عندما بدأت الوليمة. ذلك كان لحم الخنزير سِريمنير Saerimnir، كل ليلة كانوا يولمون على لحم الخنزير، وفي كل صباح يحيا الكائن الوحشي من جديد، ويصبح جاهزًا للذبح في نهاية اليوم وتقديم حياته لحمه للموتى النبلاء مجددًا. مهما كان عددهم، هناك دومًا لحم كافٍ. وقُدم إليهم الميد ليشربوه.

قال سكيرنير: «ميد كثير لمحاربين كُثر. ما مصدره؟».

قال له فري: «يأتي من عنزة اسمها هايدرون Heidrun. تقف على قمة فالهالا وتأكل أوراق شجرة تدعى ليراد Lerad، وهي فرع من شجرة العالم يغدراسيل. من أضرعها ينبع أفضل الميد. وسيكون هناك دومًا ما يكفي لكل المحاربين».

ذهبا إلى المائدة العالية، حيث يجلس أودِن. أمامه كان هناك طبق لحم لكنه لم يذقه. من حين إلى حين كان يطعن قطعة لحم بسكينه ويلقيها على الأرض، ليأكلها ذئباه جيري Geri وفريكي Freki.

جلس غرابان على كتفي أودِن، وكان يعطيهما فتات لحم أيضًا، بينما يهمسان إليه بالأشياء التي تحدث في كل مكان.

همس سكيرنير: «إنه لا يأكل».

قال فري: «لا يحتاج أن يفعل، هو يشرب، لا يحتاج إلى شيء عدا النبيذ. هيا، لقد انتهينا هنا».

سأل سكيرنير فيما هم يخرجون من أحد الأبواب الخمس مئة وأربعين لفالهالا: «لماذا نحن هنا؟».

«لأني أردت التأكد أن أودِن هنا في فالهالا مع محاربيه وليس في قاعته على هليدسكالف، نقطة المراقبة».

دخلا قاعة أودِن. قال فري: «انتظر هنا».

ولج فري وحيدًا قاعة أودِن وارتقى هليدسكالف، عرش أودِن الذي يستطيع رؤية كل شيء يحدث في العوالم كلها من فوقه.

نظر فري عبر العوالم. نظر إلى الجنوب وإلى الشرق وفي الغرب، ولم يرَ الشيء الذي يبحث عنه.

ثم نظر إلى الشمال، ورأى الشيء الذي تفتقر إليه حياته.

كان سكيرنير ينتظر عند الباب عندما عاد سيده من القاعة. على وجهه كان تعبير لم يره سكيرنير من قبل قط. وبات سكيرنير خائفًا.

غادرا دون أن يتحدثا.

II

قاد فري عربته التي يجرها جولينبورستي عائدًا إلى قصر أبيه. لم يتكلم فري مع أي شخص عندما بلغ القصر، لا أبوه نجورد، الذي هو سيد كل من يخوض البحار، ولا زوجة أبيه سكادي، سيدة الجبال. دخل غرفته بوجه مظلم كمنتصف الليل، وظل هناك.

في اليوم الثالث، أرسل نجورد في طلب سكيرنير.

قال نجورد: «ظل فري هنا لثلاثة أيام وثلاث ليالٍ، لم يأكل ولم يشرب شيئًا».

قال سكيرنير: «هذا صحيح».

سأل نجورد: «ماذا فعلنا لنغضبه؟ ابني، الذي كان دومًا رقيقًا مفعمًا باللطف والكلمات الحكيمة، لا يقول الآن شيئًا، ينظر إلينا فقط بحنق. ما الذي أغضبه إلى هذه الدرجة؟».

قال سكيرنير: «لا أعلم».

قال نجورد: «إذن عليك أن تذهب إليه وتسأله ما الذي يحدث. اسأله لماذا هو غاضب منا ولا يتحدث إلينا».

قال سكيرنير: «أفضل ألا أفعل، لكني لا أستطيع أن أرفض لك طلبًا يا مولاي. إنه في حال غريب مظلم، وأنا خائف مما قد يفعله لو سألته».

قال نجورد: «اسأله، وافعل ما في وسعك لأجله، إنه سيدك».

سكيرنير، إلف النور، ذهب إلى حيث وقف فري يحدق إلى البحر. وجه فري كان غائمًا مهمومًا، وتردد سكيرنير في الاقتراب منه.

قال سكيرنير: «فري؟».

لم يقل فري شيئًا.

«فري؟ ما الذي حدث؟ أنت غاضب، أو أنت مكتئب. حدث شيء، عليك أن تخبرني بما يحدث لك».

قال فري، بصوت مجوف وبعيد: «أنا معاقب. ذهبت إلى مقعد أبي الجميع المقدس، ونظرت إلى العالم. لجهلي ولاعتقادي أن لديَّ الحق في مكان المراقبة، أُخذت سعادتي مني إلى الأبد. دفعت ثمن جريمتي، ولا زلت أفعل».

قال سكيرنير: «مولاي، ماذا رأيت؟».

سكت فري، وفكر سكيرنير أنه غرق مجددًا في صمته المهموم، لكن بعد بعضالوقت قال: «نظرت إلى الشمال. رأيت هناك مسكنًا، منزلًا بديعًا. ورأيت امرأة تمشي إلى ذاك المنزل. لم أرَ من قبل امرأة مثلها. لا أحد يبدو مثلها. لا أحد يتحرك مثلها. وفيما كانت ترفع ذراعيها لتفتح باب منزلها، انعكس الضوء على ذراعيها، وبدا كأنه يضيء الهواء وينير البحر، وبات العالم مكانًا مشرقًا جميلًا فقط لأنها فيه. ثم نظرت بعيدًا ولم أعد أراها، وصار عالمي مظلمًا يائسًا خاويًا».

سأل سكيرنير: «من هي؟».

«عملاقة. أبوها هو جيمير Gymir عملاق الأرض، وأمها أوربودا Aurboda عملاقة جبال».

«وهل تملك هذه الكائنة الجميلة اسمًا؟».

«اسمها جيرد Gerd». وصمت فري مرة أخرى.

قال سكيرنير: «أبوك قلق عليك، كلنا قلقين عليك، أهناك شيء بوسعي فعله؟».

«لو ذهبت وسألت أباها يدها لي، فأنا مستعد للتخلي عن أي شيء مقابل ذلك. لا أستطيع أن أعيش بدونها. أعدها إليَّ لتكون زوجتي، مهما يقول أبوها. وسأدفع إليك أيضًا».

قال سكيرنير: «إن ما تطلبه كثير يا مولاي».

قال فري محمومًا: «سأمنح أي شيء»، وارتجف.

أومأ سكيرنير. «سأفعل ذلك يا مولاي»، وتردد، «فري، أيمكنني أن أرى سيفك؟».

أخرج فري سيفه وقدمه إلى سكيرنير ليفحصه. «لا يوجد سيف آخر مثله. فهو يحارب بنفسه، دون أن تحمله يد. سيحميك دومًا. لا يوجد سيف آخر مهما بلغت قوته يستطيع اختراق دفاعه. يقولون إن هذا السيف قادر حتى على التغلب على سيف لهب سورتر، شيطان النار».

هز سكيرنير كتفيه: «إنه سيف ممتاز. لو أردت أن أحضر لك جيرد، سيكون هذا السيف أجري».

أومأ فري موافقًا. منح سكيرنير سيفه، وحصانًا ليركبه.

سافر سكيرنير شمالًا حتى بلغ بيت جيمير. دخله ضيفًا وأوضح من هو ومن أرسله. أخبر جيرد الجميلة عن سيده فري، قال: «إنه أبهى الآلهة. المطر والطقس وضوء الشمس كلهم يخضعون لسلطانه، وهو من يمنح أهل ميدجارد الحصاد الطيب وأيام السلام ولياليه. يحفظ للبشر الوفرة والرخاء. يحبه الناس جميعًا ويعبدونه».

أخبر جيرد عن جمال فري وقوته. أخبرها عن حكمته، وفي النهاية أخبرها عن الحب الذي يكنه لها، وكيف انفطر قلبه عندما أبصرها وأحجم عن الأكل أو النوم أو الشرب أو الكلام، حتى توافق أن تكون عروسه.

ابتسمت جيرد، والتمعت عيناها بالفرحة. قالت: «قل له إني موافقة، سأقابله في جزيرة باري Barri للزفاف. بعد تسعة أيام من الآن. اذهب وأخبره».

عاد سكيرنير إلى قاعة نجورد.

قبل أن يتمكن من النزول عن حصانه كان فري هناك، أكثر شحوبًا وسقمًا مما كان عندما تركه. سأل: «ما الأخبار؟ هل أفرح أم أحزن؟».

قال سكيرنير: «ستتخذك زوجًا بعد تسعة أيام من الآن، في جزيرة باري».

نظر فري إلى خادمه دون فرحة، قال: «الليالي بدونها في حياتي تدوم إلى الأبد، الليلة الواحدة طويلة، والليلتان أطول بكثير. كيف سأتمكن من التعايش ثلاث ليالٍ؟ وأربعة أيام تبدو لي شهرًا، وأنت تتوقع مني أن أنتظر تسعة أيام؟».

نظر سكيرنير إلى سيده بشفقة.

بعد تسعة أيام من ذلك اليوم، على جزيرة باري، تقابل فري وجيرد لأول مرة، وتزوجا في حقل تتراقص فيه سيقان الشعير مع الهواء. كانت جميلة مثل حلمه، ولمستها كانت بالجمال الذي تمناه، وكذا حلاوة قبلتها. زواجهما كان مباركًا، ويقول البعض أن ابنهما الأول فيولنير Fjolnir سيكبر ليصير أول ملوك السويد. (سيغرق في وعاء ميد في نهاية إحدى الليالي، بينما يتصيد مكانًا للتبول في الظلام).

سكيرنير أخذ السيف الذي منحه له فري، السيف الذي يحارب وحده، وعاد به إلى ألفهايم.

ملأت الجميلة جيرد الخواء في حياة فري، والخواء في قلبه. لم يفتقد فري سيفه، ولم يستبدله. عندما حارب العملاق بيلي Beli قتله بقرن غزال. فري كان قويًا إلى درجة أنه كان قادرًا على قتل عملاق بيده العارية.

برغم ذلك لم يكن عليه التخلي عن سيفه.

راجناروك قادمة. عندما تنشطر السماء إربًا وتزحف قوى الظلام من موسبيل في مسيرة الحرب، سيتمنى فري لو كان سيفه لا يزال موجودًا.

رحلة ثور وهايمير لصيد السمك

وصلت الآلهة إلى قصر إيجير Aegir الضخم على حافة البحر. نادى ثور، الذي كان على رأس الرفقة: «نحن هنا، أعدوا لنا الولائم».

إيجير كان أعظم عمالقة البحر. زوجته كانت ران Ran، التي يجتمع في شبكتها من غرقوا في البحر. بناته التسع هن أمواج البحر.

لم يكن لدى إيجير رغبة في إطعام الآلهة، لكنه أيضًا لم يود أن يتشاجر معهم. نظر إلى عين ثور وقال: «سأجهز لكم مأدبة، وستكون أعظم وليمة حضرها أيٌّ منكم على الإطلاق. خادمي فيمافنج Fimafeng سيخدم كلًّا منكم بإخلاص، ويجلب إليكم كل الطعام الذي تتسع معداتكم له، وكل الجعة التي تستطيعون شربها. لديَّ فقط شرط وحيد: سأقيم لكم الوليمة لكن عليكم أولًا أن تجلبوا إليَّ مرجلًا كبيرًا كفاية لتخمير الجعة لكم جميعًا. أنتم كثيرون، وشهيتكم هائلة».

علم إيجير جيدًا أن ليس لدى الآلهة مرجل شبيه. وبدون المرجل لن يكون عليه إقامة المأدبة.

سأل ثور بقية الآلهة النصيحة، لكن كل رب سأله كان رأيه أن مثل ذلك المرجل غير موجود. في النهاية سأل تير، إله المعركة. حك تير ذقنه بيده اليسرى، يده الوحيدة. قال: «على حافة بحر العالم، الملك العملاق هايمير، لديه مرجل بعمق ثلاثة أميال. أكبر مرجل موجود على الإطلاق».

سأل ثور: «هل أنت متأكد؟».

أومأ تير. قال: «هايمير هو زوج أمي، أمي عملاقة. رأيت المرجل العملاق بأم عيني. وبما أني ابن زوجته، فأنا مُرحب بي في قصر هايمير».

ركب تير وثور عربة ثور التي يجرها الماعزان سنارلر وجريندر، وبسرعة سافرا إلى قلعة هايمير الهائلة. ربط ثور ماعزيه إلى شجرة، وشق كلاهما طريقه إلى الداخل.

في المطبخ كانت هناك عملاقة تقطع بصلًا بحجم جلاميد الصخر وكرنبًا بحجم القوارب. لم يستطع ثور منع نفسه من التحديق، فالسيدة العجوز كان لها تسع مئة رأس، كل رأس مخيف وقبيح أكثر من سابقها. أخذ خطوة إلى الوراء. لو كان تير مضطربًا، فهو لم يظهر هذا. نادى تير: «تحياتي يا جدتي. نحن هنا لنرى إن كان بإمكاننا استعارة مرجل هايمير لتخمير جعتنا».

قالت جدة تير: «يا لكم من أشياء ضئيلة! حسبتكم فئرانًا»، بدا حديثها كصياح تجمهر من الناس، «أنت لا تريد التحدث معي يا حفيدي، عليك أن تتكلم مع أمك».

ثم نادت: «جاءك ضيوف، ابنك هنا مع صديق له»، وخلال لحظات جاءت عملاقة أخرى. زوجة هايمير وأم تير. ترتدي ملابس ذهبية، وجميلة بقدر ما كانت حماتها مخيفة. حملت كُشتبانًا من أصغر كُشْتبانات العمالقة، مملوءينِ بالجعة. أخذ ثور وتير الكشتبانين، اللذين كانا بحجم الدلاء، وشربا الجعة بحماس.

كانت جعة ممتازة.

سألت العملاقة ثور عن اسمه، كان ثور على وشك أن يخبرها، لكن قبل أن يتمكن من الكلام

قال تير: «اسمه فيور يا أمي. إنه صديقي، وعدو لأعداء هايمير والعمالقة».

سمعوا قعقعة بعيدة، مثل رعد على القمم، أو جبال تتداعى، أو أمواج هائلة تتحطم على الصخور، ومع كل قعقعة ارتجفت الأرض.

قالت العملاقة: «زوجي قادم، أسمع خطوات رقيقة من بعيد».

أصبحت القعقعة أكثر وضوحًا وبدا أنها تقترب بسرعة.

حذرتهم العملاقة: «عادة ما يكون مزاج زوجي سيئًا عندما يعود إلى البيت، غضوبًا متجهم العقل، يعامل الضيوف سيئًا. لماذا لا تنزلون تحت تلك الغلاية وتظلون هناك حتى يصبح رائقًا كفاية لخروجكما؟».

خبأتهم تحت الغلاية على أرض المطبخ، المكان هناك كان مظلمًا.

ارتجت الأرض، وصُفع الباب، وعلم ثور وتير أن هايمير لا بد أنه وصل البيت. سمعوا العملاقة تقول لزوجها إن عندهم ضيوفًا، ابنها وصديقه، وأن عليه أن يحسن من سلوكه كمضيف كريم ولا يقتلهم.

«لماذا؟»، صوت العملاق كان عاليًا فظًّا.

«الأصغر هو ابننا تير، أنت تذكره. الأكبر اسمه فيور، كن لطيفًا معه».

«ثور؟ عدونا ثور؟ ثور الذي قتل عمالقة أكثر مما عداه، حتى من العمالقة؟ ثور الذي أقسمت أن أذبحه ما إن أقابله؟ ثور الذي ...».

قالت زوجته لتهدئه: «فيور وليس ثور، فيور. إنه صديق ابننا، وعدو لأعدائك، عليك أن تكون لطيفًا معه».

قال صوت مزلزل عملاق: «أنا مزاجي سيئ وروحي غاضبة وليس عندي رغبة في أن أكون لطيفًا مع أي شخص. أين يختبئون؟».

قالت زوجته: «خلف تلك العارضة هناك».

سمع ثور وتير تحطم العارضة التي أشارت إليها، تبع ذلك سلسلة من أصوات التهشم المتتالية، كل الغلايات في المطبخ لُطمت ووقعت من السقف لتتحطم.

سألت أم تير: «هل انتهيت من تحطيم الأشياء؟».

قال صوت هايمير على مضض: «أظن ذلك».

قالت: «إذن انظر تحت تلك الغلاية على الأرض، تلك التي لم تحطمها».

رُفعت الغلاية التي اختبأ تحتها تير وثور، ووجدا نفسيهما يحدقان من أسفل إلى وجه شاسع، ملامحه ملتوية في تجهم عبوس. علم ثور أن هذا هو الملك العملاق هايمير. لحيته كانت مثل غابة أشجار يغطيها الثلج في منتصف الشتاء، وحاجباه كانا كحقل أشواك، ونفسه كان عطنًا ككومة روث في مستنقع.

قال هايمير بلا حماسة: «أهلًا تير».

قال تير بسعادة أقل، لو كان هذا ممكنًا: «أهلًا يا أبي».

قال هايمير: «ستنضمان إلينا كضيوف على العشاء». وصفق بيديه.

انفتح باب القصر، واقتيد إلى الداخل ثور عملاق، ذو جلد لامع وعيون براقة وقرون حادة. تبعه ثور آخر أجمل من سابقه، ثم ثالث أفضل من أول اثنين.

قال هايمير: «هذه أفضل الثيران في الوجود. أكبر وأسمن بكثير من الوحوش في ميدجارد أو أسجارد. أنا فخور إلى أقصى درجة بقطيعي. إنه كنزي، درة عيني. أعامله كأطفالي». ولبضع لحظات بدا أن التجهم على وجهه قد رقَّ.

الجدة ذات الرؤوس التسع مئة قتلت الثيران، وسلختها، وألقتها في وعاء طبخ هائل. غلى الحساء ودلق الفقاقيع على النيران، التي اضطرمت وألقت بالشرر، وقلبت الوعاء بملعقة ضخمة كشجرة بلوط. غنت لنفسها بهدوء بينما تطبخ، بصوت مثل صوت ألف امرأة عجوز تغني بأعلى ما في حلقها في نفس الوقت.

ولم يمضِ وقت طويل قبل أن يجهز الأكل.

قال هايمير بكرم: «أنتم ضيوفي هنا، لا داعي للرسميات. خذوا من الوعاء بقدر ما تستطيعون». كان الغرباء صغارًا برغم كل شيء، كم يستطيع هؤلاء أن يأكلوا؟ في النهاية الثيران كانت شديدة الضخامة.

قال ثور إنه لا يمانع أن يفعل، وتابع أكل ثورين بنفسه، واحدًا تلو الآخر، تاركًا للآخرين عظامًا نظيفة فقط. ثم تجشأ راضيًا.

قال هايمير: «ذلك طعام كثير يا فيور، كان يفترض به أن يطعمنا عدة أيام. لا أظن أني رأيت قط أي شخص، ولا حتى عملاقًا، قادرًا على أكل اثنين من ثيراني مرة واحدة».

قال ثور: «كنت جائعًا، وأخذتني الحماسة قليلًا. انظر، لماذا لا نخرج غدًا للصيد؟ أسمع أنك صياد ممتاز».

مدح هايمير مهارته كصياد: «أنا صياد ممتاز، يمكننا أن نصطاد سمكًا كثيرًا للعشاء ليلة غد».

قال ثور: «أنا أيضًا صياد رائع». لم يكن قد اصطاد سمكًا من قبل قط، لكن ما الصعب في ذلك؟

قال هايمير: «لنتقابل فجر الغد عند المرفأ».

في غرفة نومهم الضخمة تلك الليلة، قال تير لثور: «أتمنى أنك تعرف ما تفعله».

قال ثور: «بالطبع أفعل». لكنه لم يفعل، كان فقط يفعل ما يشعر أنه يود فعله. وذلك كان أفضل ما يفعله ثور.

في الضوء الرمادي الذي يسبق الفجر، قابل ثور هايمير عند المرفأ.

قال العملاق: «يجب أن أحذرك يا فيور الصغير أننا سنخوض بعيدًا في أغوار المياه المتجمدة. أنا أجدف في قلب المياه الباردة وأبقى هناك أطول مما يستطيع شيء ضئيل مثلك أن يتحمل. سيتكون الثلج على لحيتك وشعرك، وستزرق من البرد. وعلى الأرجح ستموت».

قال ثور: «لا يقلقني هذا، أحب البرد، إنه منعش، ماذا سنستخدم كطعم؟».

قال هايمير: «معي طُعمي بالفعل. عليك أن تجد طُعمك. يمكنك أن تبحث عنه في حقل الثيران.

ثمة ديدان كبيرة لطيفة في روث الثيران على أي حال. أحضر ما تريده من هناك».

نظر ثور إلى هايمير. فكر في ضربه بمطرقته، لكنه حينها لن يحصل أبدًا على المرجل، ليس بلا قتال. مشى عائدًا على طول الشاطئ.

في المرج كان قطيع هايمير من الثيران الجميلة يرعى. وكان ثمة أكوام من الروث على الأرض، تنقب فيها وتتلوى ديدان ضخمة، لكن ثور تفاداها جميعًا. عوضًا عن ذلك ذهب إلى أكبر وأبهى وأسمن الوحوش، ورفع قبضته، وضربه بين عينيه، فمات على الفور.

انتزع ثور رأس الحيوان ووضعها في كيس، وحمله معه إلى البحر.

هايمير كان في القارب، وكان قد أقلع بالفعل ويجدف خارجًا من المرفأ.

قفز ثور في الماء البارد وسبح، جارًّا الكيس خلفه. قبض على مؤخرة القارب بأصابع مخدرة، ثم رفع نفسه إلى السطح، تنقط منه مياه البحر، وعلى لحيته الحمراء قشرة ثلجية.

قال ثور: «آه، كان هذا مسليًا. لا شيء ينعشك مثل سباحة صباحية باردة جيدة».

لم يقل هايمر شيئًا. أخذ ثور زوج المجاديف الآخرين، وبدءا في التجديف معًا. وبسرعة اختفت اليابسة، وباتا وحدهما في مياه البحر الشمالي. المحيط رمادي، والأمواج عالية متلاطمة، والنوارس تعوي، ومثلها الرياح.

توقف هايمير عن التجديف. قال: «سنصطاد هنا».

قال ثور: «هنا؟ نحن لم نكد نخرج في البحر»، والتقط المجاديف وأخذ يجدف وحده إلى غور المياه.

ومضى القارب فوق الأمواج.

صاح هايمير: «توقف! تلك مياه خطرة، هنا مكان يورمنجاندر، ثعبان ميدجارد».

توقف ثور عن التجديف.

أخذ هايمير سمكتين ضخمتين من قاع قاربه. شقهما بسكين طعمه الحادة جدًّا، وألقى أمعاءهما في البحر، ثم خوزقهم بخطافات حبله.

ألقى هايمير حبل صيده المُطعم في البحر. وانتظر حتى اهتز الحبل وارتجف في يده، عندها شده: وكان ثمة حوتان وحشيان معلقان فيه، أضخم الحيتان التي رآها ثور في حياته. ابتسم هايمير في فخر.

قال ثور: «ليس سيئًا».

أخرج ثور رأس الثور من حقيبته. وعندما رأى هايمير الأعين الميتة لثوره المفضل، تجمد وجهه.

قال ثور: «أحضرت الطعم من حقل الثيران كما قلت». طاردت تعبيرات الصدمة والخوف والغضب بعضها بعضًا على وجه هايمير الضخم، لكنه لم يقل شيئًا.

أخذ ثور حبل صيد هايمير، وحشر الخطاف في رأس الثور، ثم ألقى بالحبل والرأس في المحيط. شعر بها تستقر في القاع.

وانتظر.

قال لهايمير: «صيد الأسماك على ما أعتقد يعتمد تمامًا على تعلم الصبر. إنه ممل نوعًا، أليس كذلك؟ أتساءل ما الذي سأصطاده لعشاءنا؟».

وكان ذلك عندما هاج البحر. عض يورمنجاندر، ثعبان ميدجارد، على رأس الثور، وانحشر الخطاف في أعمق أعماق سقف حلقه. تلوى الثعبان في الماء محاولًا تحرير نفسه.

تمسك ثور بالحبل.

هدر هايمير في رعب: «إنه سيجرنا إلى الأسفل! اترك الحبل!».

هز ثور رأسه. وتمسك بالحبل، عازمًا على المتابعة.

ضرب إله الرعد قاع القارب بقدميه، واستخدم قاع البحر لدعم نفسه، وبدأ في سحب يورمنجاندر إلى سطح القارب. بصق الثعبان عليهم رشقات من السم الأسود. انحنى ثور فأخطأه السم. وتابع الشد.

صاح هايمير: «هذا ثعبان ميدجارد يا أحمق. أترك الحبل! سيموت كلانا!».

لم يقل ثور شيئًا، فقط تابع شد الحبل، يدًا وراء يد، بأعين مركزة على عدوه. همس للثعبان، من تحت هدير الأمواج وعويل الرياح وصراخ وضربات الوحش: «إما أن أقتلك، وإما أن تقتلني. أقسم لك بهذا».

قالها في سره، لكنه كان قادرًا على أن يقسم أن ثعبان ميدجارد سمعه. ثبَّت عينه إلى عينه، ورشقة السم التالية اقتربت من ثور إلى درجة أنه كان بوسعه تذوقها في هواء المحيط. أصاب رذاذ السم كتفه، وأحرق كل منطقة لمسها.

ضحك ثور ببساطة، وشد من جديد.

بدا لثور أن من مكان ما، بعيد، كان هايمير يرغي ويزبد ويصيح بشأن الثعبان المتوحش، وبأن البحر يدخل المركب من الثقوب في أعماقه، وكيف أنهما سيموتان هنا، في البرد، في المحيط البارد، أبعد ما يكون عن اليابسة. لم يأبه ثور بأيٍّ من هذا. فهو يحارب الثعبان، يلعب به، يجعله يرهق نفسه بالجذب والتلوي.

بدأ ثور في جذب حبل الصيد إلى القارب.

رأس ثعبان ميدجارد أوشك أن يصير في متناول ضربته. مدَّ ثور يده دون أن يحول بصره عنه، والتفت أصابعه على مقبض مطرقته. عرف أين ستحتاج رأس المطرقة أن تضرب لتقتل الثعبان. شدة أخرى لحبل الصيد و...

سكين طُعم هايمير التمعت، والحبل انقطع. يورمنجاندر، ثعبان ميدجارد، تقوس عاليًا فوق القارب، ثم ارتد عائدًا إلى البحر.

ألقى ثور مطرقته عليه، لكن الوحش كان قد ذهب بالفعل، اختفى في المياه الرمادية الباردة. عادت المطرقة والتقطها ثور. عاد انتباهه إلى قارب الصيد الذي يغرق. هايمير كان يزيح المياه من قاع القارب بيأس.

أزاح هايمير المياه وجدف ثور عائدًا إلى الشاطئ. جعل الحوتين في مقدمة القارب، اللذين اصطادهما هايمير من قبل، التجديف أصعب مما هو في العادة.

شهق هايمير: «ها هو الشاطئ، لكن بيتي لا يزال على بعد أميال».

قال ثور: «يمكننا الرسو هنا».

قال هايمير منهكًا: «فقط إن كنت مستعدًّا لحمل القارب والحوتين اللذين اصطدت حتى نبلغ القصر».

«هممم، حسنًا».

قفز ثور من فوق جانب قارب الصيد. بعد لحظات شعر هايمير أن القارب يرتفع في الهواء. ثور كان يحملهم على ظهره: القارب والمجاديف وهايمير والحوتين، حملهم على طول شاطئ الحصى المتاخم للبحر.

عندما بلغا قصر هايمير، وضع ثور القارب على الأرض.

قال ثور: «ها قد أوصلتك إلى البيت، مثلما طلبت مني. والآن أريد منك معروفًا في المقابل».

سأل هايمير: «ما هو؟».

«مرجلك. المرجل الضخم الذي تخمر فيه جعتك. أريد استعارته».

قال هايمير: «أنت صياد سمك جبار، وتجدف بقوة. لكن ما تطلبه هو أعظم وعاء تخمير في الوجود. الجعة التي تُخمر فيه سحريًّا هي أفضل جعة على الإطلاق. سأعيره فقط للشخص القادر على كسر كوب شربي».

قال ثور: «لا يبدو هذا شيئًا شديد الصعوبة».

أكلوا لحم الحوت المشوي على عشاء تلك الليلة، في قاعة مفعمة بالعمالقة متعددي الرؤوس، يصيحون جميعًا في سعادة وأغلبهم سكارى. بعدما أكلوا، جفف هايمير آخر قطرة جعة في كوبه وأمر بالصمت. ثم أعطى الكوب لثور.

قال: «حطمه، حطم هذا الكوب وسيكون مرجلي لتخمير الجعة لك هدية. وإن فشلت في تحطيمه تموت».

أومأ ثور.

توقفت العمالقة عن المزاح والغناء، وراقبوا بحذر.

قلعة هايمير كانت مبنية بالحجارة. أخذ ثور كأس الشراب، ورفعه بكلتا يديه، ثم رماه بكل قوته تجاه الأعمدة الجرانيتية التي ترفع سقف قاعة الطعام. صُمت الآذان من صوت الارتطام، والغبار الذي ملأ الهواء غشَّى العيون.

عندما سكن الغبار، مشى هايمير إلى ما تبقى من الأعمدة الجرانيتية. عبر الكوب من العمود الأول، ثم من ثانٍ، محطمًا إياهم إلى شظايا صخرية صغيرة. وبين أنقاض العمود الثالث، كان كوب الشراب هناك، مغطى بالغبار، لكن لم يصبه أذى.

رفع هايمير كوبه فوق رأسه، وهلل العمالقة وضحكوا وسخروا من ثور بتعبيرات رؤوسهم وإيماءات فظة.

جلس هايمير إلى مائدته مرة أخرى. قال لثور: «أترى؟ عرفت أنك لست قويًّا كفاية لتكسر

كوبي». رفع كوبه وصبت فيه زوجته الجعة. تجرع هايمير جعته وقال: «أفضل جعة يمكنك تذوقها. هيا يا زوجتي، صبي المزيد من الجعة لابني ولصديقه فيور. دعيهم يتذوقون أفضل جعة ممكنة، ويحزنون أنهم لن يأخذوا المرجل معهم، ولن يذوقوا جعة بهذا الجمال مرة أخرى. وأيضًا يحزنون أني مضطر إلى قتل فيور الآن، فكوبي لا يزال سليمًا».

جلس ثور إلى المائدة بجوار تير، والتقط قطعة من لحم الحوت المتفحم، ومضغها بحنق. كان العمالقة صاخبين مزعجين، وصاروا يتجاهلونه.

انحنت أم تير لتملأ كوب ثور بالجعة. قالت بهدوء: «أتعلم، لزوجي رأس صلب جدًّا جدًّا، إنه عنيد وسميك الجمجمة».

قال ثور: «يقولون الشيء نفسه عني».

قالت وكأنها تتحدث إلى طفل صغير: «لا، رأسه صلب جدًّا جدًّا. صلب كفاية لكسر حتى أقوى الأكواب».

جفف ثور جعته. كانت فعلًا أفضل جعة تذوقها في حياته. نهض ومشى إلى حيث هايمير. سأل: «هل يمكنني المحاولة مجددًا؟».

ضحك العمالقة في القاعة على ذلك، ولم يضحك عملاق أعلى مما فعل هايمير.

قال: «بالطبع تستطيع».

التقط ثور كوب الشراب. واجه الحائط الصخري، ورفع الكوب مرة، ومرتين، ثم بسرعة دار على عقبيه وضرب الكوب بجبهة هايمير.

تساقطت شظايا الكوب واحدة تلو أخرى في حجر هايمير.

عمَّ الصمت القاعة، صمت يكسره صوت شهقات غريب. نظر ثور حوله مستطلعًا مصدر الضجة، ثم استدار ليجد أكتاف هايمير تهتز. كان العملاق يبكي في شهقات هائلة.

قال هايمير: «أعظم كنوزي لم يعد ملكي. كنت أقول له دومًا أن يخمر جعتي، وكان مرجلي يخمر بنفسه سحريًّا أفضل الجعة على الإطلاق. لن أقول مرة أخرى أبدًا خمر جعتي يا مرجلي».

لم يقل ثور شيئًا.

نظر هايمير إلى تير وقال بمرارة: «إن كنت تريده يا ابن زوجتي، خذه. إنه ضخم ثقيل. يحتاج إلى أكثر من دستة عمالقة لرفعه. أتظن نفسك قويًّا كفاية؟».

مشى تير إلى المرجل، حاول أن يرفعه مرة، ثم أخرى، لكنه كان ثقيلًا حتى بالنسبة إليه. نظر إلى ثور، هز ثور كتفيه، وقبض على المرجل من حافته، وقلبه حتى صار بداخله، وصارت مقابضه تصلصل عند قدميه.

ثم بدأ المرجل يتحرك بثور في داخله. اتجه إلى الباب بينما يحدق إليه العمالقة متعددو الرؤوس في أرجاء القاعة بأفواه مفتوحة.

لم يعد هايمير يبكي. نظر إليه تير، قال: «شكرًا على المرجل». ثم انسل خارجًا من المكان، محافظًا على المرجل المتحرك بينه وبين هايمير.

غادر ثور وتير القلعة معًا، فكا قيود ماعز ثور وركبا عربته. ظل ثور يحمل المرجل على ظهره.

جرى الماعزان بأقصى ما استطاعا، لكن بينما كان سنارلر يجري جيدًا وبسرعة، حتى مع ثقل المرجل العملاق، عانى جريندر وعرج. فرجله كانت انكسرت من قبل لأجل نخاعها، ورغم أن ثور عالجها، فإن الماعز لم يعد قويًا كما كان من قبل أبدًا.

ثغى جريندر في ألم خلال جريه.

سأل تير: «ألا نستطيع الإسراع؟».

قال ثور: «بوسعنا المحاولة»، ثم ضرب الماعزين بالسياط، فركضا أسرع.

نظر تير خلفه، قال: «إنهم قادمون، العمالقة قادمون».

كانوا بالفعل قادمين، خلفهم هايمير يحثهم على الإسراع. كل العمالقة في تلك الناحية من العالم، عصبة من العمالقة المتوحشين متعددي الرؤوس، عمالقة الفيافي، مسوخ قاتلة، جيش من العمالقة لا نية لهم إلا استعادة المرجل.

قال تير: «أسرع!».

وكان حينها أن تعثر جريندر ووقع، ملقيًا إياهم خارج العربة.

نهض ثور على قدميه، ثم ألقى المرجل وبدأ في الضحك.

سأل تير: «ما الذي يضحكك؟ إنهم بالمئات».

حمل ثور ميولنير، مطرقته، قال: «لم أقبض على الثعبان وأقتله، ليس هذه المرة، لكن ربما يعوضني قتل مئة عملاق عنه».

بحماس ومنهجية وتتابع، قتل ثور عمالقة الفيافي، حتى صارت الأرض مصبوغة بالأسود والأحمر من دمائهم. قاتل تير بيد واحدة، لكنه قاتل ببسالة، وقتل نصيبه من العمالقة ذلك اليوم.

عندما انتهوا وبات العمالقة كلهم ميتين، انحنى ثور على جريندر، ماعزه المصاب، وساعده في النهوض على أقدامه. عرج الماعز بينما يمشي، ولعن ثور لوكي الذي كان عرج ماعزه خطأه. هايمير لم يكن بين المقتولين، ما أراح تير، فهو لم يود أن يتسبب لأمه في المزيد من الكرب.

حمل ثور المرجل إلى أسجارد، إلى حيث اجتماع الآلهة.

أخذوا المرجل إلى إيجير. قال ثور: «هاك، مرجل تخمير كبير كفاية لنا جميعًا».

تنهد عملاق البحر. قال: «إنه بلا شك ما طلبته. لا بأس، ستقام في قصري مأدبة خريفية لكل الآلهة».

وكان عند كلمته، ومنذ ذلك الحين، كل سنة عندما يحين الحصاد، يشرب الآلهة أفضل جعة وُجدت أو ستوجد، في الخريف، في قصر عملاق البحر.

موت بالدر

I

لا شيء هنالك لا يحب الشمس. فهي تمنح الدفء والحياة. تذيب ثلج الشتاء وجليده القاسي، وتجعل النباتات تنمو والورد يزدهر، وتمنحنا أمسيات الصيف الطويلة عندما لا يأتي الظلام. وتنقذنا من أيام منتصف الشتاء القاسية، عندما لا ينكسر الظلام إلا لبضع ساعات الشمس فيها باردة وبعيدة، مثل عين جثة شاحبة.

وجه بالدر كان يلمع كالشمس: كان جميلًا إلى درجة تضيء أي مكان يدخله. بالدر هو ابن أودِن الثاني، أحبه أبوه وأحبه الجميع. كان الأكثر حكمة ودماثة وبلاغة بين الإيسر كلهم. عندما يفصح عن حكمه، ينبهر الجميع بحكمته وعدله. بيته، قصر يُدعى بريدابليك Breidablik، كان محلًّا للبهجة والموسيقى والمعرفة.

زوجة بالدر كانت نانّا Nanna، أحبها، أحبها وحدها. ابنهما فورست Forsete كان يكبر ليصير قاضيًا حكيمًا مثل أبيه. لم يكن ثمة شيء خاطئ في بالدر أو في عالمه، باستثناء واحد.

كان يحلم بكوابيس.

حلم بالعوالم تنتهي، وبذئب يلتهم الشمس والقمر. حلم بوجع وموت بلا نهاية. حلم بالظلمة، وبالحصار. قتل الإخوة أخواتهم في أحلامه، ولم يستطع أحد الثقة بآخر. في أحلامه، يحل على العالم زمن جديد، زمن العواصف والقتل. كان بالدر يستيقظ من أحلامه بالدموع في مقلتيه، مضطربًا بشكل يفوق الوصف.

ذهب بالدر إلى الآلهة وأخبرهم بأحلامه. لم يعرف أيهم ماذا تعني، واضطربوا مثله، كلهم عدا واحد.

عندما سمع لوكي حديث بالدر عن كوابيسه، ابتسم.

خرج أودِن بحثًا عن سبب أحلام ابنه. وضع عباءته وقبعته الواسعة المدببة، وعندما سأله الناس عن اسمه قال إنه الهائم ابن المحارب. لم يعرف أحد كيف يجيب أسئلته، لكنهم أخبروه عن عرافة، امرأة حكيمة كانت تفهم كل الأحلام. قالوا إنها كانت ستقدر على مساعدته، لكنها ماتت منذ زمن بعيد.

في نهاية العالم كانت تقع مقبرة المرأة الحكيمة. بعدها، في الشرق، توجد مملكة الموتى الذين لم يموتوا في معركة، تحكمها هيل، ابنة لوكي من العملاقة أنجربودا.

سافر أودِن شرقًا، وتوقف عندما بلغ المقبرة.

أبو الجميع كان أحكم الإيسر، ومقابل مزيد من الحكمة تخلى عن أحد عينيه.

وقف جوار المقبرة عند نهاية العالم، وفي ذلك المكان استحضر أظلم سحر الرونية ونادى قوى قديمة منسية. حرق أشياء وقال أشياء، وسحر واستدعى. لطمت ريح قوية وجهه، ثم ذهبت الريح ووقفت أمامه امرأة، على الجانب الآخر من النار، وجهها غارق في الظلال.

قالت له: «كانت عودتي من أرض الموت رحلة مضنية. دُفنت هنا لزمن طويل. على وجهي هطل الثلج والمطر. لا أعرفك يا من أيقظتني. بماذا ينادونك؟».

قال أودِن: «ينادوني بالهائم، أبي كان المحارب. أخبريني بأنباء هيل».

حدقت إليه المرأة الميتة. قالت له: «بالدر قادم. نحن نخمر له الميد. سيعم اليأس العالم بالأعلى، لكن في عالم الموتى لن تكون إلا السعادة».

سألها أودِن من سيقتل بالدر، فصدمته إجابتها. سألها من سينتقم لموت بالدر، فحيرته إجابتها. سألها من سيحزن على بالدر، فحدقت إليه من فوق قبرها ذاته، وكأنها تراه لأول مرة.

قالت: «أنت لست الهائم». رمشت عيناها الميتتان، وكان ثمة تعبير على محياها. «أنت أودِن، الذي ضحى بنفسه لنفسه قبل زمن بعيد».

قال أودِن: «وأنت لست المرأة الحكيمة. أنت من كنت في حياتك أنجربودا، عشيقة لوكي، أم هيل، وأم يورمنجاندر ثعبان ميدجارد، وأم الذئب الفنري».

ابتسمت العملاقة الميتة. قالت له: «عد إلى بيتك يا أودِن الصغير. اهرب، اهرب إلى قاعتك. لن يأتي أحد ليراني حتى يهرب زوجي، لوكي، من قيوده ويعود إليَّ. وراجناروك، نهاية كل الآلهة، التي ستمزق الجميع إربًا، تقترب».

ثم لم يعد هناك شيء إلا الظلال.

غادر أودِن بقلب مثقل، وبالكثير يشغل باله. حتى الآلهة لا يسعها تغيير القدر. لو كان سينقذ بالدر فسيكون عليه فعل ذلك بالدهاء، وسيحتاج إلى مساعدة. وكان هناك شيء آخر قالته العملاقة الميتة أقلقه.

تساءل أودِن، لماذا تحدثت عن هروب لوكي من قيوده؟ لوكي ليس مقيدًا. ثم فكر: ليس حتى الآن.

II

احتفظ أودِن بما علمه لنفسه، لكنه أخبر فريج زوجته، أم الآلهة، أن أحلام بالدر كانت أحلامًا حقيقية، وأن هناك من ينوي لابنهم المفضل شرًّا.

فكرت فريج. وبعمليتها الدائمة قالت: «لا أصدق ذلك، لن أصدق ذلك. ليس هناك من يزدري الشمس ودفئها والحياة التي تجلبها إلى الأرض، وبالمنطق ذاته ليس ثمة شيء يكره ابني بالدر الجميل». وخرجت لتتأكد من أن هذه هي الحقيقة.

جابت الأرض وانتزعت من كل شيء قابلته قسمًا أنه لن يؤذي بالدر الجميل أبدًا. تكلمت مع النار، فوعدتها ألا تحرقه أبدًا، وأقسمت المياه ألا تغرقه أبدًا، والحديد ألا يقطعه، ومثله باقي المعادن. ووعدت الصخور ألا تكدم بشرته. تكلمت فريج مع الأشجار والوحوش والطيور وكل الأشياء التي تزحف وتطير وتمشي على أربع، ووعد كل كائن ألا يؤذي بالدر أبدًا. الأشجار من كل نوع، بلوط ودردار، وصنوبر وزان، بتولا وتنوب، وافقت ألا يُستخدم خشبها لإيذاء بالدر. استحضرت فريج الأمراض وتحدثت إليها، وكل مرض وداء يمكن أن يصيب كائنًا كان، وافق أنه أيضًا لن يلمس بالدر قط.

لم ترَ فريج شيئًا أتفه من أن تسأله إلا الدبق، نبات زاحف يعيش على غيره من الأشجار. بدا لها صغيرًا جدًّا، ضئيلًا جدًّا، تافهًا جدًّا، فتجاهلته.

وعندما أقسم كل شيء يمينه بألا يؤذي ابنها أبدًا، عادت فريج إلى أسجارد. قالت للإيسر: «بالدر آمن، لن يؤذيه شيء».

شك فيها الجميع، بمن فيهم بالدر. فالتقطت فريج حجرًا ورمته على ابنها. وثب الحجر متجاوزًا إياه.

ضحك بالدر مبتهجًا، فبدا وكأن الشمس قد أشرقت. ابتسمت الآلهة. وقذف الواحد منهم تلو الآخر سلاحه على بالدر، ووقفوا منبهرين مذهولين. لا يمسه سيف ولا يخترق جلده رمح.

فرحت الآلهة وهدأت بالًا. لم يعد في أسجارد إلا وجهان لا تشع منهما البهجة.

لوكي لم يضحك ولم يبتسم. تابع الآلهة وهي تهاجم بالدر بالفؤوس والسيوف، أو تلقي عليه صخورًا عملاقة، أو تحاول ضربه بهراوات خشبية ضخمة، وتضحك بينما تتفاداه السيوف والصخور والفؤوس، أو تلمسه بخفة ريشة رقيقة. تجهم لوكي، وانسحب إلى الظلال.

والآخر كان شقيق بالدر هود، الذي كان ضريرًا.

سأل هود الضرير: «ما الذي يحدث؟ هلا أخبرني أحد بما يحدث؟»، لكن أحدًا لم يتكلم مع هود. أنصت إلى أصوات الاحتفال والبهجة، وتمنى لو كان جزءًا منها.

قالت امرأة لطيفة لفريج: «لا بد أنك فخورة بابنك». فريج لم تعرف من هي المرأة، لكن المرأة أشرقت فيما هي تنظر إلى بالدر، وفريج كانت بالفعل فخورة بابنها. فهو في النهاية، محبوب الجميع. «لكن ألن يؤذوا هذا الجميل المسكين؟ بإلقاء الأشياء عليه هكذا؟ لو كنت أمه كنت سأخشى على ابني».

قالت فريج: «لن يؤذوه، ليس هناك سلاح قادرًا على إيذاء بالدر، ولا داء ولا حجر ولا شجرة.

لقد أخذت العهد من كل الأشياء التي تستطيع أن تؤذي».

قالت المرأة اللطيفة: «هذا جيد، أنا سعيدة لهذا. لكن هل أنت متأكدة أنك لم تنس شيئًا؟».

قالت فريج: «ولا شيء، حتى الأشجار كلها. الشيء الوحيد الذي لم آبه به كان الدبق. نبات زاحف ينمو على أشجار البلوط غرب فالهالا. لكنه أصغر من أن يتسبب في أي أذى. لا يمكنك أن تصنعي هراوة من الدبق».

قالت المرأة اللطيفة: «عيني يا عيني. الدبق إذن؟ بصراحة أنا لم أكن لآبه به أيضًا. إنه عشبي جدًّا».

بدأت المرأة اللطيفة تُذكر فريج بشخص ما، لكن قبل أن تتذكر الربة من هذا الشخص، رفع تير صخرة هائلة بيده اليسرى السليمة فوق رأسه، وحطمها على صدر بالدر. تفتتت الصخرة إلى غبار قبل أن تلمس الرب اللامع.

عندما دارت فريج مرة أخرى لتتحدث مع المرأة اللطيفة، كانت قد ذهبت بالفعل، ولم تفكر فريج في الأمر أكثر من ذلك. ليس في ذلك الوقت.

لوكي، بهيئته الأصلية، سافر إلى غرب فالهالا. توقف عند شجرة بلوط ضخمة. كتل من أوراق الدبق الأخضر والتوت الأبيض الشاحب كانت تتدلى هنا وهناك، معلقة بشجر البلوط الهائل. تنمو خارجة مباشرة من لحاء البلوط. فحص لوكي التوت والأوراق والسيقان. فكر في تسميم بالدر بتوت الدبق، لكن ذلك كان بسيطًا ومباشرًا أكثر من اللازم.

لو كان ينوي أن يؤذي بالدر، فسيؤلم معه أكبر عدد ممكن من الأشخاص.

III

وقف هود الضرير جانبًا، ينصت إلى صيحات البهجة والسرور والذهول قادمة من الحديقة، وتنهد. كان هود قويًّا، حتى لو كان أعمى فهو يظل من أقوى الآلهة، وعادة ما كان بالدر يتأكد من تضمينه في أي جمع. غير أن هذه المرة، حتى بالدر نسيه.

قال صوت مألوف: «تبدو حزينًا». كان صوت لوكي.

«هذا صعب يا لوكي. الكل يستمتع بوقته. أسمعهم يضحكون. وبالدر، أخي الحبيب، يبدو سعيدًا. ليتني أستطيع أن أكون جزءًا من ذلك».

قال لوكي: «هذا أسهل شيء في الدنيا». لم يكن بوسع هود أن يرى التعبير على وجهه، لكن صوت لوكي بدا مساعدًا ودودًا جدًّا. وكل الآلهة تعرف كم أن لوكي ماهر. «مد يدك».

فعل هود ذلك، ووضع لوكي في يده شيئًا، وأغلق أصابع هود حوله.

«هذا سهم خشبي صغير صنعته، سأقربك من بالدر، وسأوجهك ناحيته، وسترمي السهم عليه بأقوى ما تستطيع. ارمه بكل قوتك. عندها سيضحك بالدر ومعه كل الآلهة، على أن حتى أخوه الضرير قد شارك في يوم نصره».

مشى لوكي بهود عبر الناس تجاه الصخب. قال: «وصلنا، هذا مكان مناسب للوقوف. والآن، عندما أخبرك، ارم السهم».

قال هود في أسًى: «هذا ليس إلا سهمًا صغيرًا، أتمنى لو كنت أرمي رمحًا أو صخرة».

قال لوكي: «سهم صغير سيكفي، رأسه حادة كفاية. ألقه هناك مثلما قلت لك».

انطلق تهليل وضحك صاخب، هراوة ضخمة من خشب الأجمة المعقود ومرصعة بحديد حاد ومسامير، طوحها ثور باتجاه وجه بالدر. قفزت الهراوة من فوق رأسه في اللحظة الأخيرة، وبدا ثور وكأنه يرقص. كان مضحكًا جدًّا.

همس لوكي: «الآن، الآن بينما هم جميعًا يضحكون».

ألقى هود سهم الدبق، مثلما قيل له. توقع أن يسمع ضحكًا وتهليلًا. لكن أحدًا لم يضحك، أحدًا لم يهلل. ساد الصمت. وسمع شهقات، وهمهمات خافتة.

سأل هود: «لماذا لا يهلل لي أحد؟ لقد ألقيت سهمًا. ليس كبيرًا ولا ثقيلًا، لكن لا بد أنكم رأيتموه. بالدر، يا أخي، لماذا لا تضحك؟».

ثم سمع نحيبًا، عاليًا حادًّا مريعًا، وعرف صوت من هذا. أمه التي كانت تنتحب.

صرخت: «بالدر، ابني بالدر، آه يا ابني!».

وكان حينها أن علم هود أن السهم أصاب هدفه.

قال لوكي: «يا للمصيبة، يا للشؤم. لقد قتلت أخاك». لكن صوته لم يبدُ حزينًا، لم يبدُ حزينًا أبدًا.

IV

تمدد بالدر ميتًا، يخترقه سهم الدبق. ناحت الآلهة وشقت ملابسها. لم يقل أودِن شيئًا عدا: «لا قصاص على هود. ليس بعد، ليس الآن، ليس هذه المرة. نحن في مكان سلام مقدس».

قالت فريج: «من منكم يريد الفوز بحظوتي بالذهاب إلى هيل؟ ربما تدع هيل بالدر يعود إلى عالمه. حتى هي لا يمكنها أن تكون قاسية إلى درجة الاحتفاظ به..».، وفكرت لوهلة. هيل، في النهاية، هي ابنة لوكي. «سنعرض عليها فدية لتعيده إلينا. هل هناك منكم من هو مستعد للسفر إلى مملكة هيل؟ ربما لن يعود».

تبادلت الآلهة النظرات، ثم رفع أحدهم يده، ذلك كان هِرمود Hermod، ولقبه الخفيف، خادم أودِن، وأسرع وأشجع الآلهة الصغار.

قال: «سأذهب إلى هيل، وسأعيد بالدر الجميل».

جلبوا سليبنير، حصان أودِن ذا الأقدام الثمانية. ركبه هِرمود وتجهز للهبوط، نازلًا إلى أسفل سافلين، إلى هيل العظيمة في قاعتها العالية، حيث لا يصل إلا الميتون.

وبينما انطلق هِرمود إلى قلب الظلام، جهزت الآلهة جنازة بالدر. أخذوا جثته ووضعوها على هرينجهورن Hringhorn، سفينة بالدر. أرادوا أن يطلقوا السفينة ويحرقوها، لكنهم لم يستطيعوا حتى تحريكها من الشاطئ. دفعوا جميعًا بأقصى قوة، بمن فيهم ثور، لكن السفينة ظلت راسخة على الشاطئ. بالدر وحده كان قادرًا على إطلاق سفينته، وبالدر قد مات.

أرسلت الآلهة في استدعاء هيروكين Hyrrokkin العملاقة، التي جاءتهم راكبة على ذئب ضخم، وتشد ثعابين بدلًا من اللجام. ذهبت إلى مقدمة سفينة بالدر ودفعت بأقصى قوتها، فانطلقت السفينة، لكن دفعها كان من العنف حتى أن البكرات التي كانت السفينة ترتكز عليها شبت فيها النيران، وارتجت الأرض، وهاجت أمواج مرعبة.

بينما لا يزال فشله في إطلاق السفينة يؤلمه، قال ثور: «يجب أن أقتلها»، وقبض على مقبض ميولنير مطرقته. «لقد قللت من احترامنا».

قالت بقية الآلهة: «لن تفعل أي شيء مثل ذلك».

قال ثور: «لست سعيدًا بأيٍّ من هذا، سأقتل شخصًا ما قريبًا لأفك توتري. سترون».

أربع آلهة جلبوا جسد بالدر محمولًا على لوح خشبي. ثماني أرجل حملته أمام الحشد المتجمهر هناك. أودِن في مقدمة المشيعين، غراباه على كتفيه. وخلفه الفالكيريات والإيسر. في جنازة بالدر كان هناك عمالقة صقيع وعمالقة جبال، كان هناك حتى أقزام، صُناع تحت الأرض المهرة. فكل الأشياء حزنت لموت بالدر.

نانًّا زوجة بالدر، رأت جسد زوجها محمولًا أمامها. فندبت، وانهار قلبها داخل صدرها، ثم وقعت ميتة على الشاطئ. حملوا جسدها إلى المحرقة ووضعوه بجوار جسد بالدر. وعلى سبيل الاحترام، وضع أودِن إسورة ذراعه دروبنير في المحرقة. تلك كانت الإسورة المعجزة التي صنعها له القزمان بروك وإيتري، والتي كانت كل تسعة أيام يتقطر منها ثماني أساور يماثلونها في الجمال والنقاء. ثم همس أودِن في أذن بالدر الميت، وما همس به أودِن لن يعرفه أحد أبدًا إلا بالدر.

نقلوا حصان بالدر بكامل زينته إلى المحرقة، وضحوا به هناك، حتى يكون موجودًا لحمل سيده في العالم القادم.

أشعلوا المحرقة. فاحترقت، وأكلت أجساد بالدر ونانّا وحصانه وممتلكاته.

اشتعل جسد بالدر كالشمس.

وقف ثور أمام المحرقة الجنائزية، ورفع ميولنير عاليًا وأعلن: «أنا أقدس هذه المحرقة»، ملقيًا نظرات حانقة على العملاقة هيروكين، التي ما زالت لم تظهر الاحترام المناسب، حسبما شعر ثور.

ليت Lit، أحد الأقزام، مشى أمام ثور ليرى المحرقة بشكل أفضل، فركله ثور مغتاظًا في قلب اللهب. ما جعل ثور يشعر أفضل قليلًا وجعل الأقزام يشعرون أسوأ كثيرًا.

قال ثور بحدة: «لا يعجبني ذلك، لا يعجبني أي مما يحدث أبدًا. أتمنى أن يرتب هرمود الخفيف الأمور مع هيل. كلما عاد بالدر إلى الحياة أسرع، كان ذلك أفضل لنا جميعًا».

٧

انطلق هرمود الخفيف تسعة أيام وتسع ليالٍ دون توقف. خاض عميقًا، وخاض عبر الظلمة المتزايدة: من عتمة الشفق إلى دهمة الليل عديم النجوم. كل ما كان بوسعه رؤيته في الظلام كان شيئًا ذهبيًّا يتلألأ أمامه من بعيد.

وأخذ يقترب، ويقترب، وصار الضوء يلمع أكثر. كان ذهبًا، كان تعريشة الجسر الذي يعبر نهر جيالار Gjallar، الذي على كل الموتى عبوره.

أبطأ سليبنير ليمشي عبر الجسر، الذي تأرجح واهتز تحتهما.

سأل صوت امرأة: «ما اسمك؟ ومن عشيرتك؟ ما الذي تفعله في أرض الموتى؟».

لم يقل هرمود شيئًا.

بلغ النهاية البعيدة للجسر، حيث وقفت فتاة شاحبة شديدة الجمال. نظرت إليه وكأنها لم ترَ أي شيء مثله من قبلها. اسمها كان مودجود Modgud، وكانت تحرس الجسر.

«بالأمس عَبَر ذلك الجسر موتى يكفون لملء خمسة ممالك، لكنك وحدك جعلته يهتز أكثر مما فعلوا جميعًا، رغم أنه كان هناك رجال وأحصنة فوق الحصر. أستطيع أن أرى الدم الأحمر تحت جلدك. أنت لست بلون الموتى، فهم خضر وبيض وزرق ورماديون. تحت جلدك حياة. من أنت؟ ولماذا تسافر إلى هيل؟».

قال لها: «أنا هرمود، أنا ابن لأودِن، ولقد جئت إلى هيل على حصان أودِن لأجد بالدر. هل رأيتيه؟».

قالت: «من بين من رأوه لا يوجد من يقدر على نسيانه. عَبَر بالدر الجميل الجسر قبل تسعة أيام. ذهب إلى قصر هيل العظيم».

قال هيرمود: «أشكرك، إلى هناك ينبغي عليَّ أن أذهب».

قالت له: «إنه في الأسفل، وفي الشمال. تابع النزول، وتابع تولي الشمال، وستبلغ بوابات هيل».

ومضى هرمود. انطلق بحصانه شمالًا واتبع المسار نزولًا حتى رأى أمامه جدارًا عاليًا وبوابات هيل، التي كانت أعلى من أعلى الأشجار. ثم ترجل عن حصانه، وشد حزام سرجه، ثم ركبه من جديد. متشبثًا بالسرج بإحكام، حث سليبنير على الإسراع أكثر وأكثر، وفي النهاية قفز قفزة لم يقفز مثلها حصان قبل ذلك أو بعده، متجاوزًا بوابات هيل، وهبط بأمان في الناحية الأخرى، في بلاط هيل، حيث لا يستطيع شخص حي الدخول أبدًا.

مضى هرمود إلى قاعة الموتى، ثم ترجل، ومشى إلى الداخل. بالدر، أخوه، كان جالسًا على رأس المائدة، في مقعد الشرف. كان بالدر شاحبًا، بشرته بلون العالم في يوم رمادي لا شمس فيه. جلس وشرب ميد هيل وأكل طعامها. عندما رأى هرمود قال له أن يجلس بجواره ويقضي الليلة معهم على المائدة. على الجانب الآخر من بالدر كانت نانّا زوجته، وبجوارها كان القزم ليت، الذي كان مزاجه ليس في أفضل حال.

في عالم هيل، لا تشرق الشمس أبدًا، ولا يمكن أن يبدأ اليوم.

نظر هرمود عبر القاعة ورأى امرأة ذات جمال غريب. الجانب الأيمن من جسدها كان بلون اللحم، لكن الجانب الأيسر منها كان مظلمًا خربًا، مثل جثة واهنة عتيقة قد تجدها متدلية من شجرة في غابة أو متجمدة في الثلج، وعلم هرمود أنها هيل ابنة لوكي، التي نصبها أبو الجميع لتحكم أراضي الموتى.

قال هرمود لهيل: «جئت لأجل بالدر، أودِن أرسلني بنفسه. كل الأشياء حزينة عليه. عليك أن تعيديه إلينا».

لم يبدُ على هيل أي تأثر. بعين خضراء تحدق إلى هرمود، وأخرى غائرة ميتة، قالت ببساطة: «أنا هيل، يأتي الموتى إليَّ، ولا يعودون إلى الأراضي العالية مجددًا. لماذا قد أترك بالدر يرحل؟».

«كل الأشياء تنعيه. وحَّد موته الجميع في البؤس، الآلهة وعمالقة الصقيع، الأقزام والإلفات. كل الحيوانات تنعيه، والأشجار، بل حتى المعادن تبكيه. وتحلم الأحجار بأن بالدر الشجاع سيعود إلى الأراض التي تعرف الشمس. دعيه يذهب».

لم تقل هيل شيئًا. راقبت بالدر بعينيها المتباينتين. ثم تنهدت. «أحسبه أجمل شيء وأفضل شيء دخل مملكتي على الإطلاق. لكن لو كان ما تقوله حقًّا، لو أن كل الأشياء تنعي بالدر، وأن كل الأشياء تحبه، فسوف أعيده إليكم».

ألقى هرمود نفسه عند قدميها. «كم أن هذا نبيل منك. شكرًا لك، شكرًا أيها الملكة العظيمة».

نظرت إليه وقالت: «انهض، لم أقل إني سأعيده. هذه مهمتك يا هرمود. اذهب واسألهم. كل الآلهة والعمالقة، كل الصخور والنباتات. اسأل كل شيء، لو أن كل أشياء العالم تبكي لأجله وتريد عودته، فسأعيد بالدر إلى الإيسر في الحال. لكن لو أن كائنًا واحدًا لا يبكيه أو يذكره بالسوء، فسيبقى بالدر معي إلى الأبد».

نهض هرمود على قدميه. قاده بالدر إلى خارج القاعة، وأعطاه دروبنير إسورة أودِن ليعيدها إليه، كدليل على أن هرمود ذهب إلى هيل. نانّا أعطته ثوبًا كتانيًّا لفريج وخاتمًا ذهبيًّا لفولا خادمة فريج. وليت عبس وأعطاه إيماءات فظة.

تسلق هرمود ظهر سليبنير. بينما يخرج هذه المرة كانت بوابات هيل مفتوحة له، فتتبع خطواته عائدًا. عَبَر الجسر، وفي النهاية رأى ضوء النهار مجددًا.

في أسجارد أعاد هرمود دروبنير إسورة الذراع إلى أودِن، أبي الجميع، وحكى له كل ما حدث وكل ما رأى.

بينما كان هرمود في العالم السفلي، أنجب أودِن ابنًا ليستبدل بالدر. هذا الابن، الذي كان اسمه فالي Vali، كان ابن أودِن والربة ريند Rind. قبل أن يتم الطفل يومه الأول، بحث عن هود وقتله. هكذا لم يمضِ موت بالدر بلا انتقام.

VI

أرسل الإيسر رُسلهم في شتى أرجاء العالم. مرق رُسل الإيسر كالريح، وسألوا كل شيء قابلوه إن كان يبكي بالدر، كي يتحرر بالدر من عالم هيل. بكت النساء وبكى الرجال والأطفال والحيوانات. بكت طيور الهواء بالدر، وكذا فعلت الأرض والأشجار والصخور، حتى المعادن التي قابلتها الرسل بكت بالدر، مثلما يبكي سيف الحديد البارد عندما تأخذه من الصقيع المثلج إلى ضوء الشمس والدفء.

بكت كل الأشياء بالدر.

كان الرُسل في طريق عودتهم من مهمتهم منتصرين مبتهجين. عما قريب سيعود بالدر إلى مكانه بين الإيسر.

التمسوا الراحة في جبل، على حافة بجوار كهف، وأكلوا طعامهم وشربوا ميدهم، ومرحوا وضحكوا.

نادى صوت من داخل الكهف: «من هناك؟»، وخرجت عملاقة عجوز. كان ثمة شيء مألوف فيها، لكن أحدًا من الرُسل لم يقدر على تحديد كنه ذلك الشيء. قالت: «أنا ثوك Thokk»، وهو اسم يعني (امتنان)، «لماذا أنتم هنا؟».

«سألنا كل شيء إن كان يبكي لموت بالدر. بالدر الجميل، قتله أخوه الضرير. يفتقد كل منا بالدر كما لو أنه يفتقد شمس السماء لو كانت لن تشرق مجددًا. كلنا يبكي عليه».

حكت العملاقة أنفها، ونظفت حلقها، وبصقت على صخرة.

قالت بفجاجة: «ثوك العجوز لن تبكي بالدر، حيًّا أو ميتًا، ابن أودِن العجوز لم يجلب إليَّ شيئًا إلا البؤس والقرف. أنا سعيدة أنه ذهب. فليذهب في داهية، دع هيل تفرح به».

ثم عادت متثاقلة إلى ظلمة كهفها واختفت من مجال البصر.

عاد الرسل إلى أسجارد وأخبروا الآلهة بما رأوا، وبأنهم فشلوا في مهمتهم، فقد كان هناك مخلوق واحد لم يبكِ بالدر ولا يتمنى عودته: عملاقة عجوز في كهف على جبل.

ثم حينها أدركوا بمن ذكرتهم ثوك العجوز: كانت تتحرك وتتحدث مثل لوكي، ابن لويفي.

قال ثور: «أتوقع أنها كانت لوكي متنكرًا. بالطبع كانت لوكي، إنه دومًا لوكي».

قبض ثور على ميولنير، مطرقته، وجمع مجموعة من الآلهة وذهبوا للبحث عن لوكي، لينتقموا منه، لكن صانع المشاكل المراوغ لم يكن في نطاق رؤية أي شخص. كان مختبئًا، بعيدًا عن أسجارد، يحتضن نفسه في سعادة، مهنئًا نفسه على حذاقته، وينتظر أن تموت الضجة.

آخر أيام لوكي

I

وظل بالدر ميتًا، ولم تزل الآلهة تنعي خسارته. كانوا حزانى، وظل المطر الرمادي يهطل بلا انقطاع، وعلى الأرض لم يكن ثمة أثر للسعادة.

عندما عاد لوكي من أحد رحلاته إلى الأصقاع البعيدة، لم يظهر أي ندم.

كان موعد وليمة الخريف في قصر إيجير قد حلَّ، حيث تجتمع الآلهة لتشرب جعة عملاق البحر، المُختمرة في المرجل الذي جلبه ثور من أرض العمالقة قبل زمن بعيد.

لوكي كان هناك. شرب كثيرًا من جعة إيجير، شرب متجاوزًا السعادة والضحك والمراوغة إلى قلب الظلام. عندما سمع الآلهة تمتدح خادم إيجير فيمافنج Fimafeng على سرعته واجتهاده، قفز من المائدة وطعن فيمافنج بسكينه، فمات على الفور.

الآلهة المرتاعة أخرجت لوكي من القاعة إلى الظلام في الخارج.

استمرت الوليمة، لكن بانطفاء.

ثم حدثت جلبة عند الباب، وعندما استدار الأرباب والربات لينظروا ماذا يحدث، رأوا لوكي هناك وقد عاد. وقف في مدخل القاعة يحدق إليهم جميعًا، بابتسامة متهكمة على وجهه.

قالت الآلهة: «أنت لست محل ترحيب هنا».

تجاهلهم لوكي. مشى إلى حيث يجلس أودِن. «يا أبا الجميع، أنا وأنت خلطنا دماءنا قبل زمن بعيد، أليس كذلك؟».

أومأ أودِن. «بلى، فعلنا».

اتسعت ابتسامة لوكي أكثر. «ألم تقسم حينها يا أودِن العظيم، أنك لن تشرب على مائدة وليمة إلا لو لوكي، أخوك بالدم وباليمين، شرب معك؟».

عين أودِن السليمة الرمادية حدقت إلى أعين لوكي الخضراء، وكان أودِن هو من نحَّى نظره جانبًا.

قال أودِن بخشونة: «ليأكل أبو الذئب معنا»، وجعل ابنه فيدار Vidar يتنحى ليفسح للوكي مكانًا يجلس فيه بجواره.

ابتسم لوكي بخبث وسعادة. وطلب المزيد من جعة إيجير، وتجرعها مرة واحدة.

واحدًا تلو الآخر، أهان لوكي كل الأرباب والربات تلك الليلة. قال على الأرباب جبناء، وعلى الربات ساذجات غير عفيفات. كل إهانة كانت تحمل قدرًا كافيًا من الحقيقة لتصيب وتجرح. قال لهم إنهم حمقى، وذكرهم بأشياء حسبوها منسية في أمان. تهكم واستهزأ وأيقظ فضائح قديمة، ولم يتوقف عن إصابة الجميع بالبؤس حتى وصل ثور إلى المأدبة.

أنهى ثور المحادثة ببساطة شديدة: هدد باستخدام ميولنير لإغلاق فم لوكي الشرير إلى الأبد وإرساله إلى هيل، مباشرة إلى قاعة الموتى.

غادر لوكي حينها المأدبة، لكن قبل أن يخرج مختالًا، استدار إلى إيجير. وقال لوكي لعملاق البحر: «لقد خمرت جعة رائعة، لكن لن تكون هناك وليمة خريف هنا مرة أخرى. ستأكل النيران هذه القاعة، والجلد سيحترق من على ظهرك. وكل ما تحب سيؤخذ منك. أقسم لك». ومشى

مبتعدًا عن آلهة أسجارد، إلى الظلام.

II

استفاق لوكي في الصباح التالي، وفكرفيما فعله في الليلة السابقة. لم يشعر بأي خزي، فالخزي لم يكن من صفاته، لكنه علم أنه تجاوز قدرة الآلهة على الاحتمال.

كان للوكي بيت على جبل بالقرب من البحر، قرر أن ينتظر هناك حتى تنساه الآلهة. كان منزله بأربعة أبواب، باب في كل جانب، ليسمح له برؤية الخطر القادم من كل اتجاه.

خلال اليوم كان لوكي يحول نفسه إلى سمكة سلمون، ويختبئ في حوض تحت شلال فرانانج، وهو مسقط مائي عالٍ يهطل من جانب الجبل. وكان هناك جدول يربط الحوض بنهر صغير، والنهر يمضي مباشرة إلى البحر.

أحب لوكي وضع الخطط والخطط المضادة. بينما كان آمنًا كسلمون، علم أن الآلهة لن تستطيع القبض على سمكة سلمون إن سبحوا.

لكنه حينها أخذ يشك في نفسه، وتساءل، أيمكن أن تكون هناك طريقة للقبض على سمكة في أعماق الحوض تحت الشلال؟

كيف قد يقبض هو، الأمهر من بين الجميع، أكثر المخططين حذاقة، على سمكة سلمون؟

أخذ لوكي بكرة غزل، وبدأ في ربطها ونسجها على شكل سمكة صيد، أول شبكة صُنعت على الإطلاق. فكر: نعم، لو استخدمت هذه فيمكنني القبض على سلمون.

تابع التفكير: والآن، لنصنع خطة مضادة، ماذا أفعل إن حاكت الآلهة شبكة مثل تلك؟

فحص الشبكة التي صنع.

فكر: بوسع السلمون القفز. بوسعه السباحة في المجرى، بل وحتى النزول في الشلالات. بوسعي القفز من فوق الشبكة.

لفت شيء انتباهه. نظر من أول باب ثم من الثاني. فأصابه الجزع: الآلهة كانوا قادمين من جانب الجبل، وهم على وشك بلوغ المنزل.

قذف لوكي بالشبكة إلى النار وراقبها تحترق برضًا. ثم اتجه إلى شلال فرانانج. وبهيئة سمكة سلمون فضية، اجتاح الشلال لوكي، واختفى في أعمق أعماق الحوض عند قاعدة الجبل.

بلغ الإيسر منزل لوكي على الجبل، وانتظروا عند كل باب ليمنعوا لوكي من الهروب لو كان لا يزال بالداخل.

كفاسير، أحكم الآلهة، دخل من الباب الأول. كان كفاسير ميتًا ذات مرة، وخُمر الميد من دمائه، لكنه أصبح الآن حيًّا مرة أخرى. واستطاع أن يعرف من النار ومن كوب النبيذ نصف الممتلئ بجوارها أن لوكي كان هنا قبل أن يصلوا بلحظات وجيزة.

غير أن لم يكن هناك دليل على أين ذهب لوكي. نظر كفاسير عبر السماء، ثم فحص الأرض والمدفأة.

قال ثور بينما يدخل من باب آخر: «لقد ذهب، ابن العرس الصغير البكّاء. بوسعه تحويل نفسه إلى أي شيء، لن نجده أبدًا».

قال كفاسير: «لا تتسرع، انظر».

قال ثور: «هذا ليس إلا رمادًا».

قال كفاسير: «لكن انظر إلى نمط الرماد». انحنى ولمس الرماد على الأرض بجوار النار، وتشممه، ثم لمسه بلسانه. «إنه رماد خيط رُمي في النار واحترق. خيط مثل ذلك الذي في بكرة الغزل في ذاك الركن».

قال ثور بنفاد صبر: «لا أظن أن رماد خيط محترق قد يخبرنا بمكان لوكي».

«أتحسب ذلك؟ انظر إلى النمط، خيط متقاطع على هيئة الألماس. ومربعاته متماثلة تمامًا».

«كفاسير، أنت تضيع وقتنا كله في الإعجاب بالأشكال التي يصنعها الرماد. هذه حماقة. كل لحظة نقضيها نحدق إلى الرماد هي وقت ضائع يبتعد فيه لوكي أكثر وأكثر».

«ربما أنت محق يا ثور. لكن لتصنع مربعات بالخيط بذلك التماثل، ستحتاج إلى شيء تفصل به الخيط عن بعضه، مثل قطعة الخشب تلك على الأرض بجوار قدمك. وستحتاج إلى ربط طرف الحبل بشيء بينما تنسجه، شيء مثل تلك العصا التي تبرز من الأرض هناك. ثم ستحتاج إلى ربط قطعة حبل وتخييطها، كي يصبح الخيط على شكل... هممم، أتساءل ماذا أطلق عليها لوكي؟ سأسميها شبكة».

قال ثور: «لماذا لا تزال تثرثر؟ لماذا تحدق إلى الرماد والعصا وقطع الخشب في الوقت الذي يفترض بك فيه مطاردة لوكي؟ كفاسير! بينما أنت غارق في شرودك وتنطق بهرائك، لوكي يبتعد عنَّا!».

قال كفاسير: «أظن أن شبكة مثل تلك أفضل استخدام لها هو محاصرة السمك».

تنهد ثور: «بلغت مبلغي منك ومن حماقتك. إذن فهي تستخدم لصيد السمك؟ حسنًا، أهنئك. لا بد أن لوكي كان جائعًا، فأراد أن يصطاد سمكًا ليأكل. لوكي يخترع أشياء. هذا ما يفعله. إنه ماهر على الدوام. لهذا كنا نحتفظ به في متناولنا».

«أنت محق. لكن اسأل نفسك، لو كنت مكان لوكي، لماذا كنت لتخترع شيئًا لتصطاد به السمك، ثم تلقي الشبكة التي صنعت في النار عندما تعلم أننا قادمان؟».

قال ثور، مضيقًا حاجبيه ومفكرًا بشدة، إلى حد أنه صار من الممكن سماع رعد بعيد على قمم الجبال: «لأن... هممم..».

«بالضبط. لأنك لا تريد منا أن نجده عندما نصل. والسبب الوحيد لذلك هو منعنا، نحن آلهة أسجارد، من استخدامه لمحاصرتك».

أومأ ثور ببطء. قال: «أرى ذلك»، ثم قال: «نعم، أعتقد ذلك». وأخيرًا: «إذن لوكي..».

«...يختبئ في أعماق الحوض تحت الشلال على شكل سمكة. نعم، بالضبط! علمت أنك ستدرك ذلك في النهاية يا ثور».

أومأ ثور في حماس، ليس متأكدًا تمامًا كيف وصل إلى ذلك الاستنتاج من الرماد على الأرض، لكن سعيدًا بمعرفة مكان اختباء لوكي.

قال ثور: «سأنزل إلى هناك، إلى الحوض، بمطرقتي، وسأ..».

قال كفاسير الرب الحكيم: «سنحتاج إلى النزول هناك بشبكة».

أخذ كفاسير ما تبقى من خيوط الغزل وقطعة الخشب. وربط طرف الخيط بالعصا، وبدأ في لف الخيط وجدله حول العصا، ونسجه دخولًا وخروجًا والتفافًا. أوضح لباقي الآلهة ما يفعله، وبعد قليل أمسى بقيتهم يغزلون ويعقدون. ربط الشباك التي صنعوها بعضها ببعض حتى باتت لديهم شبكة كبيرة بحجم الحوض، واتخذوا طريقهم إلى الجانب السفلي من الشلال في قاعدة الجبل.

وكان ثمة جدول يخرج من الحوض حيث يفيض. يجري ذلك الجدول حتى البحر.

عندما بلغوا قاعدة شلال فرانانج، فكت الآلهة الشبكة التي صنعتها. كانت شبكة ضخمة وثقيلة، وطويلة كفاية لتصل بين جانبي الحوض. تطلب الأمر تعاون كل محاربي الإيسر لحملها من جانب وثور من الجانب الآخر.

بدأت الآلهة من عند أحد نهايتي الحوض، تحت الشلال مباشرة، وخاضت حتى بلغت النهاية الأخرى. ولم تقبض على شيء.

قال ثور: «هناك شيء ما يعيش بالأسفل بالتأكيد. شعرت بدفعه للشبكة. لكنه سبح إلى الأعمق، في الطين، فعبرت الشبكة من فوقه».

حك كفاسير ذقنه مفكرًا بعمق. قال: «لا مشكلة، نحتاج إلى أن نكرر ما فعلنا، لكن هذه المرة سنثقل قاع الشبكة، فلا يستطيع شيء النزول تحتها».

جمعت الآلهة حجارة ثقيلة ذات ثقوب، وربطتها في قاع الشبكة لتثقلها.

وخاضت الآلهة في الحوض مجددًا.

لوكي كان مختالًا بنفسه أول مرة خاضت فيها الآلهة في حوضه. وسبح ببساطة إلى القاع الطيني للحوض، وانزلق بين صخرتين مسطحتين، وانتظر بينما عبرت الشبكة من فوقه.

الآن صار قلقًا. فكر فيما هو في الأعمق، حيث الظلام والبرد، فيما يحدث.

إنه لا يستطيع أن يحول نفسه إلى شيء آخر حتى يخرج من الماء، وحتى لو فعل، فستكون الآلهة في إثره. لا، الأكثر أمانًا أن يظل في هيئة سمكة السلمون. لكن السمكة باتت محاصرة. عليه أن يفعل ما لن تتوقعه الآلهة. سيتوقعون منه أن يتجه إلى البحر المفتوح، حيث سيكون آمنًا إن بلغ البحر، حتى لو كان يسهل تمييزه وصيده في النهر الذي يقود من الحوض إلى الخليج.

لن تتوقع الآلهة منه السباحة عائدًا إلى حيث جاء. إلى أعلى الشلال.

سحبت الآلهة شبكتها خلال قاع الحوض.

كانوا منكبين على ما يحدث في الأعماق، فأخذتهم المفاجأة عندما قفزت سمكة سلمون فضية ضخمة، أضخم من أي سلمون رأوه من قبل، من فوق الشبكة بذيل يتلوى، وشرعت تسبح في المجرى الصاعد. عامت السلمون الضخمة صاعدة الشلال، متحدية كل قوانين الجاذبية وكأن هناك من قذفها إلى الهواء.

صاح كفاسير في الإيسر، آمرًا إياهم أن يشكلوا مجموعتين، كل منها عند كلا طرفي الشبكة.

قال كفاسير، الذي كان حكيمًا: «لن يظل في الشلال طويلًا، فهو مكشوف جدًّا. فرصته الوحيدة

في النجاة هي البحر. على المجموعتين أن يمشيا على طرفي الجدول يحملان الشبكة بينهما. بينما أنت يا ثور ستخوض في المنتصف، وعندما يحاول لوكي خدعة القفز من فوق الشبكة مرة أخرى، عليك أن تقبض عليه من الهواء، مثل دب يقبض على سمكة سلمون. لكن لا تدعه يفلت، فهو مراوغ».

قال ثور: «رأيت دببة يمسكون سلمون يقفز في الهواء من قبل. أنا قوي وسريع مثل أي دب. سأتمسك جيدًا».

شرعت الآلهة في سحب الشبكة على طول الجدول الصاعد، إلى المكان الذي كانت فيه السلمون الفضية الضخمة تكمن في انتظار فرصة. فكر لوكي وخطط.

وفيما كانت الشبكة تقترب، علم لوكي أن تلك هي اللحظة الحاسمة. عليه أن يقفز مثلما فعل من قبل، وهذه المرة عليه أن ينطلق تجاه البحر. ضغط نفسه مثل زنبرك على وشك الانطلاق، ثم قفز في الهواء.

ثور كان سريعًا. رأى السلمون الفضية تلمع في الشمس، فقبض عليها بيديه الضخمتين، مثلما يخطتف دب جائع سمكة من الهواء. السلمون سمكة زلقة، ولوكي كان الأزلق من بين كل السلمون، تلوى كثيرًا محاولًا الإفلات من بين أصابع ثور، لكن ثور ببساطة قبض على السمكة أكثر وضغط بإحكام بالأسفل، بالقرب من الذيل.

يقولون إن منذ ذلك الحين، صار السلمون أنحف بالقرب من الذيل.

جلبت الآلهة شبكتها ولفوها بإحكام حول السمكة، وحملوها فيما بينهم. بدأت السمكة تجف في الهواء وتشهق طالبة الماء، ثم تلوت وتخبطت. وصاروا الآن يحملون لوكي لاهثًا.

سأل: «ماذا تفعلون؟ إلى أين تأخذونني؟».

هز ثور رأسه وزمجر ولم يرد. سأل لوكي بقية الآلهة، ولم يجبه أي منهم عما يحدث، ولم تقابل عين أيهم عينه.

III

دخلت الآلهة من ثغر كهف، ونزلوا إلى عمق الأرض يحملون لوكي فيما بينهم. تدلت الهوابط الصخرية من سقف الكهف، واضطربت الوطاويط ورفرفت. ظلوا يهبطون، حتى صار الطريق أضيق من أن يحملوا لوكي، فتركوه يمشي بينهم. مشى ثور خلفه مباشرة، بيده على كتف لوكي.

نزلوا طريقًا طويلًا جدًّا.

في أعمق الكهوف كانت هناك ثلاثة مشاعل تحترق، وثلاثة أشخاص واقفين في انتظاره. عرفهم لوكي قبل أن يرى وجوههم، ووقع قلبه في صدره. قال: «لا، لا تؤذوهم، لم يرتكبوا ذنبًا».

قال ثور: «إنهم أبناؤك وزوجتك يا لوكي لاي-سميث Lie-Smith».

كانت هناك ثلاث صخرات مسطحة ضخمة في الكهف. وضع الإيسر كل صخرة على جانبها، وأخذ ثور مطرقته وكسر حفرة في منتصف كل واحدة.

قال نارفي ابن لوكي: «أرجوكم دعوا أبي يذهب».

قال فالي، ابن لوكي الآخر: «إنه أبونا، لقد أقسمتم ألا تؤذوه، إنه أخ بالدم واليمين لأودِن، أعلى الآلهة».

قال كفاسير: «لن نقتله. أخبرني يا فالي، ما هو أسوأ شيء قد يفعله أخ لأخيه؟».

قال فالي بلا تردد: «أن يخون الأخ أخاه. وقتل الأخ لأخيه، مثلما قتل هود بالدر، هو شيء ملعون».

قال كفاسير: «حقيقي أن لوكي أخو الآلهة بالدم، ولا نستطيع أن نقتله. لكن لا يربطنا يمين مشابه بكما، ابنيه».

كلمات كفاسير لفالي قلبت موازين القوى.

وقعت عن فالي هيئته البشرية، وحيثما وقف فالي من قبل بات الآن هناك ذئب تسيل الرغوة من شدقيه. ذوى الذكاء من عيني فالي الصفراوين وحل محله الجوع والغضب والجنون. نظر إلى الآلهة، وإلى سيجين التي كانت أمه، وأخيرًا إلى نارفي. صدرت من مؤخرة حلقه زمجرة طويلة خافتة، وانتصب شعره.

أخذ نارفي خطوة إلى الوراء، خطوة واحدة، ثم صار الذئب عليه.

كان نارفي شجاعًا. لم يصرخ، ليس حتى بينما يمزقه الذئب الذي كان شقيقه إربًا، ويشق عنقه ويريق أمعاءه على الأرض الصخرية. عوى الذئب الذي كان فالي مرة واحدة، مرة طويلة عالية، من فكه المنقوع بالدماء. ثم قفز عاليًا فوق رؤوس الآلهة، وركض مختفيًا في ظلمة الكهف، حيث لن يُرى في أسجارد مرة أخرى، ليس حتى تحين نهاية كل شيء.

حشرت الآلهة لوكي بين الصخور الثلاثة الضخمة: وضعوا صخرة تحت كتفيه، وأخرى تحت عانته، والثالثة تحت ركبتيه. أخذت الآلهة أمعاء نارفي المراقة ومرروها عبر الفتحات التي صنعوها في الصخور، وربطوا بها رقبة لوكي وأكتافه بإحكام. لفوا أمعاء ابنه حول عانته وفخذيه، وربطوا ركبتيه وساقيه بشدة حتى شلوا حركته. ثم حولت الآلهة أمعاء ابن لوكي المقتول إلى

أصفاد ضيقة وقاسية كأنها من الحديد.

راقبت سيجين زوجة لوكي تقييد زوجها بأمعاء ابنهما، ولم تقل شيئًا. بكت في صمت داخل نفسها على ألم زوجها، وعلى موت وعار ابنيهما. كانت تحمل وعاءً، وإن كانت لا تعلم بعد لماذا. طلبت منها الآلهة، قبل أن يحضروها إلى هنا، أن تذهب إلى مطبخها وتجلب أكبر وعاء لديها.

سكادي، ابنة العملاق الميت ثيازي، زوجة نجورد ذي الأقدام الجميلة، جاءت حينها الى الكهف. حملت بين يديها شيئًا عملاقًا، شيئًا يتلوى ويتثنى. انحنت فوق لوكي ووضعت الشيء الذي حملته فوقه، ولفته حول الهابطة الصخرية المعلقة من سقف الكهف فوقه، فصار رأس الشيء فوق رأس لوكي مباشرة.

كان الشيء ثعبانًا بارد العينين، لسانه يتذبذب، وأنيابه تقطر سمًّا. حفَّ الثعبان ونزلت من فمه قطرة سم على وجه لوكي، جعلت عينيه تحترقان.

صرخ لوكي وتشنج، تلوى في ألم، حاول أن يبتعد عن مداه، أن يحرك رأسه من تحت السم. القيود التي كانت يومًا أمعاء ابنه حالت بينه وبين ذلك.

واحدًا تلو الآخر خرج الآلهة من المكان، بنظرات قاتمة راضية في أعينهم. في النهاية لم يبقَ إلا كفاسير. نظرت سيجين إلى زوجها المقيد وإلى جثة ابنها الذي قتله الذئب منزوعة الأحشاء.

سألت: «ما الذي ستفعله بي؟».

قال كفاسير: «لا شيء. أنت لست مُعاقبة. يمكنك أن تفعلي كل ما تحبين». ثم غادر المكان.

قطرة أخرى من سم الثعبان وقعت على وجه لوكي، فصرخ وألقى بوزنه متلويًا في أصفاده. ارتجت الأرض ذاتها من ارتجاف لوكي.

سيجين أخذت وعاءها وذهبت إلى زوجها. لم تقل شيئًا -فماذا كان هنالك ليقال؟ - لكنها وقفت بجوار رأس لوكي، بعبراتها في عينيها، والتقطت كل قطرة سم تقع من أنياب الثعبان في وعائها.

حدث كل هذا قبل زمن بعيد بعيد جدًّا، في وقت لا يدركه العقل، في تلك الأيام عندما كان الآلهة لا تزال تجول في الأرض. قبل زمن بعيد إلى درجة أن جبال تلك الأيام تداعت وأعمق البحيرات جفت.

لا تزال سيجين تنتظر بجوار رأس لوكي مثلما كانت تفعل حينها، وتنظر إلى وجه الجميل المتلوي.

الوعاء الذي تحمل يمتلئ ببطء، قطرة تلو الأخرى، في النهاية يمتلئ الوعاء إلى حافته. وحينها فقط تبتعد سيجين عن لوكي. تأخذ الوعاء لتسكب السم بعيدًا، وبينما هي غير موجودة، يقع سم الثعبان على وجه لوكي وعلى عينيه. فيتشنج ويرتجف ويهتز ويترجرج ويتلوى ويتثنى، حتى تهتز الأرض كلها.

عندما يحدث هذا، نسميه هنا في ميدجارد زلزالًا.

يقولون إن لوكي سيظل مقيدًا تحت الأرض وستظل سيجين معه تحمل الوعاء فوق وجهه لتلتقط السم وتهمس له أنها تحبه، حتى تحين راجناروك وتأتي بنهاية الأيام.

راجناروك: قدر الآلهة الحتمي



I

حتى الآن كنت أخبركم عما حدث في الماضي، عن أشياء حدثت قبل زمن بعيد.

الآن، سأخبركم عن أيامٍ ستأتي.

سأحكي لكم عن كيف ستكون النهاية، وكيف سيعقبها بداية أخرى. إنها أيام مظلمة، تلك التي سأخبركم عنها، أيام مظلمة وأسرار كامنة تتعلق بنهاية الأرض وموت الآلهة. اِسمع وستعرف.

هكذا سنعلم أن أزمنة النهاية باتت وشيكة، أوانها أبعد ما يكون عن زمن الآلهة، في زمن البشر. ستحدث عندما يكون كل الآلهة نائمين، كل الآلهة عدا هايمدال البصير. سيراقب كل شيء منذ بدايته، رغم أنه سيكون عاجزًا عن منع ما يراه من الحدوث.

سيبدأ كل شيء ذات شتاء.

لن يكون شتاءً عاديًّا. سيبدأ الشتاء، ثم سيستمر، شتاء يعقبه شتاء. لن يكون ثمة ربيع، ولا دفء. سيكون الناس جوعى بردانين غاضبين. ستقوم حروب ضخمة في شتى أنحاء العالم.

سيقاتل الأشقاء أشقاءهم، سيقتل الآباء أبناءهم. سيُوقع بين الأمهات وبناتهن. وستحارب الشقيقات شقيقاتهن، وسيراقبن أبناءهن يقتل بعضهم بعضًا في مكانهن.

سيكون ذلك زمن الرياح القاسية، زمن الناس الذين يفترسون بعضهم بعضًا كما الذئاب، الذين ليسوا أفضل أبدًا من الوحوش البرية. سينزل الشفق بالعالم، وأماكن معيشة الناس سيلحق بها الدمار، ستحترق لبرهة، ثم ستنهار، ستصير إلى رماد وخراب وحطام.

حينها، عندما تصبح عيشة البشر القليلين المتبقين كعيشة الحيوانات، ستختفي الشمس من السماء، كما لو أنها أكلها ذئب، وسيؤخذ القمر منا أيضًا، ولن يستطيع أحد رؤية النجوم بعد ذلك. سيملأ الظلام الهواء، كالغبار، كالضباب.

ذلك سيكون زمن الشتاء المريع الذي لن ينتهي: فيمبولفينتر Fimbulwinter.

سيهطل الثلج من كل الاتجاهات، وستهب رياح قاسية، وبرد أبرد مما قد تتخيل أن يكون أي برد على الإطلاق، صقيع متجمد شديد البرودة إلى درجة تؤلم رئتيك كلما تنفست، شديد البرودة إلى درجة تجمد الدموع في عينيك. لن يأتي ربيع يخففه، ولا صيف، ولا خريف. فقط شتاء يعقبه شتاء يعقبه شتاء.

بعد ذلك سيأتي زمن الزلازل العظيمة. سترتجف الجبال وتتداعى. ستقع الأشجار، وأي مكان يسكنه البشر سيصير إلى دمار.

ستكون الزلازل جبارة إلى درجة أن كل القيود والأصفاد والأغلال ستُدمر كلها.

فِنرير، الذئب العظيم، سيتحرر من قيوده. سينفغر فمه حتى يصل فكه العلوي إلى السماء، وفكه السفلي سيلمس الأرض. ولن يكون ثمة شيء لن يستطيع التهامه، ولا شيء لن يدمره. وسيخرج اللهب من عينه ومن منخريه.

أينما سيحل الذئب الفنري، سيتبعه الدمار.

وسيكون هناك فيضانات أيضًا، سيرتفع البحر ويتدفق في الأرض. يورمنجاندر، ثعبان ميدجارد،

الضخم الخطر، سيتلوى في خضم غضبه، سيقترب أكثر وأكثر من الأرض. السم سيسيل من أنيابه إلى الماء، فيسمم الحياة البحرية كلها. وسيرش سمه الأسود في الهواء في رذاذ ناعم، فيقتل كل طيور البحر التي تتنفسه.

لن تعود هناك حياة في المحيطات حيث يخوض ثعبان ميدجارد. الجثث المتعفنة للسمك والحيتان والفقمات ووحوش البحر، ستلقيها الأمواج على الشواطئ.

كل من سيرى الأخوين، فِنرير الذئب وثعبان ميدجارد، أبناء لوكي، سيعرف الموت.

تلك هي بداية النهاية.

بصوت صراخ الأطفال ستنشق السماء الضبابية، وسيركب أبناء موسبيل نازلين من السماء، بقيادة سورتر، عملاق النار، يرفع عاليًا سيفه الذي تحترق ناره بسطوع لا يستطيع فاني أن ينظر إليه. سيعبرون جسر قوس القزح، جسر بيفروست، وسيتداعى قوس القزح تحتهم، ما كانت ذات مرة ألون ساطعة ستصبح بلون الفحم والرماد.

ولن يكون هناك قوس قزح آخر.

وستنهار الجروف فتاتًا في البحار.

لوكي، الذي سيكون قد هرب من قيوده تحت الأرض، سيصبح مدير دفة سفينة تُدعى ناجلفار. تلك هي أكبر سفينة وُجدت أو ستوجد، مصنوعة من أظفار الموتى. ستبحر ناجلفار فوق فيضان البحر. سينظر من على متنها طاقمها ولن يروا سوى أشياء ميتة، متعفنة، وطافية على سطح المحيط.

سيوجه لوكي السفينة، لكن قبطانها سيكون هريم Hrym، قائد عمالقة الصقيع. عمالقة الصقيع المتبقون سيتبعون جميعًا هريم، عمالقة ضخام معادون للبشرية. هم جنود هريم في المعركة الأخيرة.

قوات لوكي هم فيالق هيل. إنهم الموتى المضطربون، الذين كانت ميتاتهم مخزية، الذين سيعودون إلى الأرض مرة أخرى كجثث متحركة، عازمة على تدمير كل ما لا يزال يحب ويعيش على الأرض.

جميعهم، العمالقة والموتى وأبناء موسبيل المشتعلون، سيسافرون إلى أرض معركة تُدعى فِجريد Vigrid. فِجريد شديدة الاتساع، عرضها ثلاث مئة ميل. سيتبختر الذئب الفنري إلى هناك أيضًا، وثعبان ميدجارد سيخوض البحر الفائض حتى يقترب هو أيضًا من فِجريد، ثم سيرفع نفسه إلى الرمل ويزحف على الشاطئ، لكن ليس إلا برأسه وبأول ميل أو أكثر قليلًا من جسده. أغلبه سيظل في الماء.

سيشكلون أنفسهم في نظام المعركة: سورتر وأبناء موسبيل سيكونون هناك تغطيهم النار، ومحاربو هيل ولوكي سيكونون هناك من تحت الأرض، وعمالقة الصقيع، قوات هريم، الذي يتجمد الطين حيث يقفون، سيكونون هناك. معهم سيكون فِنرير، وثعبان ميدجارد. أسوأ تشكيلة أعداء يستطيع أي عقل تخيلها ستكون هناك ذلك اليوم.

هايمدال سيكون قد رأى كل شيء بينما يحدث. فهو يرى كل شيء، في النهاية هو حارس الآلهة. الآن، والآن فقط، سيتصرف.

سينفخ هايمدال في غالارهورن، البوق الذي كان لميمير ذات مرة، سينفخه بجلِّ قوته. سترتج أسجارد بالضجة، وحينها ستستيقظ الآلهة النائمة. سيحملون أسلحتهم وسيتجمعون أسفل يغدراسيل، عند بئر أورد، لتلقي مباركة ومشورة النورنات.

أودِن سيمتطي حصانه سليبنير إلى بئر ميمير ليسأل رأس ميمير المشورة، لنفسه وللآلهة. رأس ميمير ستهمس بما سيحدث في المستقبل لأودِن، مثلما أخبرك به أنا الآن.

شجرة الدردار العظيمة يغدراسيل، شجرة العالم، سترتجف مثل ورقة في مهب الريح، والإيسر ومعهم الإنهرجار، كل المحاربين الذين ماتوا موتات مشرفة في المعركة، سيعدُّون العدة للحرب، ومعًا سيركبون إلى فِجريد، أرض المعركة الأخيرة.

أودِن سيكون على رأس ركبهم. درعه يلمع، وعلى رأسه خوذة ذهبية. ثور سيركب بجواره، ميولنير في يده.

سيبلغون أرض المعركة، وستبدأ المعركة الأخيرة.

سيتجه أودِن مباشرة إلى فِنرير الذئب، الذي كبر الآن وصار أضخم من كل تخيل. سيقبض أبو الجميع على رمحه جونِّير.

ثور سيرى أودِن يتجه إلى الذئب العظيم، سيبتسم، وسيلسع بالسوط ماعزيه ليسرعا، وسيتجه مباشرة إلى ثعبان ميدجارد، بمطرقته في قفازه المعدني.

فري سيتجه إلى سورتر، الملتهب المتوحش. سيف سورتر الناري ضخم، يحرق حتى عندما يخطئ هدفه. سيحارب فري ببسالة وقوة، لكنه سيكون أول من يسقط من الإيسر، فسيفه ودرعه ليسا قادرين على الوقوف أمام سيف سورتر الحارق. سيموت فري مفتقدًا سيفه ونادمًا على إعطائه سكيرنير قبل زمن بعيد، حبًّا في جيرد. كان ذلك السيف لينقذهم جميعًا.

جلبة المعركة ستكون هائلة، الإنهرجار، محاربو أودِن النبلاء، سيعلقون في معركة ضروس مع الموتى الأحياء، قوات لوكي.

جارم Garm، كلب هيل، سيعوي. إنه أصغر من فِنرير، لكنه لا يزال أعتى الكلاب وأخطرها. سيكون أيضًا قد هرب من أغلاله تحت الأرض، وعاد ليمزق حلوق المحاربين فوقها.

تير سيعترضه، تير ذو اليد الواحدة، وسيتقاتل الرجل والكلب الكابوسي. سيقاتل تير ببسالة، لكن القتال سينتهي بموت كليهما. سيموت جارم بأسنانه قابضة على حلق تير.

ثور سيقتل في النهاية ثعبان ميدجارد، مثلما أراد أن يفعل منذ وقت طويل.

سيهشم ثور مخ الثعبان العظيم بمطرقته. وسيقفز متراجعًا بينما تهوي رأس ثعبان البحر في أرض المعركة.

ثور سيكون على بعد تسعة أقدام من حيث ارتطمت رأس الثعبان بالأرض، لكن تلك لن تكون مسافة كافية. حتى بينما هو يموت، سيفرغ الثعبان جيوب سمه على إله الرعد، برذاذ أسود ثقيل.

سيهدر ثور متألمًا، ثم سيقع خاويًا من الحياة على الأرض، وقد سممه الكائن الذي قتل.

سيقاتل أودِن فنرير بشجاعة، لكن الذئب سيكون أضخم وأخطر من أي شيء ممكن. أكبر من

الشمس، أكبر من القمر. سيدفع أودِن برمحه في فمه، لكنه لن يكسر إلا نابًا واحدًا فقط من فك فنرير، وسيضيع الرمح. قضمة أخرى، ثم نهشة وسحقة، وسيضيع أيضًا أودِن، أبو الجميع، أعظم الآلهة وأحكمهم، في غياهب الذئب، ولن يُرى مجددًا.

فيدار ابن أودِن، الرب الصامت، الرب الأمين، سيراقب موت أبيه. سيتقدم فيدار إلى الأمام، بينما يشمت فنرير في موت أودِن، وسيهجم دافعًا بقدمه في فك الذئب السفلي.

قدما فيدار مختلفتان. تستقر إحداهما في فردة حذاء عادية. والأخرى ترتدي فردة حذاء كانت تُبنى منذ فجر الزمان. مصنوعة من كل فتات وبقايا الجلد الذي يقطعه الناس من مقدمات وأعقاب الأحذية التي يصنعونها لأنفسهم، ويرمونها بعيدًا. (إن أردت مساعدة الإيسر في معركتهم الأخيرة، فعليك أن تلقي بقطع الجلد الممزقة. كل تلك البقايا والقصاصات من الأحذية ستصبح جزءًا من حذاء فيدار). ستُبقي فردة الحذاء فك الذئب السفلي أرضًا، فلن يستطيع التحرك. عندها سيمد فيدار يدًا إلى أعلى ويقبض على فك الذئب العلوي، ويمزق فمه إربًا. هكذا سيموت فنرير، وهكذا سيقتص فيدار لأبيه.

على أرض المعركة التي تُدعى فِجريد، ستسقط الآلهة في المعركة أمام عمالقة الصقيع، وسيسقط عمالقة الصقيع في المعركة أمام الآلهة. قوات هيل من الموتى الأحياء سيتناثرون كالرمال على الأرض في ميتتهم الأخيرة، وبجوارهم على نفس الأرض المتجمدة سيتمدد الإنهرجار، كلهم موتى لآخر مرة، تحت سماء ضبابية بلا حياة، لن ينهضوا مجددًا، لن يستيقظوا ليقاتلوا.

ومن فيالق لوكي، لن يبقى واقفًا إلا لوكي نفسه. غارقًا في الدم ومتوحش العيون، تشق شفتيه ابتسامة راضية.

هايمدال، مراقب الجسر وحارس بوابات الآلهة، سيكون أيضًا صامدًا. سيقف في أرض المعركة حاملًا سيفه هوفود Hofud في يده منقوعًا بالدماء.

سيمشي كلاهما تجاه الآخر عبر فِجريد، واطئين على الجثث، خائضين في الدم واللهب.

سيقول لوكي: «همم، حارس الآلهة ذا الظهر الطيني، لقد أيقظت الآلهة متأخرًا جدًّا يا هايمدال. هل كانت رؤيتهم يموتون واحدًا تلو الآخر ممتعة؟».

سيراقب لوكي وجه هايمدال باحثًا عن مواطن ضعف، عن أي شعور، لكن وجه هايمدال سيظل جامدًا.

«ليس لديك ما تقوله يا هايمدال ابن التسع أمهات؟ عندما كنت مقيدًا تحت الأرض، ينقط على وجهي سم الثعبان، وسيجين المسكينة تقف بجواري تحاول التقاط أكبر قدر ممكن من السم في وعائها، مقيدًا في الظلام بأمعاء ابني، كل ما حافظ على سلامة عقلي من الجنون كان التفكير في تلك اللحظة، والتدرب عليها في عقلي، وتخيل الأيام التي سأنهي فيها أنا وابناي الجميلان زمن الآلهة والعالم».

سيظل فم هايمدال مطبقًا، لكنه سيضرب، سيضرب بقوة، سيفه سيداهم درع لوكي، ولوكي سيصد، وسيهاجم بشراسة وذكاء وبهجة.

بينما هما يتقاتلان، سيتذكران يوم تقاتلا قبل زمن طويل، عندما كان العالم أبسط. تقاتلا بهيئات حيوانية، وقد تحولا إلى فقمات، متنافسين على الحصول على قلادة البريسنجيين، التي

كان لوكي قد سرقها من فريا بطلب من أودِن، وهايمدال استعادها.

لوكي لا ينسى أبدًا الإهانة.

سيتقاتلان، وسيمزق كل منهما ويقطع ويطعن الآخر.

سيتقاتلان، وسيسقطان، هايمدال ولوكي، أحدهما بجوار الآخر، بجراح قاتلة.

سيهمس لوكي بينما يموت على أرض المعركة: «انتهى كل شيء، أنا فزت».

لكن هايمدال، ساعة موته، سيبتسم، سيبتسم عبر أسنانه الذهبية المبقعة باللعاب والدم. سيقول للوكي: «أستطيع أن أرى أبعد منك. فيدار ابن أودِن قتل ابنك الذئب الفنري، ونجا فيدار، ونجا أيضًا أخوه فالي ابن أودِن. مات ثور، لكن ابنيه ماجني ومودي لا يزالان على قيد الحياة. أخذا ميولنير من يد أبيهم الباردة. إنهما قويان كفاية ونبيلان كفاية لحملها».

سيقول لوكي: «أيٌّ من هذا لن يهم، فالعالم يحترق، والفانون قد فنوا، ميدجارد هلكت، لقد فزت».

سيقول له هايمدال مع أنفاسه الأخيرة: «أستطيع أن أرى أبعد منك يا لوكي. أرى من هنا وحتى شجرة العالم. لا تستطيع نار سورتر أن تمس شجرة العالم، وثمة اثنان من البشر قد اختبأا في جذع يغدراسيل. اسم المرأة لايف Life [حياة] واسم الرجل ييرنينج Yearning [توق]. نسلهما سيعمر الأرض. تلك ليست النهاية، لا توجد أي نهاية. إنها ببساطة نهاية الأزمنة القديمة يا لوكي، وبداية أزمنة جديدة. الولادة الجديدة تعقب دومًا الموت. لقد فشلت».

كان لوكي ليقول شيئًا، شيئًا حاذقًا قاسيًا مؤلمًا، لكن الحياة ستكون قد تسربت منه، ومعها كل براعته، وكل قسوته، وكل كلماته التي لن ينطقها مجددًا. سيظل متمددًا ساكنًا باردًا بجوار هايمدال على أرض المعركة المتجمدة.

والآن سورتر، العملاق المُحترق، الذي كان موجودًا قبل بداية كل شيء، سينظر إلى سهول الموت الشاسعة، وسيرفع سيفه اللامع إلى السماء. الصوت سيكون كألف غابة تشب فيها النيران، والهواء نفسه سيحترق.

سيضطرم العالم بنيران سورتر. ستصير المحيطات الفائضة بخارًا. آخر شعلة ستثور وستختلج ثم ستنطفئ. والرماد الأسود سينزل من السماء كندف الثلج.

في الشفق، حيث كان جسدي لوكي وهايمدال ذات مرة مسجيين متجاورين، لن يعود بالإمكان رؤية أي شيء عدا كومتين من الرماد الرمادي على الأرض المسودة، وسيمتزج الدخان بضباب الصباح. لن يبقى شيء من جيوش الأحياء والأموات، ولا من أحلام الآلهة وبسالة محاربيهم، لا شيء إلا الرماد.

بعد قليل، ستبتلع المحيطات المتضخمة الرماد بينما تغسل اليابسة، وكل ما هو حي سيُنسى تحت السماء عديمة الشمس.

هكذا ستنتهي العوالم، بالرماد والطوفان، في الظلمة والجليد. ذلك هو قدر الآلهة الحتمي.

II

تلك هي النهاية، لكن هناك أيضًا ما سيأتي بعد النهاية.

من مياه المحيط الرمادية، ستقوم الأرض الخضراء من جديد.

الشمس ستكون قد أُكلت، لكن ابنة الشمس ستبزغ مكان أمها، والشمس الجديدة ستلمع أكثر حتى من القديمة، ستشع ضوءًا شابًّا وجديدًا.

الرجل والمرأة، لايف وليفرثراسير، سيخرجان من جذع شجرة الدردار التي تربط العوالم معًا. سيتغذيان على ندى الأرض الخضراء، وسيمارسان الحب، ومن حبهما سيولد البشر.

أسجارد ستذهب، لكن إيدافول Idavoll ستقف حيث كانت أسجارد واقفة من قبل، جليلة ومستمرة.

ابني أودِن: فيدار وفالي، سيصلان إلى إيدافول. بعدهما سيأتي ابنا ثور: مودي وماجني. سيجلبان معهما مطرقة ثور فيما بينهما، الآن، بعدما ذهب ثور، سيتطلب حملها اثنين. بالدر وهود سيعودان من العالم السفلي، وسيجلس الستة في النور تحت الشمس الجديدة ويتحدثون فيما بينهم، ويتذكرون الألغاز القديمة، ويناقشون ما الذي كان يمكن عمله بشكل مختلف، وإن كانت النتائج حتمية فعلًا.

سيتحدثون عن فِنرير، الذئب الذي أكل العالم، وعن ثعبان ميدجارد، وسيتذكرون لوكي، الذي كان من الآلهة حتى لو لم يكن منهم، الذي أنقذ الآلهة وسيكون سبب هلاكها.

ثم حينها سيقول بالدر: «هاه، انظروا، ما هذا؟».

سيسأل ماجني: «ماذا؟».

«هناك، ذاك الذي يلمع بين الحشائش الطويلة. ألا تراه؟ وهناك أيضًا، انظروا، ثمة واحد آخر».

ثم سينزلون على ركبهم ويحبون بين الحشائش، آلهة مثل الأطفال.

ماجني ابن ثور سيكون أول من سيجد واحدًا من تلك الأشياء بين الحشائش، وما إن يراه حتى يعرف كنهه. قطعة شطرنج ذهبية، من النوع الذي كانت الآلهة تلعب به عندما كانت لا تزال حية. منحوتة ذهبية صغيرة لأودِن، أبو الجميع، على عرشه العالي: الملك.

سيعثرون على المزيد منها. ها هنا ثور يحمل مطرقته، وهايمدال يحمل بوقه على شفتيه، وفريج زوجة أودِن، الملكة.

بالدر سيرفع تمثالًا ذهبيًّا صغيرًا. سيقول له مودي: «هذا يشبهك».

سيقول بالدر: «هو أنا فعلًا، أنا قبل زمن بعيد، قبل أن أموت، عندما كنت من الإيسر».

سيجدون باقي القطع بين العشب، بعضها جميل، وبعضها أقل جمالًا. وهناك، نصف مدفون في التربة السوداء، كان لوكي وأبناؤه المتوحشون. وهناك عملاق صقيع، وها هو سورتر، يغطي وجهه اللهيب.

وبسرعة سيجدون كل القطع التي قد يحتاجونها لبناء مجموعة قطع شطرنج كاملة. سيرتبون القطع في مباراة: على سطح مائدة رقعة الشطرنج تواجه آلهة أسجارد أعداءهم الأبديين. وضوء

الشمس الطازجة سيلمع على قطع الشطرنج الذهبية في تلك الأمسية الممتازة.
سيبتسم بالدر، وكأن الشمس تشرق، وسيمد يده، وسيحرك أول قطعة.
وستبدأ لعبة جديدة.

ملاحظات

(الإيدا الشعرية) هي مجموعة من القصائد مجهولة المؤلف باللغة النوردية القديمة. بعضها ميثولوجية وبعضها شعرية. أشهر القصائد وأهمها قصيدة فولوسبا Voluspa، طولها ستة وستون مقطعًا. فيها، امرأة عملاقة، نبية وعرافة، تفصح عن كل ما ترى لأودِن.

الإيدا التي كتبها سنوري، المعروفة بالإيدا النثرية أو الإيدا الصغرى، كُتبت حوالي عام ١٢٠٠، على ثلاثة أقسام: Skáldska-parmál، كتاب تعليمات وشرح للسكالديين Skalds [الشعراء الإسكندنافيين] عن فن الشعر وطرق استخدام اللغة في الشعر النوردي (ويتضمن أيضًا عددًا من الحكايات). وHáttatal، قائمة بمئة واثنين وزن شعري [بحر شعري]. وGylfaginning، أي (خداع جيلفي Gylfi)، وفيه يسافر ملك سويدي يدعى جيلفي إلى أسجارد، ويقابل حكامها الذين يسمون أنفسهم (العالي، والعالي مثله، والثالث)، ويسألهم أسئلة ويتلقى منهم القصص العديدة المتضمنة في هذا الكتاب كإجابات.

الإيدا النثرية كتبها سنوري سترلسون (١١٧٩-١٢٤١). كان المتحدث باسم القانون الأيسلندي مرتين، ما كان أعلى منصب هناك. عاش حياته سياسيًّا ورجل دولة، وقتله زوج ابنته في سن الثانية والستين لأسباب سياسية. كان أيضًا شاعرًا ومؤرخًا. أهم أعماله: الإيدا النثرية وHeimskringla، تاريخ لملوك السويد يرجع إلى الأزمنة الميثولوجية.

كلمة Edda بالنوردية القديمة تعني «الجدة الكبرى»، إذن فهي ربما (حكايات الجدة). وهناك أيضًا اقتراحات أن للإيدا معاني وأصولًا أخرى، منها مثلًا أنها تأتي من الكلمة النوردية القديمة للشعر مثلًا، أو ربما هي «الكتاب من أودي The Book from Oddi». (الأودي في هذه الحالة هي المزرعة التي تربى فيها سنوري سترلسون).

قبل البداية وبعدها

أعتمد هنا على Gylfaginning في الإيدا النثرية، وVoluspa وGrí-mnismál وبالأساس على Vafthrudnir.

يغدراسيل والعوالم التسعة

أخذت الجزء الأكبر هنا من الإيدا النثرية وVoluspa وGrímni-smál. وجود تسعة عوالم هو أمر متفق عليه تقريبًا. لكن ماهية تلك العوالم يتباين بحسب المصدر الذي تبحث فيه.

رأس ميمير وعين أود***ن

تلك حكاية مُرقَّعة، بُنيت من مصادر متعددة.

حكاية بئر الحكمة موجودة في Voluspa بالإيدا الشعرية وGyl-faginning في الإيدا النثرية. حكمة رأس ميمير من الإيدا الشعرية في Voluspa وSigrddrifuma، بينما قصة ميمير وهونيير يمكن إيجادها في Heimskringla، مجموعة سنوري من حكايات الملوك النورديين القدامى، في قصة Ynglinga.

كنوز الآلهة

هذه من الإيدا النثرية، Skáldskaparmál.

سيد البنَّائين

هذه إعادة حكي لحكاية من الإيدا النثرية، Gylfaginning.

أبناء لوكي

من الإيدا النثرية، Gylfaginning.

زفاف فريا العجيب

إعادة حكي لقصيدة من الإيدا الشعرية، Thrymskvitha، أو (القضاء على ثريم). كانت أول ما كتبت من تلك القصص، وأول واحدة أقرؤها بصوت عالٍ على جمهور. الإنصات لرد فعل الجمهور كان ما أعطاني الحماس للمتابعة.

ميد الشعراء

كان من الممتع إعادة حكي تلك القصة. تشعر وكأنها حكايتان أو ثلاث رُبطوا بعضهم ببعض، والتحدي كان في محاولة جعلهم يبدون وكأنهم سردية واحدة. تعتمد أساسًا على مقالة سنوري عن الشعر في الإيدا النثرية، Skáldskaparmál، ومن الإيدا الشعرية: Havamal.

رحلة ثور في أرض العمالقة

طُرح السؤال: «هل مر ثور قط بتجربة واجه فيها شيئًا جبار القوة وعظيم السحر إلى درجة تتجاوز قدرته؟» والإجابة كانت من الإيدا النثرية، Gylfaginning.

تفاح الخلود

من الإيدا النثرية، Gylfaginning.

حكاية فري وجيرد

أشهر نسخة لتلك القصة تأتي من الإيدا الشعرية، من قصيدة تدعى Skirnismal. فيها تعترض جيرد على الزواج بفري وتُهدد بتغيير رأيها. بينما أنا أعيد حكيها، اخترت نسخة الإيدا النثرية في Gylfaginning لما حدث عندما أخبر سكيرنير جيرد بحب فري لها، حيث وافقت ببساطة على الزواج به. أفضل الزواج بلا تهديد.

ابنهم فيولنير ذُكر في Heimskringla، في قصة Ynglinga.

رحلة ثور وهايمير لصيد الأسماك

بنيت هذه القصة من مصدرين: قصيدة Himskvida (القضاء على هايمير) من الإيدا الشعرية، وGylfaginning في الإيدا النثرية. القصة في الأساس هي القصيدة، لكن النسخة النثرية بها نسخة أطول و(بالنسبة إليَّ) أكثر متعة لرحلة صيد السمك، وكان في الإيدا النثرية أيضًا أن قطع هايمير حبل الصيد.

تير هو ابن أودِن في الإيدا النثرية لكنه ابن هايمير في الإيدا الشعرية، من هنا ساومت وجعلت هايمير زوج أمه.

موت بالدر

سنوري هو المصدر الرئيسي، من Gylfaginning. هناك المزيد من التفاصيل في قصيدة (أحلام بالدر) في الإيدا الشعرية.

آخر أيام لوكي

من الأشياء التي كنت أتطلع إليها فعلًا عندما كتبت هذا الكتاب، كان حكي قصة Lokasenna، قصيدة في الإيدا الشعرية بعنوان (هروب لوكي). ثم عندما وصلت إلى هذا الجزء، غطيت نوعًا ما المحتوى الذي كنت أتطلع لتضمينه في هذا الفصل في فقرة: ما قاله لوكي الشرير لعدد من الربات والربات ليغضبهم، وما ردوا عليه به دفاعًا عن أنفسهن ولرد الهجوم عليه. إنها قصيدة رائعة، لكني شعرت أن تضمينها سيضيع شكل الحكاية نوعًا. بُني الفصل على قصيدة Lokasenna والإيدا النثرية، Gylfaginning.

راجناروك: قدر الآلهة الحتمي

أنهيت الكتاب في منزلي في مدينة هدسون بنيويورك، خلال أول عواصف الموسم الثلجية. لم يكن في البيت إنترنت لاسلكي (ولا أثاث حتى إلا القليل)، وانقطاع الكهرباء تلك الليلة قضى على المُسوَّدة الأولى من ذلك الفصل على حاسوبي. حزنت، لكني كتبته للمرة الثانية، وهذهالمرة جاء أفضل، هذه المرة وجد نهايته عند سنوري، في نهاية Gylfaginning. اقتبس سنوري كثيرًا من Voluspa في الإيدا الشعرية.

قاموس

- إجيل: مزارع، والد ثيالفي وروسكفا.
- أسجارد: وطن الإيسر، أرض الآلهة.
- أسك: أول رجل بشري، خُلق من شجرة دردار.
- ألفهايم: أحد العوالم التسعة، تسكنه إلفات النور.
- إمبلا: أول امرأة بشرية، خُلقت من شجرة مران.
- أنجربودا: عملاقة، والدة أبناء لوكي الثلاثة الوحشيين.
- إنهرجار: الموتى النبلاء الذين ماتوا بشجاعة في معركة، والذين الآن يولمون ويقاتلون في فالهالا.
- أوتجارد: «الساحة الخارجية»، مساحة قفر يسكنها العمالقة، في منتصفها قلعة تُدعى أيضًا أوتجارد.
- أوتجاردلوكي: ملك عمالقة أوتجارد.
- أودريرير: غلاية لتخمير ميد الشعراء، يعني اسمها «مانحة النشوة».
- أودهملا: أول بقرة، بلسانها شكلت سلف الآلهة، ومن ضروعها جرت أنهار اللبن.
- أودِن: أعلى وأقدم الآلهة. يرتدي عباءة وقبعة وله عين واحدة، بعدما قايض الأخرى مقابل الحكمة. له أسماء عديدة من بينها: أبو الجميع وجريمنير ورب المشانق.
- أوربودا: عملاقة جبال، أم جيرد.
- أورد: «القضاء والقدر»، واحدة من النورنات الثلاثة، ومجالها هو الماضي.
- أورد، بئر: البئر التي في أسجار، ترعاها النورنات.
- أولر: ابن زوجة ثور. إله يصطاد بالقوس والسهم، ويتزلج.
- إيتري: قزم قادر على صنع كنوز عظيمة، بما فيها مطرقة ثور، شقيق بروك.
- إيجير: أعظم عمالقة البحر. زوج ران، وأب لتسع بنات هن أمواج البحر.
- إيدافول: تعني: «السهل الرائع»، المكان الذي بُنيت عليه أسجارد، وإليه سترجع الآلهة الناجية بعد راجناروك.
- إيدون: ربة من الإيسر. كانت المسؤولة عن تفاح الخلود الذي يمنح الآلهة الشباب الدائم.
- إيسر: عرق أو قبيلة أو فرع من الآلهة. يعيشون في أسجارد.
- إيفالدي: من إلفات الظلام. أبناء إيفالدي صنعوا سكيدبلادنير، سفينة فري المذهلة، وجونير، رمح أودِن، وشعر ذهبي جديد لسيف زوجة ثور.
- إيلي: مربية عجوز، هي في الواقع الشيخوخة.

- باري، جزيرة: الجزيرة التي تزوج عليها فري وجيرد.
- بالدر: يُعرف بـ«الجميل». ابن أودِن الثاني، يحبه الكل عدا لوكي.
- باوجي: عملاق، شقيق سوتُّونج.
- براجي: رب الشعر.
- برجلمير: حفيد يمير. برجلمير وزوجته كانا العملاقين الوحيدين اللذين نجيا من الفيضان.
- بروك: قزم قادر على صنع كنوز عظيمة، شقيق إيتري.
- بريدابليك: بيت بالدر، مكان للبهجة والموسيقى والمعرفة.
- بستلا: أم أودِن وفيلي وفي، وزوجة بور. ابنة عملاق يُدعى بولثورن Bolthorn. وأخت ميمير.
- بودن: إحدى القدرين اللتين تحتويان ميد الشعراء. الأخرى هي سون.
- بور: إله. ابن بوري، زوج بستلا، والد أودِن وفيلي وفي.
- بوري: سلف الآلهة كلهم، والد بور، وجد أودِن.
- بولفِركر: أحد الأسماء التي يتخذها أودِن لنفسه عندما يتنكر.
- بيفروست: جسر قوس القزح الذي يربط أسجارد بميدجارد.
- بيلي: عملاق، قتله فري بقرن غزال.
- تير: رب الحرب ذو اليد الواحدة، ابن لأودِن، ابن زوجة هايمير العملاق.
- ثرود: ابنة ثور، ويعني اسمها (القوية).
- ثور: ابن أودِن أحمر اللحية، رب الإيسر للرعد. أقوى الآلهة.
- ثوك: امرأة عجوز، يعني اسمها «امتنان»، لكنها الكائن الحي الوحيد الذي لا يحزن على موت بالدر.
- ثيرم: سيد الغيلان، الذي أراد الزواج بفريا.
- ثيازي: عملاق يتنكر في هيئة نسر ليختطف إيدون. والد سكادي.
- جارم: كلب وحشي، سيقتل تير وسيقتله تير.
- جالار: أحد إلفات الظلام، شقيق فيالار، وقاتل كفاسير.
- جنلود: عملاقة، ابنة سوتونج، وضعها أبوها حارسة على ميد الشعراء.
- جريمنير: اسم لأودِن، يعني «المقلنس/ الذي يرتدي قلنسوة».
- جريندر: أو «الطاحن بأسنانه Tanngnjóstr». أحد الماعزين اللذين يجران عربة ثور.
- جليبنير: سلسلة سحرية صنعها الأقزام، واستخدمتها الآلهة لتقييد فِنرير.
- جورد: أم ثور، عملاقة، كانت أيضًا ربة الأرض.
- جولينبورستي: خنزير ذهبي صنعته الأقزام لفري.

- جونير: رمح أودِن. لا يُخطئ هدفه قط، والقسم المأخوذ عليه لا يمكن حنثه.
- جيرد: عملاقة شديدة الجمال، أحبها فري.
- جيلينج: عملاق، قتله فيالار وجالار، والد باوجي وسوتونج.
- جيمير: عملاق أرض، أبو جيرد.
- جينونجاباب: الهوة المتثائبة بين موسبيل (عالم النار) ونيفلهايم (عالم الضباب) عند بدء الخليقة.
- دروبنير: إسورة ذراع أودِن الذهبية، كل تسع ليال ينتج عنها ثماني أساور ذراع تساويها في الجمال والقيمة.
- راتاتوسك: سنجاب يعيش على فروع يغدراسيل وينقل الرسائل بين نيدهوج آكل الجيفة عند جذورها وعقاب يعيش عند أعلى فروعها.
- راتي: حفار أو مثقاب الآلهة.
- ران: زوجة إيجير عملاق البحر، وربة الغارقين في البحر، أم الأمواج التسع.
- روسكفا: شقيقة ثيالفي، خادمة ثور البشرية.
- سكادي: عملاقة، ابنة العملاق ثيازي، تزوجت نجورد.
- سكيدبلادنير: سفينة سحرية، صنعها لفري أبناء إيفالدي. تُطوى مثل وشاح.
- سكريمير: «الرفيق الكبير». عملاق ضخم على نحو خاص، قابل لوكي وثور وثيالفي في طريقهم لأوتجارد.
- سكولد: أحد النورنات. اسمها يعني «ما عُقدت عليه النية»، مجالها هو المستقبل.
- سكيرنير: إلف نور، خادم فري.
- سفاديلفاري: حصان سيد البنائين الذي بنى سور أسجارد. أبو سليبنير.
- سليبنير: حصان أودِن. أسرع الأحصنة، ذو ثمانية أرجل. ابن لوكي وسفاديلفاري.
- سنارلر: «تانجريسنير Tanngrisnir»، والتي تعني خلة الأسنان أو سنارلر [المزمجر]. أحد الماعزين اللذين يجران عربة ثور.
- سوتونج: عملاق، ابن لجيلينج. ينتقم ممن قتلوا والديه.
- سورتر: عملاق هائل ناري يحمل سيفًا من النار. وُجد سورتر قبل الآلهة. هو حارس موسبيل، أرض النار.
- سون: قدر ميد.
- سيجين: زوجة لوكي، أم فالي ونارفي. بعد حبس لوكي، ظلت معه تحت الأرض، تحمل وعاءً تحمي به وجه لوكي من سم الثعبان.
- سيف: زوجة ثور، شعرها ذهبي.
- غالارهورن: بوق هايمدال، كان في بئر ميمير.

- فارباوتي: والد لوكي، عملاق، يعني اسمه (هو الذي يضرب ضربات خطرة).
- فار: ربة الزواج.
- فالكيريات: «اللواتي يخترن من المقتولين»، خادمات أودِن، تجمعن أرواح الموتى الذين ماتوا ببسالة في ساحة القتال، وتجلبنهم إلى فالهالا.
- فالهالا: قاعة أودِن، حيث يولم ويقاتل الموتى النبلاء، الذين ماتوا وهم يحاربون ببسالة.
- فالي: هناك إلهان اسمهما فالي. الأول هو ابن لوكي وسيجين، الذي يتحول إلى ذئب ويقتل شقيقه نارفي. والآخر ابن أودِن وريند، وُلد لينتقم لمقتل بالدر.
- فاناهايم: أرض الفانير.
- فرانانج، شلال: شلال عالٍ فيه اختبأ لوكي متنكرًا في هيئة سلمون.
- فرداندي: إحدى النورنات. يعني اسمها «أن تصير»، وهي من تقرر الحاضر.
- فريا: إلهة من الفانير، تعيش مع الإيسر، شقيقة فري.
- فريج: زوجة أودِن، ملكة الآلهة، أم بالدر.
- فري: إله من الفانير، يعيش مع الإيسر، شقيق فريا.
- فِنريرأو الذئب الفنري: ذئب، ابن لوكي وأنجربودا.
- فولا: إلهة، خادمة فريج.
- فيالار: شقيق جيالار، وقاتل كفاسير.
- فِجريد: السهل الذي ستقوم عليه معركة راجناروك.
- فيدار: ابن أودِن. رب صامت وأمين. إحدى فردتي حذائه صُنعت من بواقي جلد كل الأحذية التي صُنعت.
- فيلي: شقيق أودِن، ابن بور وبستلا.
- فيمبولفينتر: الشتاء الذي يسبق راجناروك، الذي لا ينتهي.
- فيولنير: ابن فري وجيرد وأول ملك للسويد.
- في: شقيق أودِن، ابن بور وبستلا.
- قلادة البريسنجيين: قلادة فريا اللامعة.
- كفاسير: هو رب صُنع من مزيج من بصاق آلهة الإيسر والفانير، وصار رب الحكمة. قتلت الأقزام كفاسير وصنعت من دمه ميد الشعراء. عاد إلى الحياة لاحقًا.
- لوكي: أخو أودِن بالدم، ابن فارباوتي ولويفي. أكثر سكان أسجارد حذاقة ومراوغة. متحول الشكل، وشفتاه مشققتان. لديه حذاء يسمح له بالمشي في السماء.
- لويفي: أم لوكي. تُدعى أيضًا نار، أو الإبرة، لأنها كانت نحيفة.
- ليت: قزم منحوس.

- ليراد: شجرة، على الأرجح جزء من يغدراسيل، تتغذى عليها هايدرون، العنزة التي تنتج ميد لمحاربي فالهالا.
- ماجني: ابن ثور، يعني اسمه (القوي).
- مودجود: «المحاربة الشرسة»، كانت حارسة الجسر الذي يقود إلى مملكة الموتى.
- مودي: ابن ثور، يعني اسمه (الشجاع).
- موسبيل: العالم الناري الذي وُجد عند بدء الخليقة. أحد العوالم التسعة.
- مونِن: أحد غرابي أودِن، ويعني (الذاكرة).
- ميدجارد: أي «الساحة الوسطى»، عالمنا، أرض البشر.
- ميدجارد، ثعبان: يورمنجاندر.
- ميمير: خال أودِن ومالك بئر الحكمة في يوتونهايم. عملاق، وربما هو أيضًا أحد الإيسر. قطع الفانير رأسه، وظلت رأسه تمنح الحكمة وتراقب البئر.
- ميمير، بئر: بئر أو نبع عند جذور شجرة العالم. ضحى أودِن بعين من أجل رشفة من مياهه، غرفها ببوق هايمدال غالارهورن.
- ميولنير: مطرقة ثور المذهلة وأثمن ممتلكاته، صنعها له إيتري. (بروك نفخ في الكير).
- ميينجورد: حزام قوة ثور. ارتداؤه يضاعف قوته.
- ناجلفار: سفينة، بُنيت من أظافر الأصابع والأقدام غير المقلمة للموتى. العمالقة وموتى هيل الذين سيحاربون الآلهة والإنهرجار في راجناروك سيسافرون على تلك السفينة.
- نارفي: ابن للوكي وسيجين، شقيق فالي.
- نال: الإبرة، اسم آخر للويفي أم لوكي.
- نجورد: من آلهة الفانير، والد فري وفريا.
- نورنات: الشقيقات الثلاث، أورد وفرداندي وسكولد، اللواتي يعتنين ببئر أورد، أو القدر، وجذور يغدراسيل شجرة العالم. تقرر ثلاثتهم، والنورنات الأخرى، ما يحدث في حياتك.
- نيدافِلير ويُدعى أيضًا سفارتالفهايم: حيث يعيش الأقزام (المعروفون أيضًا بإلفات الظلام) تحت الجبال.
- نيدهوج: تنين يلتهم الجيفة وينهش جذور يغدراسيل.
- نيفلهايم: مكان بارد مفعم بالضباب، وُجد عند بدء الوجود.
- هايدرون: عنزة يخرج من ضروعها الميد عوضًا عن اللبن. تُغذي الموتى في فالهالا.
- هايمدال: حارس الآلهة، يرى كل شيء.
- هايمير: ملك العمالقة.
- هِرمود الخفيف: ابن أودِن. ركب سليبنير وتوسل إلى هيل لتحرر بالدر.

- هريم: قائد عمالقة الصقيع في راجناروك.
- هفِرجلمر: نبع في نيفلهايم، تحت يغدراسيل، هو منبع العديد من الأنهار والجداول.
- هليدسكالف: عرش أودِن، منه يرى العوالم التسعة.
- هوجي: عملاق صغير، قادر على الجري أسرع من أي شيء. في الواقع هو الفكر ذاته.
- هود: شقيق بالدر، إله ضرير.
- هوجِن: أحد غرابي أودِن. يعني الاسم «الفكر».
- هونيير: إله قديم، منح البشر هبة المنطق. أحد الإيسر، أُرسل إلى الفانير ليصبح ملكهم.
- هيروكين: عملاقة، أقوى من ثور ذاته.
- هيل: ابنة لوكي من أنجربودا. تحكم هيل، مملكة الموتى المخزيين، الذين لم يموتوا بنبل في معركة.
- يوتونهايم: يوتون Jotun تعني عملاق، ويوتونهايم هي أرض العمالقة.
- يغدراسيل: شجرة العالم.
- يمير: أول الكائنات، عملاق أكبر من العالم، سلف كل العمالقة. تغذى يمير على أول بقرة: أودهملا.
- يورمنجاندر: ثعبان ميدجارد، أحد أبناء لوكي، وعدو لثور.

عن المؤلف:

نيل جايمان

كاتب إنجليزي، وُلد عام ١٩٦٠.

تتنوع أعماله بين الروايات والقصص القصيرة والروايات الجرافيكية، وبين الأعمال الموجهة إلى الصغار والكبار، وتشترك جميعًا في أنها أعمال خيالية تميل إلى الفانتازيا. حُولت العديد من أعماله إلى أفلام سينمائية ومسلسلات تليفزيونية، وتلقى جوائز عديدة منها Hugo وNebula وBram Stoker.

تُرجمت العديد من أعماله إلى العربية، منها على سبيل المثال لا الحصر: «كورالاين» و«المحيط في نهاية الدرب» و«كتاب المقبرة» و«أساطير نوردية».

عن المترجم:

محمد أ. جمال

مترجم وروائي مصري. وُلد عام ١٩٩٢.

صدرت له روايات: «كتاب خيبة الأمل» و«طيران»، ومن أبرز ترجماته: «البطل بألف وجه - جوزيف كامبل» و«إفطار الأبطال - كورت فونيجت».

(تم الكتاب بحمد الله)



Group Link – لينك الانضمام الى الجروب

Link – لينك القنـاة

فهرس المحتويات..

ملاحظات

عن المؤلف:

عن المترجم:

الملاحظات

[←1]

(1) مثالج glaciers: كتل ضخمة من الجليد، تتدفَّق ببطء على اليابسة. تتشكل في المناطق القطبيَّة الباردة وفي الجبال العالية، حيث تساعد درجة الحرارة المنخفضة على تكوُّن الثلج بكميات هائلة، وتراكمه على مدى أعوام عديدة، تصل إلى قرون. [المترجم]